بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القــــرى

كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : محمد سهيل هشام أحمد كلية : الدعوة وأصول الدين قسم : العقيدة والأديان

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الماجستير في تخصص : العقيدة

عنوان الأطروحة : ((التناسخ جذوره وتأثيره في غلاة الشيعة دراسة ونقدًا

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه _ والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٢٣/ ١ /١٤١٩هـ _ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ،وحيث قد تم عمل اللازم ؛ فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...

والله الموفق ...

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الخارجي
الاسم أ.د. عبدالله حسن بركات	الاسم : أ.د./ ابراهيم محمد ابراهيم	الاسم : أ.د/ محمد سيد أحمد المس[illegible]
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع :

يعتمد

رئيس قسم

الاسم : أ.د/ أحمد بن عطية الزهراني

التوقيع :

• يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة .

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
مكة المكرمة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

التناسخ جذوره وتأثيره في غلاة الشيعة
دراسة ونقداً

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد

الطالب/ محمد سهيل مشتاق أحمد

إشراف

فضيلة الدكتور/ عبد اللّه حسن بركات

١٤١٨هـ = ١٩٩٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين أما بعد :

فعنوان الرسالة : التناسخ جذوره وتأثيره في غلاة الشيعة، دراسةً ونقداً.

المحتوى: تتكون الرسالة من مقدمة وثلاثة أبواب :

أما المقدمة: فقد اشتملت على بيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره وخطة البحث.

وأما الباب الأول: فاشتمل على بيان معنى التناسخ وجذوره، وذلك من خلال فصلين، كان الحديث فيهما عن معنى التناسخ لغة واصطلاحًا، وجذور التناسخ في الأمم والأديان القديمة من الصابئة والمصريين القدماء وأديان الهند من البرهمية والجينية والبوذية، ثم فلاسفة اليونان، والمجوسية المانوية.

وأما الباب الثاني: فكان لدراسة التناسخ عند غلاة الشيعة، وذلك من خلال ثلاثة فصول : تحدثت فيها عن مفهوم غلاة الشيعة وعوامل انتقال التناسخ إليهم، ومقالات غلاة الشيعة من السبئية والكيسانية في التناسخ، وتسرب هذا المعتقد إلى فرق غلاة الشيعة المعاصرة من الإسماعيلية والدروز والنصيرية.

وأما الباب الثالث: فاشتمل على بيان شبه القائلين بالتناسخ والرد عليها : وذلك من خلال فصلين : كان الحديث فيهما عن الشبه العقلية والرد عليها، والشبه النقلية والرد عليها، ثم بيان موقف الإسلام من التناسخ.

ثم الخاتمة: وذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

هذا ما تيسر عرضه في هذا الملخص الموجز.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الطالب	المشرف	عميد كلية الدعوة وأصول الدين
محمد سهيل مشتاق أحمد	الدكتور/ عبد الله حسن بركات	الدكتور/ محمد سعيد بن محمد حسن

قال الله تعالى:

﴿ قُلْ يَـٰأَهْلَ الْكِتَـٰبِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَآءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة، الآية: ٧٧]

قال الله تعالى:

﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن، الآية: ٧]

قال الله تعالى:

﴿ كَذَلِكَ مَآ أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ [الذاريات، الآيتان: ٥٢ – ٥٣]

كلمة الشكر والتقدير

قال تعالى: ﴿ لإِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ...﴾ الآية.

أحمد الله العلي القدير وأشكره على ما أنعم علي من نعمه وآلائه التي لا تعد ولا تحصى فهو جدير بالثناء والشكر.

ثم أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من مد إليّ يد العون والمساعدة في إعداد هذه الرسالة، فأقدم شكري إلى حكومة خادم الحرمين الشريفين، حيث تتيح الفرصة وتوفر الإمكانية لأبناء العالم الإسلامي لطلب العلم في المراحل المختلفة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى مسؤولي جامعة أم القرى، وعلى رأسهم معالي مدير الجامعة وسعادة عميد كلية الدعوة وأصول الدين لما يبذلونه من جهود متواصلة في خدمة العلم والدين.

ثم أشكر سعادة المشرف السابق على رسالتي الدكتور/ أحمد عبد اللطيف العبد اللطيف على ما تفضل بقبول الإشراف على هذه الرسالة، وساعدني كثيراً في اختيار الموضوع، فجزاه الله خيراً.

وأخص بجزيل الشكر فضيلة شيخي الدكتور/ عبد الله حسن بركات المشرف الحالي على هذه الرسالة الذي تفضل بالإشراف على الرسالة بعد المشرف الأول، وبذل الكثير من وقته وجهده للإشراف، فمن خلال توجيهاته القيمة وإشرافه الأمثل اكتملت الرسالة، وخرجت بالشكل الأخير، فاستفدت كثيراً من علمه الزخار، وكان تعامله معي من الأول إلى الآخر تعامل الأب مع ابنه، فجزاه الله خير الجزاء، وبارك في علمه وعمله ومساعيه.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أقدم الشكر إلى كل من الأساتذة والزملاء الذين أسهموا بنوع من التعاون في إخراج هذه الرسالة، فجزاهم الله خيراً.

وأخيراً كما كان أولا الحمد والشكر لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المقدمة:

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، ووفقنا للإيمان بما أفاده القرآن الكريم والسنة النبوية على صاحبها الصلاة والتسليم، من عقائد أصيلة صافية. وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. والصلاة والسلام على النبي المختار وسيد الأبرار محمد بن عبدالله الذي أرسل لهداية البشرية جمعاء. وعلى آله وأصحابه أجمعين إلى يوم الدين.

فقد أرسل الله الأنبياء والرسل لكل الأمم ﴿**وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ**﴾[1] كل رسول أرسله ربه لإنقاذ أمته من الضلال والهلاك والفساد وإرشادها إلى الإيمان والحق والنجاح؛ فكلهم من آدم عليه السلام إلى آخر الأنبياء محمد ﷺ دعوا الأمم كلها إلى هدف واحد وغاية متحدة. وكان مع بعضهم كتب أنزلها الله كمنهاج ودليل لإحقاق الحق وإبطال الباطل، فآمن بهم من آمن وكفر من كفر، فالذين كفروا ضلوا وأضلوا الناس، والذين آمنوا نجحوا وفازوا وسلكوا الطريق القويم.

ثم خلف من بعدهم خلف أضاعوا الحق ومعالمه، وبتوافر عوامل الانحراف مالبث أن بدأ الانحراف يمسهم في عقائدهم بعد مضي أنبيائهم، فحرفوا الكتب وبدلوا شرائع الله فقرروا عقائدهم على أساس الظن والهوى.

والإيمان بحتمية الجزاء وعقيدة البعث والثواب والعقاب مما تواترت به الديانات ودعت إليه الرسل ونزلت به الكتب؛ ولذلك نجد هذا المعتقد في صفائه ونقائه من خلال عرض الدين الحق بينما تباينت فيه النقول والآراء عند المبطلين وأرباب الديانات الوضعية، وإن بقيت حتمية الجزاء دليلا على بقايا الحق الذي اندثرت معالمه بفعل الأهواء.

---

(١) فاطر، الآية: ٢٤.

فالذين ثبتوا على الإيمان الصحيح بالله والرسل والكتب المنزلة، قامت عقيدتهم في الجزاء على ما ورد في النصوص الدينية، من أن الحياة الدنيا مرحلة عمل وكسب، وأما الجزاء فهو في العالم الآخر بعد البعث إما بالجنة أو بالنار.

والذين انحرفوا عن المنهج الصحيح من أرباب الديانات الوضعية لم يقدروا الله حق قدره، وأنكروا الرسل وحرفوا في معاني النصوص الدينية فسلكوا منهج الظن والهوى، واضطربوا في ذلك اضطرابًا عظيمًا، وقاسوا الغائب على الشاهد، فأثبتوا الجزاء في الدنيا بالتناسخ.

وكل من قال في الدين برأيه وغلا في الدين وأهله وقاس الغائب على الشاهد فهذا حاله في عقيدة الجزاء وما شابهها من الغيبيات التي لا سبيل لإدراكها إلا بالنقل الصحيح والبلاغ الأمين على ألسنة رسل رب العالمين.

لذلك نجد طائفة من الشيعة ممن انتسبوا إلى الإسلام قد غلوا في أئمتهم وشبهوهم بالله فجاء التشبيه والتعطيل في مذهبهم، ولم يؤمنوا إيمانا صحيحًا بالله ورسله، فقالوا بالحلول والتناسخ.

وعقيدة التناسخ تتعارض صراحة مع ركن هام من أركان الإسلام، وهو الإيمان باليوم الآخر وما يتفرع منه من العقائد الأخرى، مثل: البعث والجنة والنار.

وعلى هذه الأهمية ومدى خطورة التناسخ في نظر الإسلام اخترت موضوع رسالتي للماجستير "التناسخ: جذوره وتأثيره في غلاة الشيعة دراسة ونقدًا" ودعتني لاختيار هذا الموضوع أسباب، وهي:

١- أنني أعيش في دولة الهند، ومعلوم أن معظم سكانها الهندوس، وهم أشد الأمم في الإيمان الجازم بعقيدة التناسخ إلى يومنا هذا، فالمجاهرة بهذا المعتقد عند الشعب الهندوسي عامة ودعوة رجال الدين إليه خاصة أمر ثابت، فصار معتقد الناس -الهندوس- في أرجاء البلاد حتى لقد تجسدت هذه

العقيدة في الأفلام والمسلسلات والمجلات والصحف الهندية، فالرغبة في البحث عن هذا المعتقد أمر استوجبته الظروف البيئية بالنسبة لي.

٢- إن عقيدة التناسخ من أخطر العقائد التي لعبت دورا هاما في إنكار بعض العقائد الإسلامية، كالبعث والجنة والنار، كما أنها قائمة على التعطيل والتشبيه، ومن ثم إنكار الخالق والرسل، فألزمت نفسي كباحث مسلم بدراسة هذا المعتقد.

٣- إن هذه الفكرة الهدامة لم تكن عند أمة دون أمة بل شاع أمرها لدى كثير من الأمم القديمة، كالمصرية القديمة، والصابئة الحرانية وبعض الفلاسفة اليونان، والمانوية المجوسية، والديانات الهندية، من الهندوسية والجينية والبوذية، الأمر الذي يؤدي إلى القول بأن عقيدة التناسخ ذات أهمية خاصة.

٤- تسربت هذه العقيدة لمعتقدات الفرق الباطنية المنتسبة إلى الإسلام، والتي لازال بعضها موجودا إلى اليوم يدعون لعقائدهم الباطلة، مثل: الإسماعيلية والنصيرية والدروز، وهم يحاولون إثبات التناسخ من النصوص الدينية الإسلامية؛ ومن ثم يؤولون نصوص البعث والجنة والنار. فكل هذا خطر عظيم على الإسلام لا يمكن إغفاله بوجه من الوجوه.

٥- مبلغ علمي لا توجد دراسة علمية خاصة بآثار عقيدة التناسخ في غلاة الشيعة.

كل هذه الأسباب دفعتني إلى أن أدرس هذا الموضوع في رسالتي للماجستير.

أما منهجي في البحث فكان على النحو التالي:

* في بيان جذور التناسخ ونشأته اضطربت النقول التاريخية وتباينت المواقف العقدية، كما أن أخذ اللاحق عن السابق ليس أمرًا حتميا خاصة إن لم يتيقن

اللقاء بينهما، فاعتمدت لذلك في بيان انتقال التناسخ على أساس أن اشتراك السابق واللاحق في العلة يؤدي إلى اشتراكهما في الحكم، وذلك انطلاقا من قوله تعالى: ﴿ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾[1] .

* شرحت الكلمات الغامضة في الهامش، كما ترجمت للأماكن والأعلام غير المشهورة التي وردت في الرسالة، فإن وفي السياق ببيان المراد اكتفيت به.

* رجعت في كثير من مواد الرسالة فيما يتصل بالهندوسية إلى ما كتب بلغة الهند، ونقلت ذلك بجهدي إلى اللغة العربية، فما ورد بالعربية من مراجع الهندوس أو مسلمي الهند مما كتب باللغة الأردية فهو من ترجمتي وجهدي. وفي الهامش ذكرت لغة الكتاب الذي ترجمت بعض فقراته.

* المراجع ذكرتها في الهامش أول ذكرها ببياناتها مفصلة ثم ذكرتها فيما بعد إجمالا.

* المراجع غير العربية ذكرتها أول ذكرها ببياناتها مفصلة بلغتها مع ترجمة اسم الكتاب إلى اللغة العربية، ووضعته بين قوسين (. . .) ثم اكتفيت باسمه غير العربي إذا ورد بعد ذلك.

* جمعت أقوال العلماء في الموضوع، ثم اخترت ما رأيته أولى بالقبول، وفي أخذ المعلومات من المراجع نقلت نصوصها دون تغيير أو صياغة جديدة إلا إذا كانت الحاجة ماسة إلى ذلك، كسعة الموضوع فلخصته بأسلوبي الخاص.

وجاءت الدراسة بتوفيق اللّه تعالى في مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة:

---

(١) الذاريات، الآية: ٥٣.

أما المقدمة: فيها بيان أهمية الموضوع وسبب اختياره ومنهج البحث فيه.

والباب الأول: التناسخ وجذوره، ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: في تعريف التناسخ وأنواعه، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: في تعريف التناسخ، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: في تعريف التناسخ لغة،،

والمطلب الثاني: في تعريف التناسخ اصطلاحًا.

والمبحث الثاني: في بيان أنواع التناسخ.

أما الفصل الثاني: فهو في الجذور التاريخية لعقيدة التناسخ، وهو يشتمل بعد التمهيد على خمسة مباحث:

المبحث الأول: عقيدة التناسخ في الصابئة.

والمبحث الثاني: عقيدة التناسخ في الديانة المصرية.

والمبحث الثالث: عقيدة التناسخ في الديانات الهندية الكبرى، وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: عقيدة التناسخ في البرهمية.

والمطلب الثاني: عقيدة التناسخ في الجينية.

والمطلب الثالث: عقيدة التناسخ في البوذية.

والمبحث الرابع: عقيدة التناسخ عند فلاسفة اليونان.

والمبحث الخامس: عقيدة التناسخ في المجوسية المانوية.

وأما الباب الثاني: ففي بيان التناسخ عند غلاة الشيعة، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في بيان غلاة الشيعة، وانتقال التناسخ إليهم، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: في نشأة الغلو الشيعي.

والمبحث الثاني: في عوامل انتقال التناسخ إلى غلاة الشيعة.

والفصل الثاني: في بيان مقالات غلاة الشيعة في التناسخ:

أولا: مقالات السبئية في التناسخ.

ثانيا: مقالات الكيسانية في التناسخ.

ثالثا: مقالات الخطابية في التناسخ.

رابعا: مقالات الكاملية في التناسخ.

خامسا: مقالات غلاة الإثنى عشرية في التناسخ.

والفصل الثالث: في بيان أثر التناسخ في فرق الشيعة المعاصرة.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أثر التناسخ في الإسماعيلية.

والمبحث الثاني: أثر التناسخ في الدروز.

والمبحث الثالث: أثر التناسخ في النصيرية.

والباب الثالث: في بيان شبه القائلين بالتناسخ والرد عليها، وفيه فصلان:

الفصل الأول: في بيان شبه عقلية والرد عليها.

والفصل الثاني: في بيان شبه نقلية والرد عليها.

موقف الإسلام من عقيدة التناسخ.

وأخيراً **خاتمة الرسالة.** وفيها ذكرت النتائج والفوائد التي وصلت إليها من خلال دراسة الموضوع.

هذا وأسأل الله العلي القدير التوفيق والنجاح، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه أجمعين إلى يوم الدين.



الباب الأول

التناسخ وجذوره التاريخية

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: التناسخ وأنواعه

الفصل الثاني: الجذور التاريخية لعقيدة التناسخ

الفصل الأول

التناسخ وأنواعه

وفيه مبحثان:

المبحث الأول : تعريف التناسخ.

المبحث الثاني: أنواع التناسخ.

المبحث الأول: تعريف التناسخ

المطلب الأول: التناسخ لغة :

وردت عدة معان لمادة نسخ في معاجم اللغة منها :

١- الاكتتاب:

يقال : «نسخ الشيء ينسخه نسخًا وانتسخه واستنسخه : اكتتبه عن معارضه»[١] .

«والنسخ اكتتابك كتابا عن كتاب حرفًا بحرف، تقول : نسخته وانتسخته، فالأصل نسخة والمكتوب عنه نسخة؛ لأنه قام مقامه، والكاتب ناسخ ومنتسخ»[٢] .

«ويقال : نسخت كتابي من كتاب فلان وانتسخته واستنسخته بمعنى»[٣] .

ومن هذا المنطلق جرى اصطلاح النسخ على الكتابة .

٢- الإزالة والإبطال:

يقول الفراهيدي : «النسخ : إزالتك أمرا كان يعمل به، ثم تنسخه بحادث غيره كالآية تنزل في أمر ثم يخفف -غالباً- فتنسخ بأخرى، فالأولى منسوخة، والثانية ناسخة[٤] .

---

(١) لسان العرب، لابن منظور ٣/ ٦١، باب الخاء وفصل النون، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

(٢) تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، ٧/ ١٨١، مادة: نسخ، أبواب الخاء والسين، تحقيق: د/ عبد السلام سرحان، الدار المصرية للتاليف والترجمة، وانظر كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ٤/ ٢٠١، باب الخاء والسين والنون معهما، تحقيق: د/ مهدي المخزومي - د/ إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر.

(٣) أساس البلاغة، لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ص ٢٢٩، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٥هـ= ١٩٦٥م.

(٤) كتاب العين للفراهيدي ٤/ ٢٠١، باب الخاء والسين والنون معهما.

كما يقال: نسخت الشمس الظل وانتسخته: أزالته، ونسخت الريح آثار الديار: غيرتها[١].

وفي التنزيل: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾[٢] ونسخ الآية بالآية: إزالة مثل حكمها.[٣] فنرى أن معنى النسخ هنا إزالة شيءٍ وإبطاله، وإقامةُ آخر مقامه.

٣- نقل الشيء من مكان إلى مكان:

يقول الأزهري: «والنسخ: نقل الشيء من مكان إلى مكان، وهو هو»[٤].

قال العجاج[٥]:

إذا الأعادي حسبونا نخنخوا   بالحدر والقبض الذي لا ينسخ

أي: لا يحول[٦].

والأشياء تناسخ: تداول فيكون بعضها مكان بعض كالدول والملوك.[٧]

وفي الحديث: «**لم تكن نبوة إلا تناسخت**»[٨]، أي: تحولت من حال

---

(١) الصحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري، ١/ ٤٣٣، باب الخاء، وفصل النون، مادة: (نسخ)، دار الملايين، بيروت، ط: ثانية، ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٦.

(٣) لسان العرب، لابن منظور ٣/ ٦١، باب الخاء وفصل النون، وانظر كذلك الصحاح للجوهري ١/ ٤٣٣، باب الخاء وفصل النون، مادة (نسخ).

(٤) تهذيب اللغة للأزهري ٧/ ١٨١.

(٥) هو: عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي، أبو الشعشاء، العجاج، راجز مجيد، من الشعراء. ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها، ثم أسلم وعاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك ففلج وأقعد، وهو أول من رفع الرجز وشبهه بالقصيد. توفى نحو ٩٠ هـ. انظر الأعلام للزركلي ٤/ ٨٦، ٨٧.

(٦) لسان العرب لابن منظور ٣/ ٦١.

(٧) المرجع السابق.

(٨) رواه مسلم بسنده عن خالد بن عمير العدوي، صحيح مسلم ٤/ ٢٢٧٨، كتاب الزهد، رقم الحديث: ٢٩٦٧، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، ط: ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م. وفي مسند أحمد بلفظة «لم تكن نبوة قط إلا تناسخت»، مسند أحمد ٤/ ١٨٤.

إلى حال.[١]

وتناسخ الورثة وهو موت ورثة بعد ورثة والميراث لم يقسم[٢].

وتناسخ الأزمنة تداولها أو انقراض قرن بعد قرن آخر.[٣]

ومما سبق يتضح أن "للنسخ" ثلاثة معان يدور كلها حول معنى انتقال من حال إلى حال، أخذ الثاني صورة الأول أو حلّ محلّه.

وعليه فإن معنى تناسخت الأرواح «أي: انتقلت من أجسام إلى أخرى»[٤].

المطلب الثاني: التناسخ اصطلاحًا:

وردت عدة تعريفات لتناسخ الأرواح تباينت بين الإطلاق والتقييد، منها:

٢- ويقول الجرجاني في تعريفه: «التناسخ عبارة عن تعلق الروح بالبدن بعد المفارقة من بدن آخر من غير تخلل زمان بين التعلقين للتعشق الذاتي بين الروح والجسد»[٥].

١- يعرف الدكتور المسير تناسخ الأرواح بأنه «رجوع الروح بعد موت البدن إلى العالم الأرضي متلبسة بجسد جديد»[٦].

---

(١) تاج العروس، للزبيدي ٢/ ٢٨٢، فصل النون من باب الخاء. دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، ط: ١٣٨٦هـ.

(٢) كتاب العين، للفراهيدي ٤/ ٢٠١.

(٣) القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب فيزوز آبادي، ١/ ٢٨١، فصل النون والواو، باب الخاء. المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

(٤) المعجم الوسيط، ٢/ ٩١٧.

(٥) التعريفات، للشريف علي بن محمد الجرجاني، ص ٦٨، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.

(٦) الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة، للدكتور محمد سيد أحمد المسير ص ٢٠٣، دار المعارف، القاهرة، ط: ثانية ١٩٨٨م، وانظر أديان الهند الكبرى، للدكتور أحمد شلبي، ص ٦٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط: خامسة ١٩٧٩م.

٣- ويقول بعض الفلاسفة: التناسخ هو «انتقال النفس الناطقة من بدن إلى بدن آخر»[١].

٤- ويعرف الدكتور رؤوف شلبي تناسخ الأرواح بأنه «انتقال الروح من حياة رجل إلى حياة آخر عن طريق الولادة الثانية»[٢].

٥- ويقول محمد فريد وجدي في تعريفه: هو «عودة الروح بعد مفارقتها للأبدان إلى أبدان أخرى حيوانية أو إنسانية»[٣].

وبتأمل ما سبق نجد أن مفهوم التناسخ عند القائلين به يندرج تحت بعض التعاريف، ويفارق بعضها في صورة أو أخرى.

ومن ذلك أن التناسخ يكون في الإنسان والحيوان والنبات والجماد، فيخرج بذلك التعريف الرابع والخامس.

كما أن التناسخ لا يمكن أن يرادف معنى البعث، فالبعث شيء والتناسخ شيء آخر، فيخرج بذلك التعريف الثالث، حيث أن العموم يوهم الالتباس بين التناسخ والبعث.

أما تعريف الجرجاني: فقد جعل العلة للتناسخ التعشق الذاتي، والتناسخ عند أهله لا يقف على ذلك، بل على أساس حتمية الجزاء، ولا تتعلق الروح عندهم بالبدن لعلة ذاتية.

وبعد ذلك كله التعريف المختار عندي هو ما قيل فيه: «رجوع الروح بعد موت البدن إلى العالم الأرضي متلبسة بجسد جديد»، فإن هذا التعريف يشمل جميع مراتب التناسخ؛ النسخ، والمسخ، والفسخ، والرسخ[٤]. كما أنه يدفع

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون، للشيخ المولوي التهانوي، ٦/ ١٣٨٠، منشورات شركة خياط، بيروت.

(٢) التفكير الديني في العالم قبل الإسلام، للدكتور رؤوف شلبي، ص ١٨٠.

(٣) انظر دائرة معارف القرن العشرون، لمحمد فريد وجدي، ١٠/ ١٧٢، دار الفكر.

(٤) سيأتي تفصيل مراتب التناسخ في المبحث الثاني من هذا الفصل إن شاء الله.

توهم دخول البعث في تعريف التناسخ.

والحقيقة أن البعث (كما هو رأى البعض) شيء يقع في يوم محدد بعد نهاية هذا العالم، وتبعث الأرواح في نفس الأجساد البالية يحييها اللّه عزوجل بقدرته ومشيئته. وأما التناسخ عند القائلين به فيكون بانتقال الأرواح من أجساد إلى أجساد أخرى في هذا العالم.

وعلى هذا لا تشابه ولا اختلاط بين التناسخ والبعث، فإن قيد «العالم الأرضي» يمنع التناسخيين من استدلالهم بكل ما ورد عن البعث على أنه تناسخ.

المبحث الثاني: أنواع التناسخ.

اتضح في معنى التناسخ أنه انتقال من مكان إلى مكان آخر، أو من جسم إلى جسم آخر، ولهذا الانتقال أشكال وأنواع مختلفة اعتقد بها بعض أصحاب الأديان، والشيعة الغلاة.

ويمكن حصر هذه الأنواع في نوعين رئيسين:

أولا: تناسخ الروح الإنسانية في أجسام أخرى:

وأعنى به انتقال روح الإنسان بعد موته في جسد آخر.

ولهذا الانتقال صورتان:

١- الانتقال الخاص:

وفيه تنتقل الروح إلى جسم إنسان أو جسم حيوان أو نبات أو جماد، فتناسخ روح الإنسان في هذه الأجسام بجميع درجاته، هو مما اعتقدت به الهندوسية والجينية والبوذية، إلا أن بعض البوذية الحديثة تؤمن بالنسخ فقط.

وفي هذه المراتب التناسخية يقول الشهرستاني: «ومراتب التناسخ أربعة: النسخ، والمسخ، والفسخ، والرسخ»[١].

فالنسخ هو انتقال الروح الإنسانية إلى جسم إنسان آخر.

والمسخ هو انتقال الروح الإنسانية إلى جسم حيوان.

والفسخ هو انتقال الروح الإنسانية إلى جسم الجمادات.

والرسخ هو انتقال الروح الإنسانية إلى الجسم النباتي[٢].

---

(١) الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ١/ ١٧٨، تصحيح وتعليق: أحمد فهمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ثانية، ١٤١٣هـ= ١٩٩٢م.

(٢) انظر هامش الملل والنحل، للشهرستاني ١/ ١٧٨، نقلا عن شرح المواقف ثان، ص ٤٤٤، وتحقيق ما للهند، لأبي الريحان البيروني، ص ٤٩، طبعة حيدرآباد - الهند، ١٣٧٧هـ= ١٩٥٨م.

٢- الانتقال العام:

وفيه لا يكون الانتقال فرديا، بل يكون جماعيًا بحيث تنتقل الأدوار الزمنية المحددة بجميع ما في العالم إلى مثل ما كان عليه، وذلك بعد انتهاء زمن محدد، فيبدأ الدور الثاني، ثم الثالث، وهكذا . . .

وهذا النوع يسمى تناسخ الأكوار والأدوار.

والأكوار: جمع كَور، ومعناه اللف واللوث، جاء في لسان العرب: «الكور: لوث العمامة، يعني إدارتها على الرأس»[١].

والأدوار: جمع دور الذي معناه الطواف. يقول ابن منظور: «يقال: دار يدور، واستدار يستدير بمعنى إذا طاف حول الشيء، وإذا عاد إلى الموضع الذي ابتدأ منه»[٢].

فتناسخ الأكوار والأدوار هو تكرار الدوران والطواف بما في العالم، ويحدث في كل مرة مثل ما حدث في السابق، وعلى ذلك عرف الشهرستاني هذا النوع، فقال: «هو أن يتكرر الأكوار والأدوار إلى ما لا نهاية لها، ويحدث في كل دور مثل ما حدث في الأول»[٣].

ومما يلاحظ في هذا النوع أن الروح تتلبس بلباس جديد في كل دور.

وقد آمن بهذا النوع من التناسخ كل من الهندوسية والصائبة الحرانية، كما سيتضح ذلك في الفصل الثاني إن شاء الله.

ثانياً: تناسخ الروح الإلهية في الأنبياء والأئمة:

غلاة الشيعة غلوا في أئمتهم حيث شبهوهم بالإله وشبهوا الإله بالإنسان.

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٥/ ١٥٥، وانظر أيضاً الصحاح للجوهري ٢/ ٨٠٩.

(٢) لسان العرب لابن منظور ٤/ ٢٩٦.

(٣) الملل والنحل، للشهرستاني ٢/ ٣٦٢.

وبإنزال الإله من مرتبته إلى المرتبة الإنسية وإعطاء أئمتهم مرتبة الألوهية، بدأوا القول بحلول الجزء الإلهي أو الروح الإلهية في الأنبياء، ومن ثم انتقال هذه الروح من الأنبياء إلى الأئمة، وعلى هذا «يعتبر التناسخ فرعًا من مبدأ الحلول»[١].

وأما بداية هذا النوع من التناسخ فلا شك أن الفرقة السبئية من الغلاة هي التي اعتقدته في علي رضي الله عنه، يقول البغدادي: «وأول من قال بهذه الضلالة السبئية من الرافضة لدعواهم أن عليًا صار إلها حين حل روح الإله فيه»[٢]. ثم «قالت بتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة بعد علي»[٣] رضي الله عنه.

وكذلك البيانية من الغلاة قالوا في "بيان"[٤] «أن روح الإله قد حل فيه وأنه يحل في الأنبياء والأئمة، وينتقل من واحد إلى واحد آخر»[٥].

والجناحية أتباع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر «يزعمون أن روح الإله تحل في الأنبياء والأئمة، وتنتقل من بعضهم إلى بعض»[٦].

---

(١) الغلو والفرق الغالية، للدكتور عبد الله السامرائي، ص ١٢٩، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م.

(٢) الفرق بين الفرق، لعبد القاهر البغدادي، ص ٢٧٢، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: مكتبة محمد علي صحبيح وأولاده، بميدان الأزهر بمصر.

(٣) الملل والنحل، للشهرستاني ١/ ١٧٧.

(٤) هو: بيان بن سمعان التميمي، صاحب فرقة البيانية، وسيأتي تفصيل ذلك في المبحث الثاني، والفصل الثاني من الباب الثاني.

(٥) التبصير في الدين، لأبي المظفر الأسفرائيني ص ٧٢، تخريج وتعليق: محمد زاهد الكوثري، الناشر: السيد عزت العطار مؤسس و مدير مكتب نشر الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٣٥٩هـ = ١٩٤٠م، وانظر الفرق بين الفرق، ص ٢٣٧.

(٦) التبصير في الدين، ص ٧٢، وانظر الفرق بين الفرق ص ٢٤٦، وفرق الشيعة للنو بختي والقمي ص ٤٧، تحقيق: د/ عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م، ومقالات الإسلاميين للأشعري، ص ٦٧، ٦٨.

وكذلك بعض الفرق الأخرى من الغلاة قالوا بانتقال الإلهية في أئمتهم، يقول البغدادي: «وكذلك دعوى الخطابية في أبي الخطاب، وكذلك دعوى قوم من الريوندية[١] في أبي مسلم صاحب دولة بني العباس، فهؤلاء يقولون بتناسخ روح الإله دون أرواح الناس»[٢]. وكذلك الحربية أتباع عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي، «وكان يدعي أنه روح الإله انتقلت عن عبد الله بن محمد بن الحنفية إليه»[٣].

وعلى ذلك فالغلاة قالوا بحلول روح الإله في الأنبياء، ثم تناسخها في الأئمة. ولم يقف الغلاة عند حدود انتقال روح الله إلى الأئمة مروراً بالأنبياء بل تعدوا ذلك إلى انتقالها بين دعاتهم من إمام إلى إمام، فصرحوا بالقول بتناسخ الإمامة من شخص إلى شخص.

فأبو كامل صاحب الفرقة الكاملية «كان يقول: الإمامة نور يتناسخ من شخص إلى شخص»[٤]. وكذلك المنصورية «أتباع أبي منصور العجلي الذي زعم أن الإمامة دارت في أولاد علي حتى انتهت إلى أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي، المعروف بالباقر، وادعى هذا العجلي أنه خليفة الباقر»[٥].

وكذلك الرزامية الذين أفرطوا في موالاة أبي مسلم «قالوا: إن الإمامة انتقلت من أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية إلى محمد بن عبد الله بن عباس بوصية أبي هاشم، ثم انتقلت من محمد إلى ابنه إبراهيم، ثم من إبراهيم إلى عبد الله الذي كان يدعى أبا العباس السفاح، ومنه إلى أبي مسلم»[٦].

---

(١) وسيأتي تفصيل هذه الفرقة في الباب الثاني، الفصل الثاني، إن شاء الله.

(٢) الفرق بين الفرق، للبغدادي، ص ٢٧٣.

(٣) الفرق بين الفرق، ص ٢٤٣، التبصير في الدين، ص ٧٣.

(٤) الملل والنحل ١/ ١٧٨.

(٥) الفرق بين الفرق، ص ٢٤٣، ٢٤٤.

(٦) التبصير في الدين، ص ٨٦.

هكذا تدرج الغلاة من القول بتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة إلى القول بتناسخ الإمامة. وهذا يعني أن التناسخ عند الغلاة قد بلغ شوطًا بعيدا فلم يقف على ولي بعد نبي، وإنما صار للأئمة إماماً بعد إمام.

ونخلص من ذلك إلى ما يأتي:

١- أن التناسخ بنوعيه ومراتبه الأربعة المتصلة بالنوع الأول (وهي: النسخ والمسخ والفسخ والرسخ) اعتقد به بعض أصحاب الأديان، وبعض فرق غلاة الشيعة.

٢- ونلاحظ أن الاعتقاد بالحلول جر القائلين به للقول بالتناسخ. فالغلاة أول ما اعتقدوا حلول الروح الإلهية في شخص، ثم انتقال هذه الروح من هذا الشخص إلى أشخاص أخرى، فصار انتقال هذه الروح من شخص لآخر تناسخًا.

٣- وأما تناسخ الأكوار والأدوار ففيه تنتقل الروح أيضًا في كل دور إلى أجساد جديدة من ضمن انتقال العالم إلى أدوار مختلفة بصورة عامة.

الفصل الثاني

الجذور التاريخية لعقيدة التناسخ

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول : عقيدة التناسخ في الصابئة.

المبحث الثاني: عقيدة التناسخ في الديانة المصرية.

المبحث الثالث: عقيدة التناسخ في الديانات الهندية الكبري.

المبحث الرابع: عقيدة التناسخ عند فلاسفة اليونان.

المبحث الخامس: عقيدة التناسخ في المجوسية المانوية.

تمهيد:

اختلفت طبيعة الحياة إقبالا وإدباراً، صحوا ونومًا، موتا وحياة، وتجسدت هذه المظاهر في جسد الإنسان في نومه ويقظته وحياته وموته. وجاءت رسل اللّه في كل الأمم تدعوهم لعبادة اللّه وحده وإلى العمل الصالح لنيل الجزاء يوم الدين بعد تقرير عقيدة البعث واليوم الآخر.

لكن حكمة اللّه تعالى اقتضت انقسام الناس إلى فريقين: فريقٌ هدى، وفريقٌ حق عليهم الضلال، فتنازع الحق والباطل أمر الروح التي بها قوام الجسد في هذه الحياة، وكذلك أمر البعث والجزاء يوم الدين.

فأما أهل الحق فقالوا: آمنا به كل من عند ربنا، واستقاموا على ما جاء به رسل اللّه، فآمنوا واستقاموا وهدوا رشداً.

أما أهل الباطل فاضطربت الأخبار والمشاهدات في عقولهم، وخاضوا بعقولهم فيما لا قبل لهم به، وقاسوا الغائب على الشاهد، وقالوا بأهوائهم ما يجافي المعقول ويناقض المنقول، وتباينت تصوراتهم لهذا المعنى واضطربت مفاهيمهم لطبيعة الروح وعلاقتها بعد مفارقة الجسد وتحقق الجزاء وصورته، فقالوا بالتناسخ على صور متباينة سنأتي عليها إن شاء اللّه في عرض معتقدات الأمم لهذه العقيدة المنحرفة عن عقيدة حتمية الجزاء وخلود الروح.

وعقيدة التناسخ شغلت كثيراً من الأمم القديمة من الصابئة وقدماء المصريين وأصحاب الديانات الهندية الكبرى، وبعض فلاسفة اليونان، وبعض المجوس.

وقد أصبحت هذه العقيدة في الديانة البرهمية من المعتقدات الهامة، وبقيت إلى يومنا هذا بشكل حي.

فنتعرض لتلك الديانات والأمم في حدود ما يتعلق بهذه العقيدة حتى نعرف جذورها وأصولها.

المبحث الأول: عقيدة التناسخ عند الصابئة[١].

الصابئة:

من الأمم القديمة التي شاعت عندها عقيدة التناسخ الصابئة الحرانيون، حتى ذهب بعض العلماء إلى أن التناسخ نشأ منهم.

والصابئة: «قوم مدار مذهبهم على التعصب للروحانيين واتخاذهم وسائط، ولما لم يتيسر لهم التقرب إليها بأعيانها والتلقي منها بذواتها فزعت جماعة منهم إلى هياكلها . . . وجماعة نزلوا عن الهياكل إلى الأشخاص (الأصنام) التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عن أحد شيئًا»[٢].

وقد اختلف في نشأة الصابئة، فقال المسعودي بعد ذكر الملك "طهمورث"[٣]: «وظهر في عصره رجل يقال له: "بوذاسف" وهو أحدث مذهب الصابئة»[٤].

وإليه ذهب المقدسي فقال: «وفي أيامه ظهر رجل بأرض الهند ودعا الناس إلى ملة الصابئين، اسمه بوذاسف فتفرق الناس واختلف أديانهم»[٥].

---

(١) حول معنى الصابئة يقول الشهرستاني: «أن الصبوة في مقابلة الحنفية، وفي اللغة صبا الرجل إذا مال وزاغ، وبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم: الصابئة». الملل والنحل للشهرستاني ٢/ ٢٨٩، وانظر تلبيس ابليس لابن الجوزي، ص ٨٦، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: رابعة ١٤١٤هـ= ١٩٩٤م.

(٢) تفسير روح المعاني، لأبي الفضل شهاب الدين الآلوسي، ١/ ٢٧٩، دار الفكر، بيروت، ط: ١٣٩٨هـ= ١٩٧٨م.

(٣) هو: ابن هوشنك بن سيامك بن كيومرت، ملك من قدماء ملوك الفرس، من الطبقة البيشدادية الأولى، انظر: دائرة المعارف، لبطرس البستاني ١١/ ٣٤٤، مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان، تهران.

(٤) مروج الذهب، للمسعودي ١/ ٢٢٢، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط: ١٤٠٩هـ= ١٩٨٩م.

(٥) البدء والتاريخ، للمطهر بن طاهر المقدسي، ٣/ ١٣٩، طبع في مدينة شالون على نهر سون، بمطبع برطرند.

وهناك رأى آخر وهو أن "بيوراسب"[١] أول من أظهر القول بمذهب الصابئين[٢].

ويظهر خطأ الرأى الأول بأن "بوذا" الذي هو بوذاسف ولد سنة ٥٦٨ قبل الميلاد، وتوفى سنة ٤٨٨ قبل الميلاد، وكان هذا عصر كيخسرو بن سيادش الكياني الذي ولد سنة ٥٨٠ ق م، وحسب مؤرخي إيران كان طهمورث قبل كيخسرو بألف وخمس مائة سنة[٣].

ويمكن أن المقدسي أراد أن مذهب الصابئة كان موجوداً قبل بوذا فجاء ودعا الناس إلى هذا المذهب. وفيه نظر؛ لأنه لم يرد أن بوذا دعا الناس إلى عبادة الكواكب أو تقديسها.

هذا إذا كان المراد بشخص "بوذاسف" مؤسس البوذية، ولا يمنع أن يكون هناك شخص آخر بنفس الاسم في وقت سابق لوقت بوذا بناء على قول المسعودي.

أما إذا كان المراد به مؤسس البوذية فلا يصح للاعتراضات السابقة.

وعلى كل فمذهب الصابئة قديم جداً يرجع إلى ما قبل إبراهيم عليه السلام.

يقول العقاد في الصابئة: «والمحقق من أمرهم أنهم يرجعون إلى أصل قديم؛ لأن استقلالهم باللغة الدينية والكتابة الأبجدية لم ينشأ في العصر الحديث، ولهذا يفهم الدارسون للأديان أن تحقيق لغتهم وكتابتهم يؤدي إلى

---

(١) هو: الازدهاق أو الضحاك، انظر هامش كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري ١/٣٨، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م.

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر كتاب البرامكة، لمحمد عبد الرزاق كانبوري، ص ٦١، بلغة أردو، نفيس أكيدمي، كراتشي - الباكستان، ط: سادسة، ١٩٦١م.

جلاء الغوامض عن كثير من تاريخ الكلدان[١] في الزمن الذي قام فيه الخليل بدعوته»[٢].

واعتبر ابن حزم هذا المذهب من أقدم الأديان، يقول: «وكان الذي ينتحله الصابئون أقدم الأديان على وجه الدهر، والغالب على أهل الدنيا إلى أن أحدثوا فيه الحوادث، وبدلوا شرائعه بما ذكرنا، فبعث اللّه عزوجل إليهم إبراهيم خليله صلى اللّه عليه وسلم بدين الإسلام الذي نحن عليه الآن، وتصحيح ما أفسدوه بالحنفية السمحة التي أتى بها محمد ﷺ من عند اللّه تعالى. فبين لهم كما نص في القرآن بطلان ما أحدثوه من تعظيم الكواكب وعبادتها وعبادة الأوثان، فلقي منهم ما نصه اللّه في كتابه، وكانوا في ذلك الزمان وبعده يسمون بالحنفاء، ومنهم اليوم بقايا بحران[٣]، وهم قليل جدًا»[٤].

وقد تشابهت بعض عقائد الصابئة بعقائد الأديان الأخرى من اليهودية والمسيحية والمجوسية وغير ذلك، مما ترتب عليه اختلاف المؤرخين والمفسرين في عزو ديانة الصابئة إلى تلك الديانات.

وقد رأى العقاد لهذا التشابه سببًا خاصا؛ لأن موطن الصابئة كان قريبًا من خليج فارس الذي ظل ممرًا لكثير من الأمم «فليس بالعجيب أن تعلق بعقيدة

---

(١) كلدانيا: منطقة من مناطق بلاد بابل القديمة، تقع حاليا في جنوب شرق العراق، تمكن الكلدانيون من تطوير حضارة عظيمة في تلك البلاد، الموسوعة العربية العالمية ٢٠/١٧، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط: أولى، ١٤١٦هـ= ١٩٩٦م.

(٢) إبراهيم أبو الأنبياء، لعباس محمود عقاد، ص ١٧٤ -١٧٥، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت.

(٣) وهي مدينة عظيمة مشهورة من جزيزة أقور، وهي قصبة ديار مضر، بينها وبين الرّها يوم، وبين الرقة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم، قيل: سميت بهاران، أخي إبراهيم عليه السلام؛ لأنه أول من بناها، فعربت فقيل: حرّان. معجم البلدان لأبي عبد اللّه ياقوت الحموي ٢/ ٣٢٥، دار صادر، بيروت.

(٤) الفصل، لابن حزم ١/ ٨٨، ٨٩.

الصابئة الأقدمين مسحة من كل ملة على طول الزمن وتتابع العهود»[١] .

والصابئة فرق اندثرت معظمها وآخر ما اندثر صابئة الحرانيين، والموجود منها حتى الآن في العراق وجنوب إيران "صابئة المندائيين "[٢] .

وأشهر الفرق أربع :

١- أصحاب الروحانيات "المندائيون" .

٢- أصحاب الهياكل .

٣- أصحاب الأشخاص .

٤- أصحاب الحلول "الحرانيون"[٣] .

ويحكي لنا ابن النديم عقائد الصابئة الكلدانيين فيقول :

«اجتماع القوم على أن للعالم علة لم يزل واحد (كذا) لا يتكثر، لا يلحقه صفة شيء من المعلولات، كلف أهل التمييز من خلقه الإقرار بربوبيته، وأوضح لهم السبيل، وبعث رسلا للدلالة وتثبيتا للحجة، أمرهم أن يدعوا إلى رضوانه ويحذروا من غضبه، ووعدوا من أطاع نعيمًا لا يزول، وأوعدوا من عصى عذابًا واقتصاصا بقدر استحقاقه، ثم ينقطع ذلك»[٤] .

يتضح من ذلك أن عقيدتهم عقيدة توحيد وصواب، ولعل هذا يرجع إلى

---

(١) إبراهيم أبو الأنبياء، لعباس عقاد، ص٨٩.

(٢) انظر كتاب الصابئون حرانيين ومندائيين، للدكتور رشدي عليان، ص١٨، ١٩، مطبعة دارالسلام، بغداد، ١٩٧٦م،

والمندائيين: يعني كلمة مندائي باللغة الآرامية (العارف) من الفعل (مدّعا) أي: عرف أو علم. انظر هامش كتاب الصابئة المندائيون، الليدي دراودر، ص٨ (نقلا عن تاريخ الأدب السرياني للدكتور مراد كامل)، ترجمة: نعيم بدوي، غضبان رومي، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٦٩م.

(٣) انظر كتاب الصابئون حرانيين ومندائيين للدكتور رشدي عليان، ص٤٧، وانظر كذلك للتفصيل الملل والنحل للشهرستاني ٢/ ٢٨٩، ٣٤٨، ٣٥٩.

(٤) الفهرست، لابن النديم، ص٣٨٣، تحقيق: رضا تجدد.

قرب عهدهم بالنبي المبعوث إليهم.

وعد ابن حزم الصابئة من ضمن القائلين بتعدد فاعل العالم ومدبره حيث يقول: «وقد يضاف إلى جملة من قال: إن مدبر العالم أكثر من واحد الصابئون وهم يقولون بقدم الأصلين على ما قدمنا من نحو قول المجوس، إلا أنهم يقولون بتعظيم الكواكب السبعة والبروج الاثنى عشر ويصورونها في هياكلهم، ويقولون بقدمها ويقربون الذبائح والدخن . . . »[١].

فالظاهر من رأيه أن عقيدتهم ثنوية. ولعل هذا يرجع إلى طول بعدهم عن زمن نبيهم وانحرافهم عن الإيمان الصحيح.

ولذلك الرأى الصحيح أن من الصابئة من يدين بدين المشركين، ومنهم من يدين بدين صحيح، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وهو يتحدث عن الفلاسفة والدهرية: « والفريقان جميعًا كذبوا بالكتاب وبما أرسل الله به رسله من الإخبار بالغيب إلا من كان منهم من الصابئة الحنفاء الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون صالحاً فأولئك سعداء في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢]

وأما الصابئة المشركون، الذين يعبدون الكواكب والأوثان، ونحوهم من الفلاسفة المشركين فهؤلاء كفار كسائر المشركين»[٣].

---

(١) الفصل، لابن حزم ١/ ٨٨، ٨٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٦٢.

(٣) درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧/ ٣٣٤، تحقيق: د/ محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالرياض، ط: أولى، ١٤٠٢هـ= ١٩٨١م.

عقيدة الصابئة بالتناسخ:

من فرق الصابئة التي تعتقد بالتناسخ الصابئة الحرانية، وعنهم يقول القاضي عبد الجبار[١]: «وحكى عن أحمد[٢] بن الطيب: إن الصابئين يزعمون في العالم أنه لا يعاد، وليس وراء هذه الدار دار غيرها لثواب، وأن الثواب في الدنيا بالكرور في النعيم واللذات، والعقاب في التناسخ في أنواع البهائم»[٣].

ويؤكد هذا ابن الجوزي فيقول: «وبعضهم يقول: هذا العالم لا يفني وأن الثواب والعقاب في التناسخ»[٤].

وقد فصل الشهرستاني عقيدة الصابئة الحرانيين في التناسخ، وذهب إلى أن أصل التناسخ نشأ منهم فيقول: «هم جماعة من الصابئة قالوا: الصانع المعبود واحد كثير. أما الواحد ففي الذات والأول والأصل والأزل. وأما الكثير فلأنه يتكثر بالأشخاص في رأى العين، وهي المدبرات السبع، والأشخاص الأرضية الخيرة العالمة الفاضلة، فإنه يظهر بها ويتشخص بأشخاصها، ولا تبطل وحدته في ذاته»[٥].

---

(١) هو: أبو الحسين عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني الأسد آبادي، الشافعي المعتزلي، وهو الذي تلقبه المعتزلة قاضي القضاة . . . المتوفى بالري سنة خمس عشرة وأربع مائة. ودفن في داره. الرسالة المستطرفة، للسيد محمد بن جعفر الكتاني، ص ١٢٠، ط: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة. وانظر لسان الميزان، لابن حجر ٣/ ٣٨٦، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، ط: ثانية ١٣٩٠هـ = ١٩٧١م.

(٢) هو: أبو العباس أحمد بن محمد بن مروان السرخسي، ممن ينتمي إلى الكندي . . . وكان متفننا في علوم كثيرة من علوم القدماء والعرب. . . وكان أولا معلما للمعتضد، ثم نادمه وخص به، وكان يفضي إليه بأسراره ويستشيره في أمور مملكته، مات في أول سنة ست وثمانين ومائتين. الفهرست، لابن النديم ص ٣٢٠، وانظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١٣/ ٤٤٨، ٤٤٩، ولسان الميزان لابن حجر ١/ ٨٧.

(٣) المغني، إملاء القاضي عبد الجبار ٥/ ١٥٢، ١٥٣، تحقيق: محمود محمد الخضيري.

(٤) تلبيس إبليس، لابن الجوزي، ص ٨٧.

(٥) الملل والنحل، للشهرستاني ٢/ ٣٥٩، ٣٦٠.

ومن هنا يظهر اعتقادهم بالحلول حيث يحل الصانع المعبود في المدبرات السبع والأشخاص، ومر سابقًا أن التناسخ يعتبر فرعًا من مبدأ الحلول.

ثم يستطرد الشهرستاني قائلا: «وقالوا هو أبدع الفلك وجميع ما فيه من الأجرام والكواكب، وجعلها مدبرات هذا العالم، وهم الآباء والعناصر أمهات، والمركبات مواليد، والآباء ناطقون، يؤدون الآثار إلى العناصر فتقبلها العناصر في أرحامها، فيحصل من ذلك المواليد، ثم من المواليد قد يتفق شخص مركب من صفوها دون كدرها، ويحصل مزاج كامل الاستعداد، فيتشخص الإله به في العالم، ثم إن طبيعة الكل تحدث في كل إقليم من الأقاليم المسكونة على رأس كل ستة وثلاثين ألف سنة وأربعمائة وخمس وعشرين سنة زوجين من كل نوع من أجناس الحيوانات ذكرًا وأنثى من الإنسان وغيره، فيبقى ذلك النوع تلك المدة ثم إذا انقضى الدور بتمامه انقطعت الأنواع نسلها وتوالدها فتبدى دور آخر، ويحدث قرن آخر من الإنسان والحيوان والنبات، وكذلك أبد الدهر، قالوا: وهذه هي القيامة الموعودة على لسان الأنبياء، وإلا فلا دار سوى هذه الدار ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إلا الدَّهْرُ﴾[1] . . .

وإنما نشأ التناسخ والحلول من هؤلاء القوم، فإن التناسخ هو أن يتكرر الأكوار والأدوار إلى ما لا نهاية لها، ويحدث في كل دور مثل ما حدث في الأول، والثواب والعقاب في هذه الدار لا في دار أخرى لا عمل فيها، والأعمال التي نحن فيها إنما هي أجزية على أعمال سلفت منا في الأدوار الماضية، والراحة والسرور والفرح والدعة التي نجدها هي مرتبة على أعمال البر، التي سلفت منا في الأدوار الماضية، والغم والحزن والضنك والكلفة التي نجدها هي مرتبة على أعمال الفجور التي سبقت منا، وكذلك كان في الأول، وكذا يكون في الآخر والانصرام من كل وجه غير متصور من الحكيم»[2].

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٤.

(٢) الملل والنحل ٢/ ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢.

وقد حدد المقدسي هذه الأدوار عند الصابئة فقال: «وقال بعض أوائله: أنه يعذب سبعة آلاف دور ثم ينقطع العذاب ويصير إلى رحمة الله»[١].

وحدد ابن النديم هذه الأدوار بتسعة آلاف دور، ثم يصير إلى رحمة الله[٢].

ومن خلال هذه الاستعراض يمكن أن نلخص النتائج فيما يلي:

١- ديانة الصابئة من أقدم الديانات، حيث أنها ترجع إلى ما قبل إبراهيم عليه السلام.

٢- اهتمام الصابئة بالروح والروحانيين أكثر من الأمم الأخرى حيث وصل إلى حد أن بعضهم عبدوا الروحانيين.

٣- القائلون بالتناسخ هم الصابئة الحرانيون، وليست كل فرق الصابئة على هذا المذهب.

٤- الصابئة آمنوا بخلود الروح، يقول ابن النديم: «وقولهم في النفس: أنها دراكة لا تبيد»[٣] مع الإيمان بالثواب والعقاب، وإنكار القيامة، فكل ذلك أدى إلى الإيمان بالتناسخ، وهو تناسخ الأكوار والأدوار، فالعذاب والثواب يقع في كل دور على ما سلف من الأعمال في الأدوار السابقة.

---

(١) البدء والتاريخ، للمقدسي ١/ ١٩٧.

(٢) انظر الفهرست، لابن النديم، ص ٣٨٣.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٨٥.

المبحث الثاني: عقيدة التناسخ في الديانة المصرية :

ذهب "غوستاف لوبون" إلى ما رآه المؤرخ اليوناني القديم "هيرودوت" عن المصريين فنقل قوله : «قال هيرودوت عن المصريين : إنهم كانوا أكثر الناس تدينا .

وعلى هذا فهم أعظم الشعوب تدينا في القديم ، وكانت الديانة عندهم أسوة بجميع الشرقيين ، وخاصة الهنود ، لها دخل في جميع أعمال حياتهم العمومية والخصوصية ، فيجدها الإنسان حتى في الكتابات التافهة وفي الأوامر الصحية وأوامر البوليس ، فلا نهاية بوادي النيل لعدد الكائنات أو الأشياء المقدسة»[(١)] .

وعلى هذا فالتدين كانت تتجلى مظاهره في كل مظاهر الحياة عند المصريين القدماء .

«إن المصريين كانت ديانتهم تتغير (في صورتها المحرفة)، وعقائدهم تتبدل تبعا لسنة الله في الأمم والكون ما دامت ديانتهم لم تعتمد على أصل سماوي ، بل إن الديانات السماوية نفسها قبل الإسلام كان يعروها التحريف والتغيير والتبديل ، وتفهم على غير وجهها عند ما يكون الناس على فترة من الرسل»[(٢)] .

ورغم تغير وتطور العقائد المصرية عبر الأجيال والقرون ، وتعدد الآلهة حسب الأقاليم والمناطق ، إلا أنه يمكن القول بالإيجاز «إن الاعتقادات الدينية التي ترجع في مصر إلى عصور مختلفة ، وكانت قد تعارضت في النصوص المقدسة ، إنما تأت ، أولا : من عبادة الموتى ، ويتبع هذا بالطبع تأليه الملوك الموتى . ويظهر أن هذه العبادة هي التي كانت سائدة في عصر بناة الأهرامات .

---

(١) الحضارة المصرية ، لغوستاف لوبون ، ص ٤٨ ، ٤٩ . تعريب : م . صادق رستم ، المطبعة العصرية بمصر .

(٢) الديانات القديمة ، لمحمد أبي زهرة ، ص ٧ ، دار الفكر العربي .

وقد أضيفت على هذه العبادة الأصلية، بين أزمان مختلفة، عبادة الشمس وعبادة النيل وعبادة القوى الطبيعية المختلفة»[١].

أما عن عقيدة التناسخ فذهب فريق من العلماء إلى أنها ثابتة عند المصريين القدماء، بل هي عندهم أسبق من غيرهم، وغيرهم في هذه العقيدة لهم تبع، وبعض هؤلاء يرى أنها عقيدة ثابتة عندهم وإنما انتقلت إليهم من غيرهم، بينما ذهب فرق من العلماء بنفي وجود هذه العقيدة في الديانة المصرية القديمة، وسأحاول تحقيق ذلك فيما يلي:

أولا: القائلون بالتناسخ في الديانة المصرية القديمة:

يقول هيرودوت عن المصريين: «وهؤلاء الناس هم أول قوم ذكروا أن نفس الإنسان خالدة، وأنه متى هلك الجسد تدخل النفس في جسد حيوان، وبعد أن تمر بالتتابع في أجساد كل الحيوانات الأرضية والمائية والهوائية تعود إلى جسم إنسان حديث الولادة، وأن انتقالاتها المختلفة تتم في مدة ثلاثة آلاف سنة»[٢].

ويقول ابن الجوزي: «وقد لبس إبليس على أقوام فقالوا بالتناسخ، وأن أرواح أهل الخير إذا خرجت دخلت في أبدان خيرة فاستراحت، وأرواح أهل الشر إذا خرجت تدخل في أبدان شريرة فيتحمل عليها المشاق، وهذا المذهب ظهر في زمان فرعون موسى»[٣].

ومما تجدر ملاحظته أن التناسخ في مصر قد عرف قبل زمان فرعون موسى بزمن كبير.

---

(١) الحضارة المصرية، لغوستاف لوبون، ص ٤٨.

(٢) تاريخ هيرودوتس، الكتاب الثاني، ص ١٦٦، تعريب: حبيب آفندي، مطبعة القديس جاورجيوس، ١٨٨٦ - ١٨٨٧م.

(٣) تلبيس إبليس، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ص ٩٢، ٩٣.

ويقول محمد فريد وجدي: «وكان المصريون يعتقدون قبل ميلاد المسيح بنحو خمسة آلاف عام بأن الموت عبارة عن انتقال من حال إلى حال أرقى منه، وكانوا يقولون: أن الروح بعد خروجها من الجسد تكتسي بجسد جديد، ولكن أرق من الجسد الدنيوي، وأرقى منه لا تؤثر عليه المؤثرات، وكانوا يسمونه (كا)»[١].

وبعض العلماء رأوا في مذهبهم أن الروح تتناسخ في حالة زيادة السيئات على الحسنات «فإن وجد أن سيئاته أكثر من حسناته رده (بزعمهم) إلى الأرض ليكفر بواسطة أدوار التقمص[٢] من حيوان إلى حيوان، عن الذنوب التي ارتكبها عند ما وصل إلى أعلى درجة من المخلوقات، وهي درجة الإنسان»[٣].

ويقول القزويني[٤] عن بناء الأهرام بمصر: وذكر محمد[٥] بن العربي الملقب بمحي الدين أن القوم كانوا على دين التناسخ، فاتخذوا الأهرام علامة

---

(١) الروح، لمحمد فريد وجدي، ص ١٣، تقديم الدكتور علي عبد الجليل راضي، مطبعة الحضارة العربية، القاهرة.

(٢) هو مرادف التناسخ، مأخوذ من تقمص قميصه، لبسه، فكلما تتناسخ الروح تلبس جسداً، انظر: دائرة المعارف للبستاني ٦/ ٢٢٤، ولسان العرب لابن منظور ٧/ ٨٢.

(٣) الدين والفلسفة والعلم، للسيد محمود أبو الفيض المنوفي، ص ٦٦، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

(٤) هو: زكريا بن محمد بن محمود، من سلالة أنس بن مالك الأنصاري، مؤرخ جغرافي، من القضاة، ولد بقزوين - بين رشت وطهران - ورحل إلى الشام والعراق، فولى قضاء واسط والحلة في أيام المعتصم العباسي، وصنف كتبا منها: "آثار البلاد وأخبار العباد" طبع في مجلدين، انظر الأعلام للزركلي ٣/ ٤٦.

(٥) هو محمد بن علي بن محمد بن عربي، أبو عبد الله الطائي الأندلسي، طاف البلاد، وأقام بمكة مدة، وصنف فيها كتابه المسمى بالفتوحات المكية في نحو عشرين مجلداً، وله كتابه المسمى "بفصوص الحكم" فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح، وأقام بدمشق مدة طويلة قبل وفاته، وتوفى سنة ٦٣٨ هـ، انظر البداية والنهاية لابن كثير، ١٣/ ١٦٧، تدقيق وتحقيق: مجموعة من العلماء، دار الريان، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

لعلهم عرفوا مدة ذهابهم ومجيئهم إلى الدنيا بعلامة ذلك»[١] .

ثانيا: القائلون بعدم وجود التناسخ في الديانة المصرية القديمة:

يرى بعض العلماء أن الديانة المصرية القديمة لم تعرف التناسخ، فيقول الباحث الهندي مولوي سيد مقبول أحمد: «كان الناس على اعتقاد أن المصريين القدماء من القائلين بالتناسخ.

وذلك تصديقًا بقول هيرودوتس، ولكنه في ضوء الاكتشافات الجديدة ظهر أن عقيدة التناسخ ليست من معتقداتهم، بل إنهم كانوا يعتقدون بأن الأرواح بعد الموت تتشكل في أي صورة تشاء حسب رغبتها في عالم الأرواح»[٢] .

ويقول العقاد: « . . . فكان المصريون من أعرق الأمم التي آمنت بالروح، ثم آمنت بالبعث والثواب والعقاب بعد الموت، ورمزوا للروح "كا" تارة بزهرة، وتارة بصورة طائر ذي وجه آدمي، وتارة بتمساح أو ثعبان، وقالوا: بأن الروح تتشكل بجميع الأشكال، ولكنهم لم يقولوا بتناسخ الأرواح»[٣] .

والأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ممن ينفون وجود عقيدة التناسخ عند المصريين. يقول: «وليس في تشكل الروح أشكالا مختلفة فكرة التناسخ؛ لأنه لا حاجة إليه في الديانات المصرية التي لا تؤمن بالرجعة إلى الحياة الدنيا حتى يحتاج الأمر إلى حلول أو تناسخ».

ثم ينقل رأى الأستاذ خليل مطران[٤] يقول: «وبصدد اعتقاد المصريين

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني، ص ٢٦٩، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ط: ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م.

(٢) فلسفهء مذهب، مولوي مقبول أحمد بي اے، ص ٨١ بلغة أردو، مطبوعة نگار مشين پريس لكهنئو.

(٣) الله، عباس محمود العقاد، ص ٦٤، دار المعارف بمصر، الطبعة السادسة.

(٤) هو: خليل بن عبده بن يوسف بن إبراهيم بن ميخائيل المطران، ولد سنة ١٢٨٨هـ، ببعلبك، شاعر أديب، كاتب، صحافي، ويلقب بشاعر القطرين، تعلم في المدرسة البطريركية، بيروت، وسافر إلى باريس، وعاد إلى مصر، وحرر في جريدة "الأهرام" و"المؤيد"، وتوفى بالقاهرة سنة ١٣٦٨هـ. انظر معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة ٢/ ١٢٢، مكتبة المثنى بيروت.

" التناسخ " يقول الأستاذ خليل مطران :

«وفي الكتابات الباقية ما يدل على أنهم كانوا يقولون بالتناسخ على طريقة الهنود»[١] .

ثم يقول : «والحقيقة أن المصريين لم يقولوا بالتناسخ ، وإنما زعموا أن في وسع الروح أن تتخذ أي شكل تريده ، وأن لها قرينًا يسمى "كا" في شكل طائر أو زهرة ، وهو المظهر الآخر للروح أو الشخص ، ومهمته حراسة روح الشخص الذي تمثله ، وتأمين ما يحتاج إليه في العالم الآخر ، وصيانة جسده الآدمي بعد الموت ، والقيام بالوساطة لدى "رع" أو أي إله آخر ، دون أن يكون هناك تناسخ الأرواح»[٢] .

بعد ذكر الرأيين المتعارضين أميل إلى الرأى الأول ، وذلك لوجود نصوص في كتاب الموتى تدل على اعتقادهم بأن الروح تتنقل وتتحول بعد موت الجسد إلى جسد آخر في هذا العالم .

وكتاب الموتى له أهمية كبرى «وهو يعد الكتاب الأعلى عند قدماء المصريين ، يتعبدون بتلاوته وهم أحياء ، ويوضع معهم في قبورهم وهم أموات ، يزعمون أن أحد الآلهة قد كتبه بيده»[٣] .

يقول غوستاف لوبون عن هذا الكتاب :

«لقد كشفت لنا الترجمات الحديثة عن كتابها الأعلى الذي أطلق عليه "لبسيوس" اسم كتاب الموتى ، ومنه وقفنا على فكرة الأبدية ومقدار قوتها لدى شعب يجعل من مثل هذا السفر صوراً تعد بالملايين ويضع إلى جانب كل

---

(١) الديانات والعقائد في مختلف العصور ، أحمد عبد الغفور عطار ١/ ٣٢٤ ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م ، نقلا عن كتاب مرآة الأيام في ملخص التاريخ العام ، ص ٤٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٢٥ .

(٣) الديانات القديمة ، محمد أبو زهرة ، ص ١٩ .

مومياء واحداً منها كأنه جواز سفر إلى الحياة الآجلة»[١] .

جاء في هذا الكتاب : «فصل الظهور في النهار والحياة بعد الموت :

يقول "أوزيريس"[٢] -آني" الظافر (المبرأ) مرحي . . . أيها الواحد المشع من القمر . . . مرحي أيها الواحد المشع من القمر لتضمن لـ "أوزيريس آني" أن يبزغ بين الجموع التي بالخارج .

لتدعه يستقر بين القاطنين في السماء . . . لتدع العالم السفلي يفتح له الأبواب ولننظر أيا "أوزيريس" إن "أوزيريس" - آني" سوف يأتي عند مشرق النهار ليصنع ما يود على الأرض بين الأحياء»[٣] .

يقول د . فليب عطية في حاشية هذا الفصل :

«لعله يجدر الإشارة هنا إلى تصور مصري بالغ القدم بأن الأموات يصعدون إلى السماء حيث يتحولون إلى النجوم التي تشع ليلا»[٤] .

ثم جاء في فصل آخر من هذا الكتاب :

«فصل التحول إلى "عنقاء" (طائر اللقلق) يقول "أوزيريس- آني" الكاتب الظافر في سلام :

لقد جئت إلى الوجود من الهيولى خلقت نفسي في هيئة الإله "خيري" أفرخت في هيئة النباتات ، أخفيت نفسي مثلما السلحفاة . . . لقد تشكلت من بذور جميع الآلهة أنا "الأمس" للأربعة (أركان) واليوريات السبع اللواتي

---

(١) الحضارة المصرية القديمة ، غوستاف لوبون ، ص ٥٥ .

(٢) هو إله الإنبات والخصوبة أو إله النيل في الديانة المصرية القديمة . انظر الديانات القديمة لأبي زهرة ، ص ١٠ .

(٣) كتاب الموتى الفرعوني ، ص ٢٥ ، الترجمة عن الهيرو غليفية : السير : والس بدج ، الترجمة العربية والتعليق : د . فليب عطية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، الطبعة الأولى يناير ١٩٨٨م .

(٤) المرجع السابق ، حواشي الفصل الثاني ، ص ١٩٨ .

جئن إلى الوجود في المشرق . . . الواحد القهار الذي ينير "لكل الشعوب" من جسمه المقدس، إنه الإله الذي قاتل "ست"[١] لكن "تحوت"[٢] توسط بينهما بحكم القاطن في "سخيم" والأرواح التي في "أتو"[٣] لقد بزغت في النهار وسطهم وأتيت . . . لقد مجدت وأصبحت المتلألأ، أنا العظيم أصبحت مقدسًا بين الآلهة . . . إنني الإله "خنسو" الذي يدفع جميع معارضيه.

قاعدة طقسية:

إذا عرف (المتوفى) هذا الفصل فسوف يظهر في النهار بعد قبره وهو نقي، وسوف يحصل على جميع صور التحولات التي يشتهيها قلبه . . . الخ»[٤].

إن في هذا النص صراحة بأن المتوفى يتحول في النهار إلى أشكال مختلفة، وتحول روح المتوفى إلى أشكال وأجساد في هذه الدنيا، هو التناسخ.

وبناء على ذلك يقول الأستاذ استيندرف الألماني:

«ذكرنا آنفا اعتقاد المصريين أن الميت يستطيع مفارقة قبره نهارًا، بل اعتقدوا أنه يقدر على أكثر من ذلك، فكان في قدرته أن يتشكل بأشكال مختلفة حسب رغبته، فيتحول إلى صورة أي مخلوق أراد، غير أنه كان لزامًا عليه أن يعرف التعويذة السحرية الملائمة للصورة التي يختارها، فكان يتحول إلى بجعة أو صقر أو مالك الحزين أو كبش أو تمساح أو زهرة بمجرد تلاوة التعويذة»[٥].

---

(١) ست: هو أخو أوزيريس، الذي حسده وحاول القضاء عليه، حسب الأسطورة المصرية، وهو إله الشر والقحط. انظر الديانات القديمة، لأبي زهرة، ص ١٠.

(٢) تحوت: أو توت، اسم لوزير أوزيريس، وهو إله التدبير والعلم، انظر المرجع السابق، ص١١.

(٣) أتو أو أتون، المراد به الشمس التي كانت رمزًا محسوسًا للإله. انظر الديانات والعقائد لأحمد عبد الغفور العطار ١/ ٣٣٨.

(٤) كتاب الموتى، فصل التحول إلى عنقاء، ص ٩٣-٩٤.

(٥) ديانة قدماء المصريين، ص ٩٥، تاليف: الأستاذ استيندروف الألماني، وتعريب: سليم حسن، مطبعة المعارف، بشارع الفجالة، بمصر.

ولعل تحول الموتى، بتأثير كتاب الموتى، إلى الحيوانات وسيلة للوصول إلى درجة الإنسان من جديد، وربما يتم هذه التحولات بعد مدة طويلة، جاء في كتاب لمحة عامة إلى مصر:

«وكان المصريون يعتقدون بتناسخ الأرواح ويرجعون إلى هذا الاعتقاد في القول بخلود النفس وانتقال الروح بعد فناء الجسم إلى حيوان آخر يوشك أن يولد، وعودتها بعد ثلاثة آلاف عام لتنبت من جديد في الهيئة البشرية، وتستأنف الحياة لمدة أخرى»[١].

وبناء على هذه النصوص من كتاب الموتى التي تدل على أن الديانة المصرية القديمة كانت على صلة وثيقة بعقيدة التناسخ نرجح الرأى الأول، حيث أن النص المثبت مقدم على الاستنتاج المنفي.

---

(١) لمحة عامة إلى مصر، تأليف: أ. ب كلوت بك، تعريب: محمد مسعود ١/ ٤١، مطبعة أبي الهول.

المبحث الثالث: عقيدة التناسخ في الأديان الهندية الكبرى:

الأديان الكبرى في الهند هي الهندوسية (البرهمية) وما تفرع عنها من بوذية وجينية.

ولما كان كل منهم يقول بالتناسخ فسأذكر كلاً منها على حدة وها هو البيان: -

المطلب الأول: عقيدة التناسخ في البرهمية:

إن تاريخ الهند وديانتها يرجع إلى غزو الآريين للهند ودخولهم فيها، وأما قبل ذلك «فصار كنزًا مدفونًا في بطون القدم لم يكشف عنه التاريخ بعد»[١]. ولذلك كان الكشف عن تلك الأمة القديمة وديانتها القديمة صعبًا جدًا.

«ولكن جملة ما يقال فيها وتشير إليه الآثار أن قوام هذه الديانة عبادة النيران، فإنها كانت المعبود المقدس الذي تقدم إليه القرابين من خبز وأعشاب وخمر، ويتولى الكهنة - وهم سدنة معابد النيران- القيام بما يقتضيه التقديم من طقوس ورسوم في تلك الديانة، ولم تكن النار الإله المتفرد بالألوهية، بل كان يشاركها في التقديس آلهة أخرى منها الشمس، لما تفيض به على الكون من أشعة مضيئة وحرارة منعشة للأجسام . . . وكانوا يعتقدون أن هناك عالماً آخر وهو عالم الأموات، وأن الأحياء إذا ماتوا وقد رضيت عنهم آلهتهم تمنح أرواحهم معرفة الغيب، وقدرة على التأثير في الكون والمشاركة في تصريفه وتدبيره بمجرد مغادرتها الأجسام»[٢].

وتاريخ الديانة البرهمية يرجع إلى دخول الآريين في الهند.

ونرى اختلاف الباحثين في الجنس الآري، وموطنهم الأصلي الذي ارتحلوا منه إلى الهند، ففريق يرى أنهم نشأوا ببلاد الدانوب في أوربا ثم اتجهوا

---

(١) الديانات القديمة، للإمام أبي زهرة، ص ٢١.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٢.

إلى آسيا، ومن هنا انحدروا إلى الهند عن طريق فارس.

بينما يرى فريق آخر أن الجنس الآري اسيوي الأصل، كانوا يعيشون في التركستان بالقرب من نهر جيحون فاتجهوا إلى الهند غزاة فاتحين.[١]

«ويبدو أن الزحف الآري إلى الهند قد تم في القرن الخامس عشر قبل الميلاد»[٢].

وكان هناك السكان الأصليون، لهم معتقدات دينية قد مرت الإشارة إليها، وهؤلاء هم: "دراود"[٣]. وقد غلب الآريون عليهم وأثروا فيهم دينا ومذهبا، ولكن «الديانة الجديدة لم تمح الديانة القديمة محواً، ولم تنزل كل آثارها، بل إن الناس قد مازجوا بين قديمهم وما عرض لهم»[٤].

وبالاختلاط والتغلب نشأ دين جديد يمكن أن نسميه الهندوسية. وهي مشتقة من كلمة "الهند" التي أطلقت على نهر السند الواقع في شمال البلاد[٥].

«وأطلق عليها «البرهمية» ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد نسبة إلى براهما، وهو القوة العظيمة السحرية الكامنة التي تطلب كثيراً من العبادات، كقراءة الأدعية، وإنشاد الأناشيد، وتقديم القرابين»[٦].

---

(١) انظر أديان الهند الكبرى، للدكتور أحمد شلبي، ص ٢٣ بتصرف.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٤.

(٣) الدراود: هو الشعب الهندي الأصلي الذي كان يقطن المناطق الهندية الممتدة من الشمال إلى الجنوب، ويتسم باللون الأسمر والأسود على حسب المناطق التي يسكنها، والآثار تدل على ظهور هذا الشعب حوالي ٢٠٠٠ ق م. انظر: الهند القديمة، لمحمد إسماعيل الندوي، ص ٥٦.

(٤) الديانات القديمة، لأبي زهرة، ص ٢٤.

(٥) انظر النظام الطبقي في البرهمية، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى ١٤١٤هـ= ١٩٩٤م، لعبدالرحمن بوتامل، ص ٢٣.

(٦) أديان الهند الكبرى، للدكتور أحمد شلبي، ص ٣٩، نقلا عن فلسفة الهند القديمة، لمحمد عبدالسلام.

وجدير بالذكر أن هذه الفترة الزمنية ذات أهمية بالغة، إذ أن البرهمية تطورت وأصبحت بيد البراهمة، وبلغت سيطرتهم درجة عالية، فهم الذين يتصرفون أمور الدين، ويخضع لهم كل شيء، كما بدأ تصنيف الكتب الفلسفية قرابة هذا العهد.

كما أن لكل ديانة كتابا مقدسا تستقى منه عقائدها وعباداتها، كذلك الديانة البرهمية أسست على كتاب سموه "ويد" «تفسيره العلم بما ليس بمعلوم، وهو كلام نسبوه إلى الله تعالى من فم براهم، ويتلوه البراهمة تلاوة من غير أن يفهموا تفسيره ويتعلمونه كذلك فيما بينهم يأخذه بعضهم من بعض، ثم لا يتعلم تفسيره إلا قليل منهم»[١].

والويد أربع: ريج ويد، يجر ويد، سام ويد، أثر ويد. وهناك كتب أخرى لها قدسيتها لدى القوم التي سأذكرها في أماكن الحاجة إليها.

عقيدة التناسخ وأهميتها في البرهمية:

لما كان في بناء النظام الديني إسهام لشخصيات لا حصر لها، فلا وجود في هذه الديانة لعقيدة واحدة ولا نظام ديني موحد ولا طقوس متساوية، بل صارت بسبب الاختلاف في طرق العبادة، وكثرة الآلهة، هذه الديانة كالغابة الكثيفة التي تتفرع منها آلاف الطرق، ولم يكن واحد منها مستقيما سويا.

وبالرغم من هذا هناك عقيدة مشتركة بينهم مستولية على أذهانهم، ألا وهي عقيدة التناسخ، والحلول التي لها ارتباط خاص بفلسفة وحدة الوجود[٢].

وإلى أهمية هذه العقيدة في البرهمية يشير البيروني فيقول: «كما أن الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين، والتثليث علامة النصرانية،

---

(١) تحقيق ما للهند، للبيروني، ص ٩٦.

(٢) انظر إسلام أور مذاهب عالم (الإسلام وأديان العالم) لمحمد مظهر الدين صديقي، ص ١، بلغة أردو.

والإسبات علامة اليهود كذلك التناسخ علم النحلة الهندية، فمن لم ينتحله لم يك منها، ولم يعد من جملتها»[١] .

ويؤكد ذلك الشهرستاني يقول: «فأما تناسخية الهند فأشد اعتقادا في ذلك. . . »[٢] .

تناسخ الأكوار والأدوار في البرهمية:

يقول الشهرستاني مبينا اعتقاد الهندوس بالتناسخ من هذا النوع وبأنهم أشد الأمم في هذا الاعتقاد: «لما عاينوا من طير يظهر في وقت معلوم فيقع على شجرة وهو أبدا كذلك فيبيض ويفرخ، ثم إذا تم نوعه بفراخه حك بمنقاره ومخالبه فتبرق منه نار تلتهب فيحترق الطير ويسيل دمه منه دهن فيجتمع في أصل الشجرة في مغارة، ثم إذا حال الحول وحان وقت ظهوره انخلق من هذا الدهن مثله طير، فيطير ويقع على الشجرة، وهو أبداً كذلك. قالوا: فما مثل الدنيا وأهلها في الأدوار والأكوار إلا كذلك. قالوا: وإذا كانت حركات الأفلاك دورية ولا محالة فإن فصل رأس الفرجار[٣] إلى ما بدا ودار دورة ثانية على الخط الأول أفاده لا محالة ما أفاد الدور الأول إذا لم يكن اختلاف بين الأثرين، فإن المؤثرات عادت كما بدأت، والنجوم والأفلاك دارت على المركز الأول، وما اختلفت أبعادها واتصالاتها ومناظراتها ومناسباتها بوجه فيجب أن لا تختلف المتأثرات البادات منها بوجه، وهذا هو تناسخ الأدوار والأكوار»[٤] .

وملخص ما نقل الشهرستاني عن الهندوس أنهم قاسوا عقيدة تناسخ الأدوار والأكوار على ظهور الطير أبداً من مادته بعد ما يموت، قاسوا على ذلك

---

(١) تحقيق ما للهند، للبيروني، ص ٣٨.

(٢) الملل والنحل ٣/ ٧١٤.

(٣) آلة ذات ساقين ترسم بها الأقواس والدوائر، انظر معجم الوسيط ٢/ ٦٧٩.

(٤) الملل والنحل ٣/ ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦. وانظر أيضاً مروج الذهب للمسعودي ١/ ٧٧.

ظهور الدنيا بعد كل دور بنفس الوضع والشكل الذي كان عليه أولا ، ثم يبتدئ الثاني والثالث، وهكذا.

تناسخ الأرواح في البرهمية:

ينقل البيروني من كتبهم ما قال "باسديو "[١] "لأرجن "[٢] في أثناء الحرب: «قال باسديو لأرجن يحرضه على القتال وهما بين الصفين: إن كنت بالقضاء السابق مؤمنا فاعلم أنهم ليسوا ولا نحن بموتى، ولا ذاهبين ذهابا لا رجوع معه؛ فإن الأرواح غير مائتة ولا متغيرة، وإنما تترد في الأبدان على تغاير الإنسان من الطفولة إلى الشباب والكهولة ثم الشيخوخة التي عقباها موت البدن ثم العود . . . »[٣].

ثم يتابع البيروني الحوار بين باسديو وأرجن:

«ولما قال له أرجن في خلال كلامه: كيف حاربت براهم في كذا وهو متقدم للعالم سابق للبشر وأنت الآن فيما بيننا منهم معلوم الميلاد والسن؟ أجابه وقال: أما قدم العهد فقد عمني وإياك معه، فكم مرة حيينا معا قد عرفت

---

(١) أصله: "واسديو" ، وهذا اسم آخر لـ"كرشنا" ، وهو أحب الآلهة وأشهرها لدى الهندوس، وقد صار كرشنا إلهًا؛ لأن الإله "وشنو" حل فيه، وكان اسم أبيه أيضًا واسديو، ولذلك اشتهر باسم أبيه. انظر: ذكشنري آف هندو مائتها لوجي، DICTIONARY OF HINDU MYTHOLOGY †ذاد سن، ص ١٦٠ ، بالإنجليزية، وكتاب هندو دهرم كوش، للدكتور/ راج بلي **پانڈ ے**، ص٥٩٠ ، هندي سنستهان، لكهنئو - الهند، بالهندية. وإسلام اور مذاهب عالم بلغة أردو ص٣.

(٢) أرجن: هو أحد أبناء **پانڈو** وكان زعيمهم، وهم قبيلة آرية استقرت على مناطق جبال هماليه، وحدثت بينهم وبين حريفهم "كورو" ملحمة عظيمة اشتهرت بملحمة مهابهارتا، وكتاب مهابهارتا - إحدى كتب الهندوس المقدسة، الذي ألفه "ويد وياس" على أغلب الظن مابين القرن الثاني قبل الميلاد والقرن الثاني بعد الميلاد، احتفل بذكر هذه الملحمة. انظر: "اسلام اور مذاهب عالم" ص ١١٦ ، والنظام الطبقي في البرهمية، رسالة ماجستير لعبد الرحمن بوتامل ص ٤١.

(٣) تحقيق ما للهند، للبيروني ص ٣٩.

أوقاتها وخفيت عليك، وكلما رمت المجيء للإصلاح لبست بدنًا إذ لا وجه للكون مع الناس إلا بالتأنس»[١]. فهذا النص صريح في أن باسديو ادعى أن روحه تناسخت مرارًا في أجساد مختلفة.

ويشير البيروني إلى شدة اعتقادهم بالتناسخ إذ يحكي قصة ملك توفى فيقول: «وحكى عن ملك أنسيت اسمه أنه رسم لقومه: أن يحرقوا جثته بعد موته في موضع لم يحرق فيه ميت قط، وإنهم طلبوا موضعًا كذلك فأعياهم حتى وجدوا صخرة من ماء البحر ناتية فظنوا أنهم ظفروا بالبغية، فقال لهم باسديو: إن هذا الملك أحرق على هذه الصخرة مرات كثيرة فافعلوا ما تريدون»[٢].

وقد فصل عقيدة التناسخ كتاب البرهمية المقدس "منو سمرتي"[٣] وأفرد لها بابا خاصا بعنوان التناسخ.

جاء في الفقرة التاسعة من هذا الباب:

«يغدو المرء جزاء أعماله السيئة التي ارتكبها بجسمه في خلقته الثانية

---

(١) تحقيق ما للهند، للبيروني، ص ٤٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) من أهم الكتب المقدسة لدى الهندوس، يشتمل على اثنى عشر بابا، فيه بيان للعقائد والعبادات والأخلاق والنظم الاجتماعية للديانة البرهمية. وينسب إلى مشرع قديم اسمه "منو"، يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي: ولا نعلم تاريخه على وجه اليقين، وأرجح ما قيل في هذا الصدد من آراء: أنه عاش حوالي القرن الثالث الميلادي.
ويرى الباحث الهندي محمد أحمد حول تأليف هذا الكتاب أن محتوى الكتاب يشير إلى أن زمن تأليفه هو زمن انحطاط القوة البرهمنية، وكان ذلك حين ارتقت البوذية وتغلبت من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن الرابع بعد الميلاد. وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية إحسان حقي.
انظر: الأسفار المقدسة، للدكتور علي عبد الواحد وافي، ص ١٨٠، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، وجريدة "دعوت" باللغة الأردية ص ١٠٣، العدد الخاص "أديان الهند" المجلد ٤١، العدد ٢٧، ٢٢مارس ١٩٩٣م، دلهي.

جمادًا، والتي ارتكبها بلسانه طيراً أو حيوانًا وينحط إلى الفرق السافلة نتيجة ارتكابه أعمالا سيئة بعقله»[١].

وهم يبنون الأعمال التي يقوم بها الإنسان على ثلاث صفات للنفس: الصلاح (ست)، والنشاط (رج)، والظلام (تم) وبتغلب إحدى هذه الصفات على الأخريين، يستحق الجسم جزاء بحسبها.

جاء في منو سمرتي:

«اعلموا أن الروح الأعظم ليدخل في المخلوقات مع صفات النفس الثلاث وهي: ست، رج، تم»[٢].

«فبالصفة التي تغلب من بين هذه الثلاث تكيف الجسم بكيفيتها»[٣].

«من كان متمتعا بصفة الصلاح يصل إلى درجة الآلهة، ومن كان متمتعا بصفة الهمة يصل إلى درجة الإنسانية، ومن كانت صفة الظلمة غالبة عليه يبقى حيوانًا»[٤].

ثم يفصل منو سمرتي الأجزية المترتبة على الأعمال الصادرة عن تلك الحالات يقول:

«اعلموا أن هذه الحالات التناسخية الثلاث التي ترتكز على الصفات الثلاث فتجعل الإنسان وضيعا أو وسطا أو رفيعًا، إنما تكون انعكاسًا لنتائج أعمال المرء وعلومه»[٥].

«إن أحط درجات الظلمة تجعل من المخلوقات جمادات وحشرات صغيرة

---

(١) منو سمرتي، الباب الثاني عشر، والفقرة التاسعة، ص ٤٠٧، ترجمة عربية إحسان حقي.

(٢) المرجع السابق، الفقرة ٢٤، ص ٤٠٩.

(٣) المرجع السابق، الفقرة ٢٥.

(٤) المرجع السابق، الفقرة ٤٠.

(٥) المرجع السابق، الفقرة ٤١.

وكبيرة وسمكا وحيات وسلاحف وحيوانات أهلية وحيوانات ضارية»[١].

«والدرجة المتوسطة من درجات الظلمة تجعل من المخلوقات فيلة، أو خيلا أو أناسًا من طبقة شودر[٢]، أو من طبقات الأسافل، أو أسودًا أو غورة[٣] أو خنازير»[٤].

«والدرجة العالية من درجات الظلمة تجعل المخلوقات أناسًا من فرقة چرن[٥] أو تجعلهم سپرن[٦] أو راكشش[٧] أو پوساچ[٨]»[٩].

«إن أحط درجات النشاط تجعل من المخلوقات أناسًا من إحدى هذه الفرق الثلاث، وهي: جهل[١٠]، مل[١١]، نت[١٢]، أو تجعلهم أناسًا يعيشون

---

(١) المرجع السابق، الفقرة ٤٢.

(٢) هم أحط الطبقات في النظام الطبقي عند البرهمية.

(٣) غورة، معناها: الذئب، انظر كليات آرية مسافر، لبندت ليك رام، ص ٩٤، مطبع سته دهرم پرچارك هردوار، سهارنفور- الهند. وكتاب "آواگمن كا تحقيقي جائزه" (استعراض على التناسخ)، لأبي محمد إمام الدين، ص ٢١، نقلا عن ستيارتهـ پركاش، لسوامي دياننا، ص٣٣٢، ٣٣٣.

(٤) منو سمرتي، الفقرة ٤٣.

(٥) چرن: هم الشعراء الذين يكتبون القصائد الشعرية في المدح.
انظر آواگمن لأبي محمد ص ٢١، نقلا عن ستيارتهـ پركاش.

(٦) سپرن: الإنسان الماكر الخادع.
المرجع السابق، ص ٢١، وكليات آريه مسافر، ص ٩٤.

(٧) راكشش: الإنسان المفسد، الظالم. المرجع السابق.

(٨) پوساچ: سيئ السير والسلوك الذي يشرب الخمر وغير ذلك. المرجع السابق، ص ٢١، ٢٢، وكليات آريه، ص ٩٤.

(٩) منو سمرتي، الفقرة ٤٤.

(١٠) جهل: الذين يلازمون السيف والفأس في الضرب والقطع. انظر آواگمن، ص ٢٢.

(١١) مل: الملاح، انظر المرجع السابق.

(١٢) نت: المشعوذون الذين يعرضون لعبة الصعود والقفز على القصب والهبوط منه.
المرجع السابق، ص ٢٢.

بالأعمال المستقبحة أو مقامرين أو شريبي خمر»[١] .

«والدرجة المتوسطة من درجات النشاط تجعل من المخلوقات ملوكا وكشتريين[٢] وعلماء يقومون للملوك بالتقدمات، وأناسًا يسيرون بممارسة الحروب»[٣] .

«والدرجة العليا من درجات النشاط تجعل من المخلوقات گندهرب[٤]، وكهجلة[٥]، ويكس[٦]، وخدا ما للآلهة، وأُپسر[٧]»[٨] .

«إن أحط درجات الصلاح تجعل من المخلوقات عبادًا وزاهدين وبراهمة أو آلهة من آلهة ويمانك[٩] أو آلهة من آلهة مواقع القمر وتجعلهم ديناس[١٠]»[١١] .

«والدرجة المتوسطة من درجات الصلاح تجعل من المخلوقات علماء يقومون بتقديم التقدمات والعبادات وأحبارا وآلهة للويد ونجوما سنين[١٢] وأجدادا، وآلهة سيدهيا[١٣]»[١٤] .

والدرجة العليا من درجات الصلاح هي التي خلق منها برهما والآلهة

---

(١) منو سمرتي، الفقرة ٤٥ .

(٢) كشتريين، الطبقة الثانية من الطبقات الهندوسية .

(٣) منو سمرتي، الفقرة ٤٦ .

(٤) گندهرب: المغنون. انظر كتاب آواگمن، ص ٢٢، وكليات آريه، ص ٩٤ .

(٥) كهجلة: زامر والمزمار، المرجع السابق.

(٦) پكس: الأثرياء، انظر كتاب آواگمن، ص ٢٢ .

(٧) أُپسر: النساء الجميلات. المرجع السابق، ص ٢٢ .

(٨) منوسمرتي، الفقرة ٤٧ .

(٩) ويمانك: الطيارون. انظر كتاب آواگمن، ص ٢٢ .

(١٠) ديناس: الأطباء. المرجع السابق، ص ٢٢ .

(١١) منوسمرتي، الفقرة ٤٨ .

(١٢) نجوماسنين: علماء الكهرباء، انظر كتاب آواگمن، ص ٢٣ .

(١٣) سيدهيا: القوة التي تحصل بالمراقبة.

(١٤) منو سمرتي، الفقرة ٤٩ .

خالقوا العالم، وخلق منها الشرع والذات العظمى والقوة التي لا تستطاع معرفتها»[١].

واتضح من هذا التفصيل أن عقيدة التناسخ دخلت في البرهمية على أوسع نطاق فاعتقدوا أن الأعمال من أيّ نوع كانت يترتب عليها التناسخ طبقا لها. وتفصيل منوسمرتي يدلنا على الجزم بأن هذه العقيدة منتشرة في أتباع الديانة إلى الوقت الراهن؛ لأن معظم العقائد والنظم الاجتماعية للديانة البرهمية المعاصرة مستفادة من كتاب منوسمرتي.

نشأة عقيدة التناسخ في البرهمية:

يرى كثير من الباحثين أن عقيدة التناسخ لم تكن موجودة في الويد، وإنما نشأت فيما بعد حيث دونت الكتب الفلسفية المقدسة للبرهمية.

يقول الباحث الهندي محمد فاروق خان: أن الويد لا يؤيد عقيدة التناسخ، هذه حقيقة ثابتة، والذين يحاولون إثبات التناسخ في الويد هم لا ينصفون.

ويقول: إن الدكتور رادها كرشنن[٢] كتب أن نظرية التناسخ لا توجد في الويد. وهذا رأى كثير من العلماء الهندوس.

---

(١) المرجع السابق، الفقرة ٥٠.

(٢) ولد رادها كرشنن سنة ١٨٨٨م، في ولاية آندهرا جنوب الهند، وكان من طبقة البراهمية، ومن أكبر علماء وشارحي الديانة والفلسفة الهندوسية، برز على المناصب العليا في بعض الجامعات، فكان نائب رئيس جامعة الهندوس بينارس - الهند، لمدة تسع سنوات، كما أنه صار نائب رئيس ثم رئيس جمهورية الهند. من أهم مؤلفاته "فلسفة الهند" INDIAN PHILOSOPHI
انظر: هندو دهرم كي جديد شخصيتين (الشخصيات الجديدة في الديانة البرهمية) لمحمد فاروق خان ايم ا ے. THE HILOSOFHY OF SARVPOLLI RADHA KRISHNAN P. A. . SEHILPP 1952.

ويقول: كتب المستشرق المعروف "ميكس مولر"[١] الذي اشتغل بالويد كثيرًا: لا توجد في الويد نظرية التناسخ، والذي هو موجود فيه نظرية اليوم الآخر . . .

وكتب ستيارت وديا النكار[٢]: ليس في الويد نظرية التناسخ، وأستعد أن أراهن على ذلك[٣].

وعلى ذلك يرى الدكتور محمد إسماعيل الندوي أن كتب الويد كانت خالية من فكرة تناسخ الأرواح؛ لأن العقائد التي اشتملت عليها كتب الويد كانت ساذجة، وعقيدة الآخرة في عصر الويد كانت على أن الأرواح الطيبة كانت تتمتع بالسعادة، والشريرة تعاني أشد أنواع العذاب، وكانت السعادة هي الجنة حين كانت الأرواح تنعم بأنواع من المتع وأسباب الراحة والنعيم، وأما العصاة والمجرمون فيدخلون جهنم، وهي في الطبقة السفلى الثالثة تحت الأرض حيث يعذب على يدي الإلهين سوما وإندرا الذين يرميان العصاة أعماق جهنم. وهذه الظاهرة تشير بوضوح إلى أن عقيدة التناسخ لم تظهر بعد في العقيدة الآرية[٤].

فإذا لم تكن تشتمل كتب الويد على فكرة تناسخ الأرواح عند هؤلاء الذين

---

(١) ميكس مولر: ولد سنة ١٨٢٣م، وتوفى سنة ١٩٠٠م، وهو فريدريش مكس مولر مستشرق ألماني، قضى زمنا في انجلتره، وتجنس بالجنسية الإنجليزية، ولد في ديساو بألمانيا وتعلم بها، ثم في ليبسيك وبرلين وباريس، وأحسن العربية والسنسكريتية والعبرية . . . انصرف اهتمامه إلى دراسة علم اللغات والمقارنة بين الأديان، وأكثر اشتغاله بالدراسات الهندية . . . انتقل إلى انجلتره سنة ١٨٤٦م، فأرسلته شركة الهند الشرقية إلى الهند في مهمة علمية. انظر الأعلام للزركلي ٥/ ١٤٥.

(٢) أحد علماء الهندوس لم أعثر على ترجمة له.

(٣) انظر تصور آخرت اور ہندوستاني روايات (تصور العالم الآخر والتقاليد الهندية) لمحمد فاروق خان ايم اے بلغة أردو، ص ٢٥، ٢٦، مركزي مكتبة إسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.

(٤) انظر: الهند القديمة، لمحمد إسماعيل الندوي، ص ٩٧، بتصرف، دار الشعب ١٩٧٠م.

ينكرون وجود التناسخ في الويد، فالمرحلة الثانية لتدوين الكتب الدينية التي تعتبر شروحًا للويد، هي أول ما ورد فيها ذكر التناسخ.

يقول صاحب كتاب "تاريخ الحضارات العام" وهو يصور العصر الويدي: «ويظهر بأن مسألة انتقال الأنفس الذي هو ضرب من التقمص لم تكن قد أصبحت عقيدة بعد، إذ أن النظريات التي ستحظى بالكثير من الأهمية منذ القرن السادس ق م، لم تكن بعد إلا في مهدها»[١].

فأرجع هذه العقيدة إلى العهد الذي دون فيه أوبانيشاد[٢] كل من سعيد حوى في كتابه "الإسلام"[٣]، وأبو محمد إمام الدين (الباحث الهندي المسلم) في كتابه "التناسخ"[٤]، والقسيس **جي، ايل ثهاكر داس**[٥] الذي يقول: لقد بدأ تصور التناسخ عند الآريين الهندوس في الوقت الذي دونت فيه كتبهم الفلسفية التي تسمى أوبانيشاد[٦].

---

(١) تاريخ الحضارت العام ١/ ٥٧٠، (الشرق واليونان القديمة)، تاليف: إندريه إيمار - جانين أوبوايه. تعريب: فريد م داغر - فؤاد ج - أبو ريحان، الطبعة الثانية ١٩٨٦م منشورات عويدات، بيروت.

(٢) أوبانيشاد: هو أحد الأجزاء التي اشتمل عليها الأدب الويدي، وهو الأسرار والمشاهدات النفسية للعرفاء من الصوفية، وتدون هذه إرشادا للرهبان والمتنسكين الذين مالوا إلى باطن الحياة وتركوا ظاهرها، فكان ذلك بمنزلة الحواشي والشروح للويد، ثم صارت بعد زمن جزءاً مكملا للويدات الأربع. انظر: أديان الهند الكبرى، للدكتور أحمد شلبي ص ٤٤، وكتاب "في العقائد والأديان" للدكتور محمد جابر الحيني، ص ١٠٦، الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ١٩٧١م.

(٣) راجع كتاب "الإسلام" لسعيد حوى، الجزء الرابع، ص ١١٤، ١١٥.

(٤) انظر آواگمن كا تحقيقي جائزه، لأبي محمد إمام الدين، ص ٢٤، بلغة أُردو.

(٥) كان هندوسيا رئيس مدرسة الإلهيات بمدينة سهارنفور الهند، ثم تنصر وكتب كتاب "**آئنده زندگي كيا آواگمن هے يا ابدي زندگي هے**" بلغة أُردو (الحياة الثانية هل هي التناسخ أو الحياة الأبدية؟) رد فيه على عقيدة التناسخ.

(٦) انظر: كتاب "**آئنده زندگي كيا آواگمن هے يا ابدي زندگي هے**" (هل الحياة الثانية حياة خالدة أو تناسخ)، **جي ايل ثهاكر داس، ص ١٣، كرسچين لٹريچر سوسائٹي لدهيانه**، ط: ١٩٠٨م. CHRISTIAN LITERATURE SOCIETY FOR INDIA LUDHIANA.

وحول زمان تصنيف أوبانيشاد اختلف الباحثون، إلا أن الدكتور رادها كرشنن يرى أنها صنفت إلى ٦٠٠ قبل الميلاد[١].

ويرى بعض الباحثين أن الأوبانيشادات وضعت في المدة من ٨٠٠ إلى ٦٠٠ ق، م.[٢]

هذا! وادعى عالم هندوسي "ليك رام"[٣] أن عقيدة التناسخ ثابتة من الويد، وعلى هذا أتى بنصوص منه يشير بعضها إلى الولادة الثانية، وبعضها بعقيدة اليوم الآخر، ولكنه يفسرها من خلال أو بانيشاد تفسيراً يصطبغ بالصبغة التناسخية.

يقول: من المسائل الأولية في الويد أن الله واحد لا شريك له، وأنه هو خالق العالم المادي، وأن فاعل الخير والشر بالاختيار هو الأرواح، والله ملك العدل في العالم، والأرواح رعيته، وعلى ذلك يجزيها الله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

ولما لم يكن ينته دور العمل بنهاية الجسم، بل الدافع للعمل هو الروح، وهي أزلية فتتلبس بعد فناء الجسد بجسد آخر، وتتحمل الجزاء ثم تقوم بأعمال جديدة، وتتجول في الكواكب بمشيئة الله، فالله يوفر للروح فرصة بعد فرصة، ولما تصير طاهرة صالحة فتحصل على النجاة[٤].

---

(١) انظر جريدة دعوت الأردية، عدد خاص أديان الهند، المجلد ٤١، العدد ٢٧، مارس سنة ١٩٩٣، ص ٥١.

(٢) انظر أديان الهند الكبرى، ص ٤٤.

(٣) عالم هندوسي، ولد في قرية سيد فورا، من مديرية جهلم، (الواقعة حاليا في باكستان)، توظف في الشرطة سنة ١٨٨٦م حتى أصبح رساما قائداً، وأصدر في سنة ١٨٨١م مجلة "**دهرم أبديش**" (الدعوة الدينية). أول مؤلفاته التي أبرزت شخصيته في المجتمع الآري كتاب "تكذيب براهين أحمدية" الذي رد فيه ليك رام على دعاوي مرزا غلام أحمد، وأثبت أن الديانة الويدية حق، توفى ٦ مارس سنة ١٨٩٧م. انظر مقدمة كليات آريه مسافر ص ٣.

(٤) انظر كليات آريه مسافر، ص ٩٠.

ثم يذكر ليك رام نصوصًا من الويد للاستدلال على ما سبق يقول :

١- جاء في الريج ويد، الباب الأول، الفصل ١٦٤، الفقرة ٢٠ :

«اللّه، والروح والمادة أزلية؛ أما المادة التي هي الأصل يخلق اللّه منها جميع العالم، والروح تحتفظ بالأعمال الحسنة والسيئة، وأما الثالث فهو اللّه الذي لا يتحمل الجزاء ولا يتقيد، بل هو النور، ويختلف كل هذه الثلاثة من الآخر، وهي كلها أزلية».

ثم ذكر ليك رام تفسير هذه الفقرة من تفسير شويتا شوتر أبانيشاد :

«. . . والثاني الأزلي هو الروح التي تتحمل جزاء ما اكتسبته المادة، والتي تتقيد بقيد الولادة والموت جزاء للأعمال السابقة».

٢- وجاء في أثر ويد، الباب الأول، الفقرة ٢ :

«الروح التي كسبت الأعمال الدينية في الولادات السابقة تتلبس حسب ذلك بأجسام مختلفة جيدة، والإنسان اللاديني يولد على شكل طائر وإنسان حقير ويعيش في الآلام، فالروح التي تصلح للجزاء على ما سبق تخرج من الجسم وتدخل بالهواء حسب عمل الخير والشر في الحمل بقدرة اللّه، والتي تعمل عملا دينيا وخرجت من جسم لم يكتمل بعد فتدخل في جسم إنسان تعيش بالراحة وتعمل، والتي تعمل أعمالا غير دينية تدخل في الأجسام المتألمة وتعيش في الآلام».

٣- وجاء في يجر ويد، الباب ١٢، الفقرة ٣٦ :

«الروح التي تخرج من الجسم تتحول عن طريق الهواء والدواء إلى المني ثم تدخل في جسم».

٤- وجاء في يجر ويد، الباب ١٩، الفقرة ٤٧ :

«هناك طريقان في هذا العالم لجزاء السيئات والحسنات : طريق للعلماء، وطريق للطلاب وعامة الناس. أحدهما يؤدي إلى النجاة، والثاني يؤدي

إلى تكرار الولادة والموت. وعلى هذين الطريقين يدور العالم، ويتحقق التناسخ».

٥- وجاء في الريج ويد، الفصل ٨، الفقرة ٦٢٣:

«يا واهب الراحة هب لنا في الولادة الثانية العين الجميلة، والحور، والأجسام ذات الحياة السعيدة، نتلقى جزاء حسنا في هذه الولادة والولادة الثانية ... يا عالم القدر اجعلنا مرتاحين في هذه الولادة والولادة الأخرى حتى نفوز».

٦- وجاء في الريج ويد، الفصل ٨، الفقرة ٧:

«يا صاحب القوة العظيمة! بقدرتك تشاهد الأرض الحياة والنور الخلاء، وتوفر لنا في الولادة الثانية الأجسام الطيبة بالأدوية، تعطينا القوة، اللهم يسر لنا النجاح بفضلك في الولادات الأخرى حيث لا تكون مصائب».

٧- وجاء في يجر ويد، الباب ٤، الفقرة ٥:

«يا رب العالمين هب لنا العلم والبقاء والعمر في الولادة القادمة، وأن يحصل الصدق في تفكير الروح، وتحصل قوة السمع والبصر في الولادة الثانية، واهدنا إلى الصراط المستقيم طبق أعمالنا بقدسيتك تجنبا من الأعمال السيئة».

٨- وجاء في أثر ويد، الفصل ٧، الفقرة ١:

«اللهم هيئ لنا بكرمك في الولادة الثانية الحور والقلب والعلم الصادق، والقوة، وأن نقوم بالقربان والعبادة، ونعبدك أينما نذهب».

٩- ثم استدل ليك رام على ثبوت التناسخ من أوبانيشاد، جاء في أوبانيشاد شوتياشر:

«نقسم شعر الرأس إلى مائة جزء ثم نقسم كل جزء إلى مائة جزء آخر هذا هو تخمين الروح، فمثل هذه الأرواح كثيرة جدا، والروح ليست مؤنثا

ولا مذكرا ولا مخنثا، تعرف الروح حسب الأجسام التي تدخلها طبقًا للأعمال».

١٠- وجاء في أوبانيشاد كتهـ، الباب الأول، الجزء الثاني:

«الروح لا تلد ولا تموت ولا تلد من شيء، وهي من الأزل إلى الأبد؛ لأنها لا تتفكك بتفكك الجسد»[١].

وعلى ما سبق نرى أن علماء الهندوس منهم من أنكر وجود التناسخ في الويد، ومنهم من أثبته فيه. والراجح لديّ أن التناسخ عقيدة راسخة في الديانة الهندوسية، ثابتة من الويد وشروحها وذلك لما يلي:

١- النصوص التي صرحت بالتناسخ ودل عليها ليك رام السابق ذكرها.

٢- الشروح للويد (أوبانيشادات) معتبرة لدى الهندوس أنفسهم ومتممة للويد، ولا يفهم الويد إلا في ظلها ومن خلالها وهي صريحة في إقرار التناسخ.

٣- لعل اتجاه بعض العلماء بنفي التناسخ في الويد وإثباته في شروحه لبيان التغيير الذي طرأ على المعتقدات الهندوسية نتيجة الاتصال بالاتجاهات الفلسفية، ويؤخذ عليه أن الشروح ليست مناقضة، ولا منافية للأصل.

أسباب نشأة عقيدة التناسخ في البرهمية:

وحول أسباب اعتناق الهندوس بعقيدة التناسخ نرى:

أولا: سوء تفكيرهم في الألم والموت، فربما فكر علماء البرهمية في حياة الإنسان والحيوان بأن الألم والموت اللذان يطرءان عليهما ليسا سدى، وإنما هي أجزية على أعمال سلفت في الحياة السابقة.[٢]

---

(١) كليات آريه مسافر، لبندت ليك رام ١/ ٩١، ٩٢.

(٢) انظر في ذلك: تلبيس إبليس، لابن الجوزي ص ٩٣، وانظر كتاب **"آئنده زندگي" لـ جي ايل ثهاكر داس**، ص ١٩.

ثانيا : زعموا أن الجهل هو السبب المؤدي إلى تكرار الولادة، وأن العلم والمعرفة هو طريق الخلاص والنجاة.

« . . . قالوا: إن النفس إذا لم تكن عاقلة لم تحط بالمطلوب إحاطة كلية دفعة بلا زمان، واحتاجت إلى تتبع الجزئيات واستقراء الممكنات، وهي وإن كانت متناهية فلعددها المتناهي كثرة، والإتيان على الكثرة مضطر إلى مدة ذات فسحة، ولهذا لا يحصل العلم للنفس إلا بمشاهدة الأشخاص والأنواع وما يتناوبها من الأفعال والأحوال حتى يحصل لها في كل واحد تجربة وتستفيد بها جديد معرفة»[١].

ثالثا : إن النظام الإجتماعي في البرهمية قائم على النظام الطبقي؛ البراهمة: وهم طبقة الكهنة ورجال الدين. والكشتري: وهم رجال الحرب والجندية، والويش: وهم رجال الفلاحة والتجارة، والشودر: وهم رجال الخدمة، وهم أحط الطبقات.

وربما اخترعوا فكرة التناسخ لتبرير هذا النظام تطييبا لقلوب الطبقات السفلية حتى يظلوا في خدمة أسيادهم البراهمة، وعلى أمل أن يرقوا في ولادتهم المستقبلية إلى طبقة أعلى، ولا وجود لهذا في الحقيقة، فالطبقية الهندوسية يظل أبناء كل طبقة لا يتجاوزونها في ولاداتهم المستقبلية، وإنما يصعدون أو يهبطون في حدودها.

ونصوص منوسمرتي السابقة الذكر تدل على وجود صور التناسخ على أساس الأعمال السابقة»[٢].

يقول محمد إسماعيل الندوي وهو يتحدث عن النظام الطبقي الجائر في البرهمية:

---

(١) تحقيق ما للهند، للبيروني، ص ٣٨.

(٢) انظر فقرات منوسمرتي فيما سبق من ٤٣ إلى ٥٠.

«ثم اخترع الكهنة لاستحكام هذه القوانين الصارمة الظالمة وتحصينها وتثبيتها وترسيخها عقيدة تسمى "التناسخ" تلك التي تقنع هذه الجماعات كلها بأن هذه الطبقات ظهرت من جراء أعمالهم في الحياة الأولى ونتيجة لها»[(١)].

وقال عالم هندوسي: «هناك عنصر له أهمية كبرى في بناء سلوك الإنسان لدى العقيدة الهندوسية يقال له أعمال الخلق الأول، والذي تجد الصفات البرهمية في الشودر يمكن أن تكون بسبب أعماله في الحياة السابقة، وكذا برهميا ترى فيه الصفات الشودرية متولدة بأعماله في الخلق الأول»[(٢)].

رابعا: عقيدة الحلول ووحدة الوجود مهدت الطريق لنشأة فكرة التناسخ، وهنا ينبغي لنا أن نقف أولا على مفهوم الحلول ووحدة الوجود، ثم نأتي ببيان الارتباط بينهما وبين عقيدة التناسخ.

الحلول:

هو في الاصطلاح: «عبارة عن اتحاد جسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر»[(٣)].

وقيل: معنى حلول شيء في شيء: «هو أن يكون وجوده في نفسه هو بعينه وجوده لذلك الشيء»[(٤)].

وهذا الحلول يكون على نوعين: الحلول الجزئي، والحلول الكلي.

فالأول: «يكون الحلول بجزء هو كإشراق الشمس في كوة، أو كإشراقها على البلور.

---

(١) الهند القديمة، لمحمد إسماعيل الندوي ص ١٠٢، ١٠٣.

(٢) كتاب "**بدھ، جين، سكھ**" (البوذية، والجينية، والسيخية) **رادها سوامي**، بعنوان: **شنكر آچارج اور گوتم بدھ**، تاليف: **پربهو لال** ص ٧١، **خدا بخش أورينٹل پبلك لائبريري پٹنه** – الهند، ١٩٩٣، بلغة اردو.

(٣) دائرة المعارف للبستاني ٧/ ١٥٧.

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي ٢/ ٣٤٩.

وأما الحلول بالكل: فهو كظهور ملك بشخص، أو كشيطان بحيوان»[١].

هذا معنى الحلول عامة، وهناك ثبت انتساب الحلول إلى الله تعالى عند بعض أصحاب الأديان، وغلاة الشيعة والمتصوفة، وهذا النوع من الحلول ينقسم أيضًا إلى قسمين:

الحلول المعين: وهو حلول الله في بعض الأشخاص، «كقول النصارى (في عيسى عليه السلام) والغالية في الأئمة من الرافضة، وفي المشايخ من جهال الفقراء والصوفية، فإنهم يقولون به»[٢].

والحلول المطلق: «هو القول بأن الله تعالى قائم بكل مكان، ناطق بكل لسان، ظاهر بكل شخص من أشخاص البشر»[٣].

وحدة الوجود:

إن عقيدة وحدة الوجود تفرعت عن أصل آخر، وهو "الاتحاد"، والاتحاد قد يطلق على المعنى الحقيقي، وقد يطلق على المعنى المجازي.

فالحقيقي: «هو أن يصير شيء بعينه شيئًا آخر»[٤].

والمجازي: فهو إما صيرورة شيء ما شيئًا آخر بطريق التغير والانتقال، وإما صيرورة شيء شيئًا آخر بطريق التركيب، وفي عرف السالكين عبارة عن مشهود وجود واحد مطلق من حيث أن جميع الأشياء موجودة بوجود ذلك الواحد معدومة في أنفسها.[٥]

والاتحاد ينقسم إلى قسمين: اتحاد معين: وهو كالحلول المعين الذي سبق

---

(١) الملل والنحل ١/ ١٧٨.

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل، لابن تيمية ١/ ١٧٢.

(٣) الملل والنحل ١/ ١٧٨، وانظر الرسائل والمسائل لابن تيمية ١/ ١٧٢.

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي ٦/ ١٤٦٨.

(٥) انظر المرجع السابق.

ذكره، وأما الاتحاد العام: هو القول «بأن عين وجود الحق هو عين وجود الخلق، وأن وجود ذات الله خالق السماوات والأرض هي نفس وجود المخلوفات»[١].

والقائلون بهذا النوع تفرقوا على ثلاثة طرق:

منها القول بأن وجود المحدثات المخلوقات هو عين وجود الخالق، ليس غيره، ولا سواه.[٢]

وهذا هو وحدة الوجود، وقد أقرت بهذا المعتقد الهندوسية.

إن تصور الويد للتوحيد ليس توحيداً خالصاً بل هو اصطبغ بصبغة وحدة الوجود، يقول الدكتور علي الوافي: «وإلى هذا تشير أسفارهم المقدسة، وهي الفيدا إذ تقول على لسان براهما: (إنني أنا الله نور الشمس وضوء القمر، وبريق اللهب، ووميض البرق، وصوت الرياح، والعرف الطيب ينبعث في الأرجاء، والأصل الأزلي لجميع الكائنات، وحياة كل موجود، إنني صلاح الصالح، أنا الأول والآخر، أنا السماوات والأرض)»[٣].

ويقول الأستاذ عبد السلام عما اشتمل عليه الريج ويد من عقائد مختلفة، ومنها: «فمنظومات تنبئ عن التوحيد وأخرى تبين التعدد، وأناشيد تدل على وحدة الوجود وأبيات تدعو إلى الوثنية»[٤].

ثم اشتهرت عقيدة وحدة الوجود «وبدأ الهندوس يعتقدون أن الخالق والمخلوق شيء واحد، وتقرر معنى النجاة أن الروح الإنسانية تندمج في الخالق

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ١/ ١٧٢.

(٢) انظر المرجع السابق ص ١٧٦.

(٣) الأسفار المقدسة، للدكتور علي عبد الواحد وافي، ص ١٨٢.

(٤) الفلسفة الهندية القديمة للأستاذ عبد السلام خان، ص ١٤، مكتبة رامفور، الهند، ط: ١٤١٧هـ= ١٩٩٦م.

بعد ارتقائها تدريجيا»[١] .

فالمخلوقات التي هي مظاهر وآثار للخالق - في عقيدة وحدة الوجود - هدفها عند القائلين بها الاتصال والاندماج في الخالق، وهذا يحدث بعد ما تصفو الروح من جميع الرغبات والميول والأعمال التي يترتب عليها التناسخ، فالأرواح التي لا تصفو لا تستطيع الاندماج في الخالق، بل تقع في دورات التناسخ لعملية التصفية .

ومع وجود الاعتقاد الشديد للديانة البرهمية بالتناسخ نجد فيها عقيدة الجنة والنار بارزة، وهذا يدل على وجود آثار لبقايا الدين الصحيح فيها، إلا أن الجنة والنار عندها مؤقتان، وأن الثواب والعقاب فيها للروح فقط .

يقول البيروني : «المجمع يسمى "لوك" والعالم ينقسم قسمة أولية إلى علو وسفل وواسطة، فيسمى العالم الأعلى سفر لوك، وهو الجنة، والعالم الأسفل "ناك لوك" ، أي : مجمع الحيات، هو جهنم، ويسمى أيضًا نرلوك، وربما سموه "پاتال" أي : أسفل الأرضين، وأما الأوسط الذي نحن فيه يسمى "مات لوك" ، و "مانش لوك" ، أي : مجمع الناس، وهو للاكتساب، والأعلى للثواب، والأسفل للعقاب، فيهما يستوفى جزاء العمل من استحقهما مدة مضروبة بحسب مدة العمل، والكون في كل واحد منهما للروح وحده مجردة عن البدن .

وللقاصر عن السمو إلى الجنة أو الرسوب إلى جهنم لوك آخر يسمى "ترجك لوك" ، وهو النبات والحيوان غير الناطق يتردد الروح في أشخاصها بالتناسخ إلى أن تنتقل إلى الإنس على تدريج من أدون من مراتب النامية إلى عليا مراتب الحساسة، وكونها فيه على أحد وجهين : إما لقصور مقدار المكافاة

---

(١) كتاب "هندومت" (الهندوسية) لبندت (**پنڈت**) منوهر لال زتشي، ص ٣٤، بلغة أردو، **خدا بخش أورينتل پبلك لائبريري پٹنه** - الهند، الطبعة الأولى، ١٩٣٠م.

عن محلي الثواب والعقاب، وإما لرجوعها من جهنم، فعندهم أن العائد إلى الدنيا متأنس في أول حالته، والعائد إليها من جهنم متردد في النبات والحيوان إلى أن يبلغ مرتبة الإنسان»[١].

وتوضيح ذلك «أن أرواح الناس في حياتهم الأولى تكون في المنزلة الوسطى، وهي منزلة العمل والكسب، فإذا ماتوا انتقلت أرواح الخيريين منهم إلى الجنة (المنزلة العليا)، تستوفى فيها جزاء العمل مدة مضروبة بحسب قدر العمل وكماله، وانتقلت أرواح الخاطئين منهم إلى جهنم (المنزلة السفلى) تستوفى فيها جزاء عملها كذلك مدة مضروبة بحسب مبلغ جرمها، وبعد استيفاء جزاء عملها في الجنة أو النار تنتقل الأرواح الخيرة من الجنة إلى آدميين آخرين فترجع إلى المنزلة الوسطى. وأما الأرواح الخاطئة فتنتقل من النار إلى الحيوان والنبات، ومنزلة الحيوان والنبات منزلة رابعة غير المنازل الثلاثة السابق ذكرها، تستقر فيها في بادئ الأمر الأرواح غير الآدمية؛ لأنها قاصرة عن المنزلة الوسطى وعن السمو إلى الجنة، وعن الرسوب إلى النار، وتستقر فيها كذلك أرواح الآدميين العائدة من جهنم، وهاتان الطائفتان من الأرواح المستقرتان في الحيوان والنبات تتجولان في أشخاص الحيوان والنبات بالتناسخ إلى أن تنتقل إلى الإنس على تدريج من أدنى المراتب النامية إلى عليا المراتب الحساسة، فتصبحا في المنزلة الوسطى . . . وهكذا دواليك. فالثواب والعقاب عندهم في الجنة والنار إنما يكونان للروح وحدها مجردة عن البدن، ويكونان مؤقتين لأجل محدود، لا دائمين»[٢].

ويمكن أن نستنتج مما سبق في البرهمية مايلي:

---

(١) تحقيق ما للهند، للبيروني، ص ٤٤، ٤٥.

(٢) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، للدكتور علي عبد الواحد وافي، ص ١٨٨.

١- اعتقاد البرهمية بالتناسخ أشد وأثبت من الأمم الأخرى، وعلى ذلك بقى هذا المعتقد في الديانة البرهمية ثابتًا ومقررًا إلى يومنا هذا، ويدافع عنه الهندوس المعاصرون وينشرونه في المجتمع الهندي بكل الوسائل.

٢- ورد ذكر عقيدة التناسخ بشكل ساذج في الويد، وعلى ذلك يمكن إرجاع هذا المعتقد إلى العصر الويدي.

٣- اهتمت الشروح الويدية من الأوبانيشادات، واحتفلت بذكر عقيدة التناسخ على شكل أوسع، ثم جاء كتاب منوسمرتي وفصل هذه العقيدة.

٤- ومن الأسباب التي ساعدت في البرهمية لنشر عقيدة التناسخ هو إيمانهم القوي بالنظام الطبقي، فهم تثبيتا لسلطتهم الدينية وسيطرتهم على بقية الطبقات قرروا أن التقسيم الطبقي ليس إلا من جهة الأعمال السابقة.

المطلب الثاني عقيدة التناسخ في الجينية:

«ارتقت الهندوسية عند ما تجمع البراهمة في القرن الثامن قبل الميلاد، فأعادوا التفكير في دينهم، ووضعوا مذهب البرهمية، وقالوا بعبادة برهما، وكانت الهندوسية تعني بنظام الطبقات، وتقول بتناسخ الأرواح، ووحدة الوجود.

ومن أهم ما عنيت به تقديم القرابين على أن يتم ذلك بحضور برهمي وتبريكه»[١]. وكانت السلطة الدينية بيد الطبقة البرهمية، فكان لهم أكبر نفوذ في أمور الدين، في مثل هذا الجوّ نشأت حركتان دينيتان كرد فعل على الاحتكار الديني للبراهمة: إحديهما الجينية، والأخرى البوذية.

الجينية:

مؤسس الديانة الجينية هو "مهاوير" الذي عاش ما بين سنة ٥٩٩-٥٢٧ قبل الميلاد.[٢]

وقد رويت قصة عجيبة حول ميلاده، هناك في قرية "متهلا"[٣] (ترهت) كانت تسكن أسرة برهمية فقيرة، تتكون هذه الأسرة من زوج (رسابها دتيه) وزوجة "ديواننداً"، وذات ليلة رأت ديوا نندا رؤية، رأت فيها الأفيال والأسود والقمر والشمس ونحوها، فبين برهمي تعبيرها بأنها ستلد ولداً سعيدا عالما وعاقلا، فسرّا على هذا التعبير، ولكنه عند ما اطلع اندر ديوتا (إله الماء) على هذا الخبر أن مهاوير سيولد في أسرة فقيرة، اندهش وتحير، وقال لم أدر قبل هذا أن أوتاراً (هاديا) ولد

---

(١) أديان الهند الكبرى، ص ٩٥.

(٢) الديانات والعقائد في مختلف العصور، لأحمد عبد الغفور عطار ١٠٧/١.

(٣) متهلا: إحدى مدن الهند القديمة المعروفة، كانت في شمال شرق الهند، وهي موجودة في هذا الوقت باسم ترهت، وقد حكمها الملك "جنك" واشتهرت هذه المدينة بالطقوس الدينية وعبادة الآلهة. انظر: **پوارتك انسائيكلو پيڈيا**، ص ٥٠٣، تأليف ويتّم ماني، موتي لال بنارسي، الطبعة الرابعة.

في أسرة فقيرة؛ لذلك أمر بنقل نطفة مهاوير من بطن ديوا نندا إلى بطن "ترسلا" ملكة مدينة "دوبها" فنفذ أمره في أسرع وقت.

وبعد تسعة أشهر ولد مهاوير من بطن ترسلا، وسمي باسم "وردهامنا" فنشأ المولود الجديد في قصر أبيه، وتربى وأقام فيه ثلاثين سنة ثم هجر واتجه إلى الجبال والغابات مائلا إلى التقشف والزهد، ومكث هناك اثنتى عشرة سنة، وذات يوم وهو في الغابة حصل له "النجاة".

وبعد ذلك اليوم اتجه إلى الناس وبدأ يدعوهم إلى أفكاره وعقائده إلى أن توفته المنية بمدينة "بابا"(١).

وقد سمي أتباع هذه الديانة "بالجينية"، وهي مشتقة من كلمة "جينا" JAIN ومعناها: المنتصر على العواطف والرغبات والمسيطر عليها، فلما توفى انقسم أتباعه إلى فرقتين متصارعتين، واتخذ كل منهما شعاراً مخصوصاً، فقد اكتست طائفة منها بكساء أبيض، واكتست أخرى بكساء سماوي، أي: عاشت على الطبيعة بدون ثوب ولا كساء بل شبه عارية.

وبمرور الأيام قد انخفض عدد أتباع هذه الديانة، وهؤلاء يشكلون الآن ربع مليون نسمةفقط من سكان الهند(٢)

وكما مر أن الجينية ظهرت كرد فعل على البرهمية القائمة على النظام الطبقي وعقيدة التناسخ، فهي حقّقَت من تعاليم جديدة وأسس ومناهج للحياة قامت على الرهبنة والتقشف. «فتنكر ماهافيرا(٣) للحياة بكل ما فيها من لذائد ومسرات وأمجاد، وأظلمت نفسه فلا يوصوص فيها نور أي لذة، فجحد الحياة التي كان

---

(١) انظر في ذلك كتاب "بدهـ، جين، سكهـ، رادها سوامي" بعنوان "مهابير جي كا جنم" (ولادة مهاوير)، لمسلم كاكوري، ص ١٠٥ – ١٠٨، بتصرف، نقلا عن **انذين آرث**، (الأدب الهندي)

(٢) انظر الهند القديمة، لمحمد إسماعيل الندوي، ص١٤٣، ١٤٤.

(٣) هو نفس مهاوير، مؤسس الجينية.

يحياها وكفر بها كفراً، وحقد عليها حقداً لا تنطفئ ناره»[1].

ولذلك أقول إن الديانة الجينية ديانة تقشف وتعذيب للجسم أملا في الحصول على النجاة التي هي الهدف الأسمى للجينيين.

والمراد بالنجاة عندهم خلود الروح في النعيم بعد تخلصها من المادة، والتي تستلزم المرور بالتناسخ.

عقيدة الجينين في التناسخ:

إن الديانات الهندية كلها تفرعت عن الديانة البرهمية، ولذلك من العقائد ماتشترك فيه تلك الديانات، وكما بينا أن عقيدة التناسخ من العقائد ذات الأهمية في الدين البرهمي، فالجينية لم تسلم من هذه العقيدة، ولو خرجت محاربة على البرهميين.

وهنا أنقل عقائدهم من كتاب مؤلفه جيني، ويعتبر مرجع أساسي لدراسة الجينية، جاء في هذا الكتاب:

«أهم عقائد الجينية الستة هي ما يلي:

١- الروح والمادة، والعجائب المتولدة من ارتباط الروح بالمادة هي التي تسمى الدنيا، وليس هناك قوة خاصة تعتبر خالق الكون.

٢- علاقة الروح بالمادة تقوم على أساس الأعمال، وهي التي تطوف بالروح في الدنيا. وأن ارتباط الروح بالمادة، وإن كان أزليا لا بداية له إلا أنه ممكن الانتهاء.

٣- تتحرر الروح من قيد الأعمال بالإيمان الصادق، والمعرفة الصحيحة، والأخلاق الحسنة، ويسمى هذا التحرر بالنجاة.

٤- الروح الخالصة النقية الحائزة على النجاة هي الله . . . وهي تكون أسوة لأرواح

---

(١) الديانات والعقائد لأحمد عبد الغفور عطار ١/ ١٠٧، ١٠٨.

العالم في سيرها إلى النجاة. وعلى ذلك يجب على كل إنسان أن يعبدها للنجاة والصلاح.

٥- هناك في الدنيا أرواح لا تعد، منها ما تفوز بالنجاة بين أوانة وأخرى ولا ترجع إلى الدنيا بعد حصولها على النجاة.

والدنيا لاتخلو أبدًا من الأرواح.

٦- وأهنسا (الامتناع عن أذى أي كائن) أكبر دين»[١].

ويمكن أن استنتج من عقائدهم المذكورة أن الدنيا هي الروح والمادة عندهم، ويكون ارتباط الروح بالمادة قائمًا على أساس الأعمال التي هي كارما عندهم فانتقال الأرواح إلى الأجساد نتيجة الأعمال التي تلازم ارتباط الروح بالمادة والروح التي تتخلص من ارتباطها بالجسد، وذلك بالقضاء على الأعمال، فهي تحصل على النجاة.

يقول الدكتور أحمد شلبي: «وقد قلنا: إن أديان الهند تسير غالبًا في فلك الهندوسية، ومن هنا قالت الجينية بالكارما والتناسخ، ولكن الجينية لم تعتقد ما اعتقده الهندوس من أن الكارما أمر اعتباري يحقق قانون الجزاء الذي يحمّل الإنسان تبعة أعماله، ويجزيه عليها عن طريق تناسخ الأرواح، بل قالت الجينية بأن الكارما كائن مادي يخالط الروح كأنه يمسك بتلابيبها أو يحيط بها كما تحيط الشرنقة بالفراشة»[٢].

ثم ينقل النصوص الجينية دليلا على ذلك يقول:

«وفي ذلك تقول النصوص الجينية المقدسة: كما تتحد الحرارة بالحديد، وكما

---

(١) كتاب "جين اور خدا پرستي" (الجينية وعبادة الله) لسيد حامد علي ص ٢٩، ٣٠، بالأردية، **إداره شهادت حق نيو دلهي**، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م، نقلا عن كتاب **"جين مت سار"** تاليف: **لاله سمير چند جيني بالاردية**، ص ٨٩.

(٢) أديان الهند الكبرى ص ١١٦.

يمتزج الماء باللبن، كذلك يتحد الكارما بالروح، وبذلك تصير الروح أسيرة في يد الكارما»[١].

وبارتباط الروح بالمادة على أساس الأعمال تتجول الروح في الدنيا في الأجساد. «فخلق الإنسان يترتب على أعمال حياته السابقة، حتى شكله ولونه وعمره والطبقية كلها تكون طبقًا للأعمال السابقة»[٢].

ولا يمكن التخلص من التناسخ إلا بالحصول على "النجاة".

«وللوصول إلى تخليص الروح من الكارما يظل الإنسان يولد ويموت حتى تطهر نفسه وتنتهي رغباته، وإذ ذاك تقف دائرة عمله ومعها حياته المادية فيبقى روحًا خالدًا في نعيم خالد، وخلود الروح في النعيم بعد تخلصها من المادة يسمى عند الجينين "النجاة"»[٣].

والخلاصة: أن الجينية كالبرهمية في الإيمان بالتناسخ، وهو قائم على عقيدة الكارما، إلا أن مفهومه عند الجينية يختلف عن مفهومه عند البرهمية، فهو عند الجينية كائن مادي يلازم الروح، ولا يمكن التخلص منه إلا بالتقشف، والحرمان من اللذات، في حين أن الكارما عند البرهمية أمر اعتباري يحقق قانون الجزاء على الأعمال.

ومع هذا الفرق فالجينية لم تختلف كثيرًا في عقيدة التناسخ عن البرهمية، رغم أن الجينية تعتبر خروجًا على البرهمية، لاسيما لأجل النظام الطبقي، وسيطرة البراهمة على مقاليد أمور الدين. واعتماد فلاسفة البراهمة عقيدة التناسخ لتأصيل النظام الطبقي، ومع كل ذلك لم تستطع الجينية القضاء على عقيدة التناسخ، بل قالت بها فالطريق الذي سلكته للوصول إلى النجاة يؤدي إلى المرور بالتناسخ.

---

(١) أديان الهند الكبرى، ص ١١٦، نقلا عن كتاب "بوذا الأكبر"، لحامد عبد القادر، ص ٢٨.

(٢) جريدة دعوت، ص ١٦٨، مقالة: "الجينية"، للدكتور **پرم هنس چو بے**.

(٣) أديان الهند الكبرى، ص ١١٦، ١١٧.

المطلب الثالث: عقيدة التناسخ في البوذية:

يعرف مؤسس البوذية باسم سدارت، وتلقب بشاكيه موني، واشتهر بلقب بوذا، ويعني العارف، وهو المنزلة التي وصلها فيما بعد.

ولد سنة ٥٦٨ هـ قبل الميلاد، وأبوه "سدهو دون" كان ملكا لمدينة "كبل وستو"[١] التي كانت عاصمة لجمهورية قبيلة "ساكيه" في سهول نيبال.

توفى أبوه بعد ولادته بسبعة أيام، فتربى في حضانة أمه الثانية، وتعلم وتربى مثل أبناء الملوك، ثم تزوج وهو في الثامنة عشر من عمره، وتولد عنده مولود بعد عشر سنين.

شاهد "سدارت" في حياته ثلاثة مناظر للمرض، والألم، والموت، مما تأثر به وفكر أن الدنيا لا شيء، وأنه لا بد من بحث النجاة عن هذه الآلام، فخرج من بيته تاركا أسرته وأهله وهو يبحث عن التخلص من الألم، فلازم راهبين "أمار" و"أوك" من رهبان جبال "راج كره"[٢] ولكنه لم يطمئن بهما في سبيل هدفه، فبدأ يتقشف في غابة "غيا"[٣] ست سنين، وذات يوم من الصباح كان جالسًا تحت شجرة التين يفكر، إذ اكتشف المعرفة فجأة في المساء وحصل على درجة "بوذا".[٤]

---

(١) مدينة صغيرة في جبال هماليه من نيبال، وكانت مركزًا لقبيلة ساكيه في عهد بوذا، توجد هذه المدينة في الوقت الحاضر بنفس الاسم في نيبال، وتقع في جنوب غرب من عاصمة "كتمندو" على بعد ٤٥٠ كلو مترًا. المعلومات استقرائية.

(٢) إحدى مدن الهند القديمة، وكانت تحتل مكانا هاما في بداية الديانة البوذية، وقبل بناء مدينة باتلي بتر (**پٹنه** حاليا)، كانت راج كره (**راج گڑھ**) مركزا لمكدهـ، وموقعها على جهة الجنوب من نهر كنكا (گنگا)، والمدينة الحالية راجكير. وصارت أهمية هذه المدينة لما انعقد احتفال كبير فيها بعد وفاة بوذا لجمع وترتيب التعاليم والأسس البوذية. انظر: (راج كره وآثارها). RAJ GARH AND ITS REMAINS, J. MARSHAL A. S. I. REPORT 1905 -6- PP 86

(٣) غيا (GAYA) إحدى مدن ولاية بيهار الهندية التي تقع على مسافة ٥٠٩ كيلو مترًا تقريبا للشمال من كلكتا. انظر الهند القديمة، للدكتور محمد إسماعيل الندوي، ص ١٥.

(٤) انظر كتاب "بدهـ، جين، سكهـ، رادها سوامي، العنوان: **گوتم بدھ**، (غوتم بوذا) لمحمد إسماعيل هاتف بهوپالي، ص ١.

دعائم الفلسفة البوذية:

لقد أدرك بوذا من خلال ملاحظاته في الحياة، وما يحيطها من مرض وشقاء وألم، ونشأته في بيئة برهمية قررت تكرار هذه الحياة جزاء على الأعمال السابقة، فكأن الإنسان يتيه في دورات التناسخ، أدرك من هذا كله أن المشكلة الوحيدة للآلام وتكرارها واستمرارها في مختلف الأدوار هو اتباع الشهوات والرغبات، فقدم فلسفته للتخلص من هذه المشاكل.

«وتقوم دعائم الفلسفة البوذية على أربع قواعد هي:

١- الألم من لوازم الوجود.

٢- الرجوع إلى هذه الدنيا مرة أخرى سببه اتباع الشهوات والنقائص في حياة سابقة. (تناسخ).

٣- الخلاص من الشرور والنقائص هي الوسيلة الوحيدة للنجاة من العودة إلى الأرض في تقمص جديد بعد الموت.

٤- يجب على المرء أن يبعد عن نفسه العقبات التي تحول بينه وبين الخلاص من شهوته»[١].

التناسخ في البوذية:

يظهر من الفلسفة البوذية أنها تحاول القضاء على كل الوسائل والأعمال والرغبات التي تؤدي إلى تكرار الولادة (التناسخ)، وذلك لأن بوذا مثل مهاوير في شن الحرب على النظام الطبقي، وعقيدة التناسخ في البرهمية، «ولكن هذه الناحية تجلت فيما بعد بصورة سلبية، وهي أنه قد أحاط الغموض فيما يتعلق بعقيدة الآخرة في البوذية، ولا شك أن بوذا أبطل التناسخ ودوران الروح، ولكنه لم يأت ببديل

---

(١) الدين والفلسفة والعلم، للسيد محمود أبو الفيض، المنوفي، ص ٥٠.

إيجابي للتناسخ»[١] والحق أنه حاول القضاء على هذه العقيدة لكن محاولته لم تنجح تمامًا فقد أصبحت هذه العقيدة من جملة العقائد البوذية.

وقد أطلق العرب على البوذية اسم السمنية. قال الخوارزمي: «السمنية[٢]: هم أصحاب سمن، وهم عبدة أوثان يقولون بقدم الدهر، وبتناسخ الأرواح، وأن الأرض تهوي سفلا أبدًا»[٣].

وذهب المقدسي إلى أن السمنية هي معطلة، ثم بين: وأصل التعطيل إنكار الخالق والرسول والثواب والعقاب اعتقادا، لا إقرارًا منهم، اختاروا في دفع عادية الناس عنهم، فأثبتوا الثواب والعقاب التناسخ في السعادة والشقاوة اللتين عندهم الجنة والنار في هذا العالم، إذ لا دار عندهم غيرها، ولا هي فانية ولا منقضية.[٤]

فيرى أن البوذية، التي لها اسم آخر السمنية، لا تؤمن بالله والرسول فهي إذًا معطلة؛ وذلك لأن بوذا لم يتكلم عن الله والرسول بل سكت سكوتًا.

ثم يشرح المقدسي التناسخ القائم على الثواب والعقاب في الدنيا عند البوذية:
«والسمنية تقول: إن الثواب والعقاب موجودان في هذا العالم بالحواس جزاء ما اكتسبته النفوس باقية خالدة فاعلة، وفعلها الإيجاد بالأجساد، وأنها لا يزال ساكنة الأبدان، فإذا فارقت جسدًا لم تعد فيه أبدًا، وأنها تتناسخ على فعالها لا يأتي أمرًا إلا على قدر هواها وهمتها، فإذا اجترحت السيئات آثرت تلك الأفعال في جوهرها، وصار عرضا لازما لها، فإذا فارقت الجسد ذهبت بذلك التأثير إلى الجنس الذي

---

(١) الهند القديمة، لمحمد إسماعيل الندوي ص ١٤٨، ١٤٩.

(٢) ذهب التهانوي إلى أن السمنية نسبة إلى سومنات، وهي تطلق عند العرب على البوذين، وعند اليونان على نساك الهند، دائرة المعارف للبستاني ١٠/ ٨١. وانظر كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٤/ ٧٠٢.

(٣) مفاتيح العلوم، للشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي، ص ٢٥. دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) انظر البدء والتاريخ للمقدسي ٤/ ٥.

لايلائم همتها فتلابسه فيصير بذلك السبب إلى المكروه، وهو التناسخ في أجساد الحيوان كله من الهوام والأنعام والأنام والطير في البر والبحر»[١] .

ويقول البغدادي : «فأصحاب التناسخ من السمنية قالوا : بقدم العالم، وقالوا - أيضا - بإبطال النظر والاستدلال، وزعموا أنه لا معلوم إلا من جهة الحواس الخمس، وأنكر أكثرهم المعاد والبعث بعد الموت، وقال فريق منهم بتناسخ الأرواح في الصور المختلفة، وأجازوا أن ينقل روح الإنسان إلى كلب، وروح الكلب إلى إنسان»[٢] .

ومما ذكر المؤلفون القدامى يظهر أن البوذية على إيمان بأمور أدتها إلى الإيمان بالتناسخ، وهي إنكار الخالق، والإيمان بقدم العالم مع إثبات الثواب والعقاب، فمادام العالم قديمًا لا يفني، فبالتالي يتحقق الثواب والعقاب في هذا العالم بانتقال الأرواح إلى الأجسام المختلفة، يترتب على ذلك إنكار المعاد والبعث بعد الموت .

والجدير بالذكر أن البوذية لا تختلف في مراتب التناسخ عن البرهمية، ولكن التناسخ هو من أكبر المشاكل في البوذية التي هي دائما في المحاولة للتخلص منها . وعلى ذلك جل تعاليمه يدور حول فكرة التخلص من الألم .

«وليصل الإنسان إلى تحقيق إمكان إزالة أسباب الألم والشقاء يجب عليه أن يسير في الطريق المستقيم وذي الشعب الثمان :

١- الفهم الصحيح .

٢- السلوك الذي يحدد الاتجاه الحق إلى الخير دون أن يكون فيه إيلام الجسد وتعذيبه، والابتعاد عن الشر .

٣- القول الطيب، فلا يكذب ولا ينم ولا يسب ولا يهزأ، ولا يؤذي مخلوقًا بلسانه .

---

(١) البدء والتاريخ، للمقدسي ١/ ١٩٧، ١٩٨ . وانظر كذلك أديان الهند الكبرى ص ١٥٧ .

(٢) الفرق بين الفرق، للبغدادي، ص ٢٧٠، ٢٧١ .

٤- العمل الصالح، عمل كل ما فيه نفع الناس، والكف عن الأذى والعدوان.

٥- العيش الحلال، الذي يتم بتخير الرزق الحلال والزهد عما في أيدي الآخرين، والامتناع عن الغش والكسب الحرام بأي وسيلة.

٦- الجهد الصادق المثمر الذي يتجلى في إرادة الحكمة بفهمها فهمًا صحيحًا.

٧- التأمل بالانقطاع إلى الخير، وترويض النفس على العمل الصالح رغبة في الوصول إلى النرڤانا.

٨- الفرح بتحقق الأمل في الحياة الذي هو المعراج إلى النرڤانا.

ومتى تحقق للإنسان هذه المبادئ الثمانية فإنه يتخلص من الدوران في محيط الولادة والموت؛ لأنه يصل إلى النرڤانا، حيث لا ولالة ولا موت.

والنرڤانا في أصح معانيه هو الحال الذي ينعدم فيه التناسخ الذي هو من ضرورات النفس الشقية»[1].

وقد نقل الباحث الهندي المسلم المعاصر أبو محمد إمام الدين ما جاء في مجلة البوذيين "دهرم ودت" الصادرة عن مدينة سارنات التي تقع بجوار مدينة بنارس الهند، ما يدل على إيمان البوذية المعاصرة بالتناسخ، جاء في هذه المجلة:

«إن الإنسان ليجزى على ما يعمل من حسنات وسيئات، إن خيرًا فخير، وإن شرا فشر، أما ما يقال عن البوذية أنها لا تؤمن بالله والروح فكيف تعتقد بالتناسخ؟ فمن خصائص البوذية بأنها تؤمن بالتناسخ مع إنكارها الله والروح.

هناك من الأعمال ما يجزى عليها الإنسان عاجلا، ومنها ما يجزى عليه في المواليد المختلفة. ومنها ما ليس له جزاء. فيتكرر ولادة الإنسان مادام آثار الأعمال باقية.

ولفهم عقيدة التناسخ لا بد أن نعرف الموت، يقع الموت بعد ما ينتهي العمر أو

---

(١) الديانات والعقائد في مختلف العصور، لأحمد عبد الغفور عطار ١/ ١٢٧، ١٢٨.

العمل، وقد يقع بعد انتهائهما معا، وقد يموت الإنسان بعد ارتكابه عملا قبيحًا لتحمل الجزاء عليه . . .

ولتعرف أنه ليس هناك شيء يخرج بعد الموت من جسم ويدخل في جسم آخر، وإنما تحصل حالة حسنة أو سيئة وفقا للأعمال، فيولد الإنسان.

ثم بين الباحث المذكور ما به الافتراق بين البرهمية والبوذية في التناسخ فقال:

١- إن الديانة البرهمية تؤمن بأن الله هو الذي يجزي الإنسان على ما قدم من عمل بتكرار الولادة، وأما البوذية فتنكر هذا.

٢- البرهمية تعتقد بوجود روح وأزليتها، وأما البوذية فتنفي وجود الأرواح.

٣- على نظام التناسخ عند البرهمية يولد الإنسان حيوانات ونباتات، وأما في البوذية فلا يولد الإنسان إلا إنسانًا.

٤- الدنيا تولد وتفني من الأزل إلى الأبد، وعلى هذا الأساس قامت عقيدة التناسخ في البرهمية، وأما البوذية فترفض هذا.[(١)]

والبوذية حين رفضت وجود الأرواح وأقرت بانتقال الرغبة والحالة الناتجة من الأعمال، من جسم إلى جسم، فما هي إلا مظهر من مظاهر الروح، فكأنها اعترفت بالروح من جهة أخرى.

ويظهر مما ورد من البوذية الحديثة ما يدل على اعتقادها بالنسخ فقط، بينما تعتقد البوذية القديمة بالنسخ والمسخ، فربما حدث ذلك نتيجة للتغيير والتبديل في بعض العقائد.

ويمكن أن ألخص أهم ما يتعلق بالتناسخ في البوذية فيما يلي:

أولا: إن البوذية ظهرت مثل الجينية ضد الاحتكاك البرهمي في الديانة البرهمية التي كانت من أهم عقائدها النظام الطبقي، وعقيدة التناسخ، ولما كان

---

(١) انظر: "اواگمن کا تحقیقي جائزه" لأبي محمد إمام الدين ص ١١، ١٢، بلغة اردو.

التلبس بالدنيا ونعيمها والاهتمام بالمادية مما يسبب دوران الحياة وتكرار الولادة، فكان لا بد من تصريف الحياة إلى التجنب من الشهوات والنقائص والشرور، والوصول إلى النرڤانا، وبذلك يمكن التخلص من التناسخ.

ثانيا: إلا أن الإنسان إذا لم يبلغ هذه الدرجة فيتقيد بالتناسخ. وعلى ذلك تقرر إيمان البوذية بالتناسخ، بالإضافة إلى أن بوذا حين أراد القضاء على التناسخ فلم يأت ببديل، إذ كانت فكرته حول الآخرة غامضة، فوقعت البوذية كالبرهمية في الإيمان بالتناسخ.

وأخيراً يمكن القول في الديانات الهندية أن الانطلاق أو اندماج الروح في الذات الإلهي في البرهمية، والنجاة في الجينية، والوصول إلى النرڤانا في البوذية هو الهدف الأسمى والغاية القصوى في تلك الديانات، إلا أن الإنسان لو كان قاصراً في نيل هذا الهدف فيقع فريسة للتناسخ، غير أن التناسخ أصبح عقيدة هامة وجزء المجتمع البرهمي، أما الجينية والبوذية فهي دائما في المحاولة للقضاء على مشكلة التناسخ، والتخلص منها.

المبحث الرابع عقيدة التناسخ عند فلاسفة اليونان:

إن فلاسفة اليونان قد نبغوا في الحكمة والفلسفة، وبلغوا ذروة العلم، وخاضوا في بحوث الطبيعيات بحيث لم تسبق إليهم الأمم الأخرى من قبل. كما أنهم أمعنوا النظر والاستدلال في ما بعد الطبيعيات، غير أنهم اعتمدوا في مباحثهم على العقل والفكر والنظر. فمهما ابتكروا من العلوم الفلسفية والمنطقية إلا أنهم كثيراً ما زلت أقدامهم عن المنهج الصحيح، فحدث انحراف فكري وعقيدي، والذي يهمنا من انحرافاتهم وزيغهم هو في قضية الروح والنفس، والقول بالتناسخ.

ومن هؤلاء الفلاسفة الذين صرحوا بالقول بالتناسخ أصحاب المدرسة الأورفية في نهاية القرن السادس قبل الميلاد، «وهي قائمة على أسطورة مؤداها أن الإنسان مركب من عنصرين متعارضين: من العنصر الطيطاني، وهو مبدأ الشر، ومن دم ديونيوس (إله التضحية) وهو مبدأ الخير، فالجسد بمثابة القبر للنفس، وهو عدوها اللدود، يجري معها على خصام دائم، فواجب الإنسان أن يتطهر من الشر، وهذا أمر عسير لا تكفي له حياة أرضية واحدة، بل لا بد من سلسلة ولادات تطيل مدة التطهير والتكفير إلى آلاف السنين»[(١)].

وهكذا تبدو عقيدة تناسخ الأرواح واضحة في هذا المذهب الأورفي، وسار على هذا المنهج العقدي فلاسفة كثيرون منهم على سبيل المثال:

١- فيثاغورس:

ذهب الدكتور عرفان عبد الحميد إلى أن فيثاغورس ارتبطت باسمه عقيدة التناسخ فقال:

---

(١) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية، ليوسف كرم، ص ٦, ٧ . لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٣٨٩هـ= ١٩٧٠.

«. . . إن عقيدة التناسخ ترتبط عمومًا باسم فيثاغورس (٥٧٢ - ٤٩٧ ق م)، الذي استمد أكثر معارفه الصوفية من الأورفية»[١] .

ويقال إنه كان يدعو الناس إلى عقيدة التناسخ، وكان يقول: إنني خبير بولادتي الأولى.[٢]

ويقول محمد فريد وجدي: «أما مذهبه فقد حفظ عنه ودونه تلامذته بالدقة فيما يقال، وهو أنه كان يعتقد بالتناسخ، وإن النفس الفاضلة متى خرجت من جسم صاحبها تلبست بجسم شخص فاضل، وبخلاف ذلك لو كانت شقية فإنها تتقمص جسم حيوان قذر، وكان يقول إنه يتذكر الحالات التي كان فيها هو نفسه في أجساد مختلفة»[٣] .

«ومذهب الفيثاغوريين القول بخلود النفس، والنفس والروح لديهم بمعنى واحد»[٤] .

وأما عاقبة الإنسان بعد الموت فيقولون في الذي أحسن عمله:

«إن كل إنسان أحسن تهذيب نفسه في الدنيا ونزهها عن العجب والحسد والشهوات الجسدانية فإن نفسه تلحق بعد موته بالعالم الروحاني، وتطلع على جواهر الحكمة الإلهية»[٥] .

وأما الإنسان الذي ارتكب السيئات فيقولون: «بعد الموت تهبط النفس إلى

---

(١) الفلسفة في الإسلام، للدكتور عرفان عبد الحميد ص ٢٢٥، دار التربية، بغداد. وانظر كذلك "فلسفهء مذهب" بلغة اردو، لمولوي سيد مقبول أحمد ص ٨٢، ٨٣.

(٢) انظر **كليات آريه مسافر، پنڈت ليكهـ رام،** بلغة اردو، ص ١٠٢، نقلا عن تاريخ مصر، ص١١٠.

(٣) الإسلام في عصر العلم، محمد فريد وجدي، ص ١٢٠، الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ = ١٩٦٧م، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٤) الديانات والعقائد، أحمد عبد الغفور عطار ١/ ٣٨٤.

(٥) تاريخ الفكر العربي، عمر فروخ، ص ٧٠.

الجحيم تتطهر بالعذاب، ثم تعود إلى الأرض تتقمص جسما بشريا أو حيوانيا أو نباتيا، ولا تزال مترددة بين الأرض والجحيم حتى يتم تطهيرها»[١].

فيمكن الاستنتاج من هذا كله:

١- إنهم آمنوا بوجود النفس وخلودها.

٢- اعتقدوا التناسخ للنفوس التي ضلت عن سبيل الخير، وأما النفوس الطاهرة فلا تناسخ لها عند من يرى ذلك، ويرى آخرون أنها تتلبس بنفس طاهرة.

٣- آمنوا بجهنم، فالنفوس الشقية تعذب فيها أولا ثم تتناسخ في أجساد مختلفة، وفي هذا المبدأ تلتقي الفيثاغورية بالديانة الهندوسية.

٢- سقراط:

من الذين قالوا بالتناسخ من الفلاسفة، سقراط الذي كان أستاذا لأفلاطون.

«ولمدرسة أثينا في اللاهوت مكانة مرموقة في فلسفة اليونان، وأقطابها ثلاثة: سقراط، وأفلاطون، وأرسطو. وهم يمثلون كل جوانب الفلسفة في عصرهم، بل هم مشعلها المضيء الذي لم ينطفئ حتى اليوم»[٢].

يقول الشهرستاني عن مذهب سقراط:

«ومن مذهب سقراط أن النفوس الإنسانية كانت موجودة قبل وجود الأبدان على نحو من أنحاء الوجود، إما متصلة بكلها، وإما متمايزة بذواتها وخواصها، فاتصلت بالأبدان استكمالا واستدامة، والأبدان قوالبها وآلاتها، فتبطل الأبدان وترجع النفوس إلى كليتها»[٣].

فكان سقراط يعتقد بالتناسخ «وينشر هذه العقيدة بين الناس وكان يقوم بدعوة

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، ص ٢٤.

(٢) الديانات والعقائد، أحمد عبد الغفور عطار ١/ ٤٠٠.

(٣) الملل والنحل، الشهرستاني، ٢/ ٤٠٣.

التناسخ في الأسواق»[١].

وكان يقول: «الأرواح الإنسانية هل تستقر في الدنيا بعد الموت أم لا؟ علينا أن نفكر في هذا الصدد بأن هذا اعتقاد قديم الذي نعلمه أن الأرواح بعد مغادرة هذه الدنيا تستقر في العالم الثاني، وكما نفهم أيضًا أنها تعود إلى هذا العالم، ثم إنها تولد من الأموات، أي: تولد حياة جديدة»[٢].

ويشرح البيروني قول سقراط في التناسخ:

«قال سقراط في كتاب " فاذن "[٣]: نحن نذكر في أقاويل القدماء أن الأنفس تصير من هاهنا إلى " ايذس " ثم تصير أيضًا إلى ما هاهنا، وتكون الأحياء من الموتى والأشياء تكون من الأضداد، فالذين ماتوا يكونون في الأحياء، فأنفسنا في أيذس قائمة، ونفس كل إنسان تفرح وتحزن للشيء وترى ذلك الشيء بها، وهذا الانفعال يربطها بالجسد ويسمّرها به ويصيرها جسدية الصورة، والتي لا تكون نقية لا يمكنها أن تصير إلى أيذس، بل تخرج من الجسد وهي مملوءة منه حتى إنها تقع في جسد آخر سريعًا، فكأنها تودع فيه تثبت، ولذلك لاحظ لها في الكينونة مع الجوهر الإلهي النقي الواحد»[٤].

٣- أفلاطون:

جاء أفلاطون بعد سقراط، ويقال إنه ولد في سنة ٤٢٧، وتوفى سنة ٣٤٧ ق م وكملت جوانب الفلسفية اليونانية على يديه، وحفلت كتبه بآراء آية في السداد

---

(١) **كليات آريه مسافر، پنڈت ليكهـ رام، ص ١٠٤، بلغة اردو،** نقلا عن «ترايل اند ديتهـ آف ساقراطيز» مترجم: **چرچ صاحب ايم اے** ص ١٣٢، سنة ١٨٩٠ لندن.

(٢) المرجع السابق، ص ١٠٤.

(٣) فاذن: أحد كتب أفلاطون، وكان يجعل كتبه أقوالا، ومنها قول سماه فاذن. انظر الفهرست لابن النديم، ص ٣٠٦.

(٤) تحقيق ما للهند، البيروني، ص ٤٣، ٤٤.

والعبقرية في مختلف المجالات التي ارتادها بفكره القوي الثاقب»[١].

آمن أفلاطون بخلود النفس، وأن النفس هي معدودة لا تزيد ولا تنقص، يقول: «وما دامت النفس لا يفنيها الشر إطلاقا، سواء أكان غريبا عنها أم خاصا بها. فواضح أنها دائما كائنة، وهي لذلك خالدة.

وينبغي أن تكون النفوس الكائنة هي ذاتها دائما؛ لأنها لا يمكن أن تصبح أقل عدداً مادام لم يتلف منها شيء، ولا يمكن أن تزيد؛ لأن نوع الأشياء الخالدة إذا زاد عددا، فلا بد أن تكون بعض الأشياء الفانية قد عملت على تضخم عددها»[٢].

طبيعة النفس عند أفلاطون:

يقول أفلاطون عن طبيعة النفس: «سوف نشبه طبيعة النفس بمركبة مكونة من جوادين مجنحين، وسائق يقودهما، أما نفوس الآلهة فجيادها وسائقها كلهم أخيار ومن سلالة خيرة، أما فيما يتعلق بالكائنات الأخرى فإن عناصرها تكون مختلطة، فبالنسبة لنا لا تكون العربة متجانسة الأجزاء؛ لأن السائق يقود زوجا من الجياد وأحد جميل أصيل، أما الثاني فهو على العكس من ذلك سواء في طبيعته أو في سلالته، ويترتب على ذلك أن تصبح مهمة السائق في حالتنا شاقة مفنية»[٣].

فالنفوس هي دائما في التحليق والاتجاه إلى حيث تسكن الآلهة «والطبيعة الإلهية هي الجمال والحكمة والخير و كل ما هو من هذا القبيل، وبهذه الصفات تتغذى أجنحة النفس وتقوى»[٤].

---

(١) الديانات والعقائد، أحمد عبد الغفور عطار ١/ ٤٠٣.

(٢) جمهورية أفلاطون، الكتاب العاشر، ص ١٧٦، نظلة الحكيم، محمد مظهر سعيد، دار المعارف ١٩٦٣م.

(٣) محاورات ونصوص لأفلاطون، فايدروس، ثياتيتوس، ترجمة وتقديم، دكتورة أميرة حلمي مطر، ص ٧٧، ٧٨، دار المعارف، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

(٤) المرجع السابق، ص ٧٩.

عقيدة التناسخ عند أفلاطون:

يقول البيروني: «. . . فإن يحيى النحوي[١] يحكي عن أفلاطون أنه كان يرى أن الأنفس الناطقة تصير إلى لباس أجساد البهائم، وأنه اتبع في ذلك خرافات فيثاغورس»[٢].

وجاء في نصوص أفلاطون: «أن أيّ نفس تكون في معية إله، وتكون قد توصلت إلى رؤية بعض الحقائق الصحيحة تسلم من كل الشرور حتى الدورة التالية، وإذا ظلت قادرة على الاحتفاظ بهذه الرؤية فإنها تظل دائمًا بمنأى عن أي أذى. أما إذا قصرت في تتبع الآلهة وضلت الرؤية كما لو كانت لسوء حظها قد امتلأت بالنسيان والفساد فثقلت، فحينئذ تصير بحالة من الثقل وتفقد ريشها فتسقط على الأرض»[٣].

«فهذه النفوس تتأمل دائما في الألوهية، فإذا اتفق أن نفسا منها غفلت عن تأملها ابتعدت عن الألوهية، ولا تزال تبتعد حتى تسقط من الملأ الأعلى إلى الأرض، ثم تدخل في جسد، فإذا مات الجسد رجعت النفس إلى مقرها (بعد أن تكون قد عوقبت على غفلتها بتقلبها في جسد ما، ثم قد يتفق أن تهبط النفس ذاتها مرة أخرى أو أكثر، فينتج من هذا عند أفلاطون أن النفس الواحدة تدخل في أجسام متعددة»[٤].

---

(١) **يحيى النحوي**: «كان يحيى تلميذ ساواري، وكان أسقفا في بعض الكنائس بمصر، ويعتقد مذهب النصارى اليعقوبية، ثم رجع عما يعتقده النصارى في التثليث فاجتمعت الأساقفة وناظرته فغلبهم واستعطفته وأنسته وسئلته الرجوع عما هو عليه وترك إظهاره، فأقام على ما كان عليه وأبى أن يرجع، فاسقطوه، وعاش إلى أن فتحت مصر على يدى عمرو بن العاص، فدخل إليه وأكرمه ورأى له موضعًا». الفهرست لابن النديم، ص ٣١٤، ٣١٥.

(٢) تحقيق ما للهند، البيروني، ص ٤٩.

(٣) محاورات ونصوص لأفلاطون، فايدروس، ثياتيتوس، ص ٨٢.

(٤) تاريخ الفكر العربي، عمر فروخ، ص ١٠١، ١٠٢.

وهكذا يتضح من أقوال أفلاطون وقوع التناسخ للنفس الغافلة البعيدة عن تأمل الألوهية عقابا لها على غفلتها.

٤- أرسطو:

وخاتمة المدرسة الأثينية أرسطو الذي شغل عالم الفكر والفلسفة في العالم، وأثر في مختلف الثقافات الإنسانية، حتى الديانات السماوية أثر في مفكريها وفلاسفتها، وما يزال يشغل الفكر الإنساني بعبقريته وآرائه.

وقد ولد سنة ٣٨٤ وتوفى سنة ٣٢٢ قبل الميلاد، وهو من تلامذة أفلاطون، وحضر اكادميته حتى عشرين سنة، ولم يغادرها إلا بعد موت أستاذه»[١].

رأي أرسطو في النفس والتناسخ:

اختلف العلماء في قضية النفس عند أرسطو، ومن ثم اختلفوا في اعتقاده بالتناسخ.

فيرى ابن سينا[٢] أن أرسطو كان يؤمن بقدم النفس وعدم حدوثها، وأنه كان من القائلين بالتناسخ. يقول في أرسطو:

«. . . وبين أن النفس إذا كانت في حال تفارق المادة فليست من الهيئات المتعلقة بالمزاج البدني والمتقررة في المادة، فليست مما تحدث بحدوث البدن، وإذا كانت النفوس موجودة قبل الأبدان وجب أن يكون لها في الوجود السابق على

---

(١) الديانات والعقائد، أحمد عبد الغفور عطار ١/ ٤٠٦.

(٢) **ابن سينا**: هو الحسن بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك: الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب، والمنطق، والطبيعيات، والإلهيات. أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بخارى، نشأ وتعلم في بخارى، وطاف البلاد، وناظر العلماء واتسعت شهرته، وتقلد الوزارة في همدان، وثار عليه عسكرها ونهبوا بيته فتوارى، ثم صار إلى أصفهان، وصنف بها أكثر كتبه، وعاد في أواخر أيامه إلى همدان، فمرض في الطريق ومات بها سنة ٤٢٨ هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٢/ ٢٤١.

الأبدان عدد محدود، والأبدان غير محدودة فالتناسخ إذن واجب»[١].

بينما يقول الرازي[٢]: «وأما أرسطو ومتبعوه فقد اتفقوا على حدوث النفس الإنسانية، ودليلهم في ذلك أن النفوس لو كانت موجودة قبل الأبدان، فإما أن تكون واحدة أو كثيرة، فإن كانت واحدة فإما أن تتكثر عند التعلق بالبدن أو لا تتكثر فإن لم تتكثر كانت النفس الواحدة نفسا لكل بدن، ولو كان كذلك لكان ما علمه الإنسان علمه كل إنسان وما جهله إنسان جهله كل إنسان وذلك ظاهر البطلان، وإن تكثرت عند التعلق فيكون الشيء الذي ليس له عظم وحجم منقسماً بالقوة، وذلك محال، وأما إن كانت قبل البدن متكثرة فلا بد وأن تمتاز كل واحدة منها عن الأخرى، إما بالماهية أو لوازمها أو عوارضها، والأول والثاني محالان؛ لأن النفوس الإنسانية متحدة بالنوع، فتتساوي جميع أفرادها في جميع الذاتيات ولوازمها فلا يمكن وقوع الامتياز بهما، وأما العوارض فحدوثها إنما يكون بسبب المادة، ومادة النفس هي البدن فقبل البدن لا مادة، فلا يمكن أن تكون هناك عوارض مختلفة فثبت أنه يمتنع وجود النفس قبل البدن على نعت الاتحاد ونعت الكثرة، فإذاً يمتنع وجود النفس قبل البدن»[٣].

---

(١) الأضحوية في المعاد، لابن سينا، تحقيق الدكتور حسن عاصي، ص ١١٦، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

(٢) **الرازي**: هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الطبرستاني الأصل، الرازي المولد، الملقب فخر الدين، المعروف بابن الخطيب، الفقيه الشافعي، فريد عصره، ونسيج وحده، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات، وعلم الأوائل، له التصانيف المفيدة في فنون عديدة، منها: تفسير القرآن الكريم، جمع فيه كل غريب وغريبة، كانت ولادته في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة أربع وأربعين، وقيل: ثلاث وأربعين وخمس مائة بالري، وتوفى سنة ٦٠٦ هـ، بمدينة هراة. انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٤/٢٤٨، ٢٥٠.

(٣) المباحث المشرقية، للإمام فخر الدين الرازي ٢/ ٣٩٠، مكتبة الأسدي بطهران ١٩٦٦م.

ويبدو مما قال به واستدل عليه أرسطو أنه ذهب إلى أن النفوس هي ليست قديمة ولا موجودة قبل وجود الأبدان، بل هي حادثة حدثت مع حدوث الأبدان فتحدث نفس مع كل بدن، فلا انتقال للنفس من بدن إلى بدن آخر؛ إذ القول بالتناسخ قائم على القول بقدم النفس.

ويلاحظ أن هذا تناقض في الرأيين: فالأول يرى أن أرسطو قال بقدم النفس، وبالتالي يرى تناسخ النفوس، وأما الرأى الثاني فعلى أن أرسطو قال بحدوث النفس، ومن ثم بعدم تناسخها في الأجساد.

وربما يكون رأي ابن سينا في ذلك مائلا إلى الصحة، حيث «نقل أن أرسطاطاليس رجع عن مذهبه في إبطال التناسخ إلى مذهب أستاذه أفلاطون، لكن بقي المشهور في كتبه منع التناسخ»[1].

وخلاصة ما جاء في المبحث أن من الفلاسفة المشهورين من اعتقدوا بعقيدة التناسخ، من فيثاغورس وسقراط وأفلاطون وأرسطو، ومنهم من كان يشهر هذا المعتقد، ويدعوا الناس إليه، وكان المنهج الأصيل لهؤلاء الذي ساروا عليه، المذهب الأورفي.

---

(١) الرسالة في التناسخ، مخطوطة، ص ١٠، في مكتبة رضا رامبور - الهند، برقم: ١٧٨٦.

المبحث الخامس عقيدة التناسخ في المجوسية المانوية:

اعتقد المجوس بالثنوية، يقول عنهم الشهرستاني:

«. . . الثنوية اختصت بالمجوس، حتى أثبتوا أصلين اثنين مدبرين قديمين، يقتسمان الخير والشر، والنفع والضرر، والصلاح والفساد، أحدهما: النور، والثاني: الظلمة، وبالفارسية يزدان، وأهرمن . . .

ومسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين: إحداهما: بيان امتزاج النور بالظلمة، والثانية: سبب خلاص النور من الظلمة. وجعلوا الامتزاج مبدأ والخلاص معادًا»[١].

حتى في عهد زرادشت[٢] عقيدة المجوس كانت تدور حول هذين الأصلين: النور والظلمة، إلى أن جاء ماني، وأبقى عقيدته في الأصلين متقاربة من السابق إلا أنه أضاف عقيدة التناسخ.

والمانوية: أصحاب ماني[٣] بن فاتك الحكيم الذي ظهر في زمان

---

(١) الملل والنحل، للشهرستاني ٢/ ٢٦٠، ٢٦١.

(٢) ولد زرادشت حوالي سنة ٦٦٠ قبل الميلاد بأذربيجان، ولما بلغ العشرين من عمره آثر العزلة والرياضة الروحية، والتأمل العميق في ملكوت السماوات والأرض، ثم وصل إلى أرقى درجات الصفاء الروحي، وتروي أسفار الديانة الزردشتية أنه حينما بلغ هذه المرحلة نزل عليه الوحي من السماء، وأصبح نبيا مرسلا، وأوحى الله إليه بتفاصيل دين كامل يبلغه الخلق، وبكتاب مقدس هو الأبستاق. انظر الأسفار المقدسة، للدكتور علي عبد الواحد وافي ص١٥١، ١٥٢ بتصرف.

(٣) **ماني**: ولد ماني في مملكة بابل حوالي ٢١٥م، وكانت أحد المراكز الجامعة للشعوب والديانات المواتية للتخير، وتاليف المذاهب، وكان أبوه فارسيا ينتمي إلى شيعة ثنائية فأنشأه عليه، قرأ ماني الكتب الدينية على اختلافها، ومنها كتب الغنوسيين، ولما بلغ الرابعة والعشرين ادعى النبوة وشرع يعظ، ثم قصد إلى الهند، وأعلن هناك "أمل الحياة"، ولما ارتقى شابور عرش فارس ٢٤١، استدعاه وأذن له أن يعظ في أنحاء المملكة، ولكن مذهبه لقي معارضة شديدة لخروجه على الزرادشتية، فأمر به الشاه بهرام بن شابور فأعدم سنة ٢٧٢. تاريخ الفلسفة اليونانية، ليوسف كرم ص ٢٥٨.

شابور[١] بن أزدهير، وقتله بهرام[٢] بن هرمز بن شابور، وذلك بعد عيسى عليه السلام أخذ دينا بين المجوسية والنصرانية»[٣].

عقيدة ماني في الكون:

يقول الشهرستاني: «حكى محمد[٤] بن هارون، المعروف بأبي عيسى الوراق، وكان في الأصل مجوسيا عارفًا بمذاهب القوم، إن الحكيم ماني زعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين، أحدهما: نور، والآخر ظلمة، وأنهما أزليان لم يزلا، وأنكروا وجود شيء لا من أصل قديم، وزعم أنهما لم يزالا قوتين حساستين ... وأن أجناس النور خمسة، أربعة منها أبدان، والخامس روحها، فالأبدان هي النار، والنور، والريح، والماء، وروحها النسيم، وهي تتحرك في هذه الأبدان. وأجناس الظلمة خمسة، أربعة منها أبدان، والخامس روحها، فالأبدان هي: الحريق والظلمة، والسموم والضباب، وروحها الدخان. وهي تدعي الهمامة، وهي تتحرك في هذه الأبدان»[٥].

---

(١) **شابور:** هو سابور بن أردشير بن بابك، ثاني ملوك الدولة الساسانية الفارسية، وهي الطبقة الرابعة من ملوك الفرس، توجه أبوه في حياته فلما مات قام بالمملكة، وقتل سابور سنة ٢٧٠م، انظر دائرة المعارف، للبستاني ٩/ ٣٦٥، ٣٦٦.

(٢) **بهرام:** هو ابن سابور، كان حليما متأنيا حسن السيرة، وفي آخر ملكه اتفق أنه خرج إلى الصيد فشد على عنز وأمعن في طلبه فارتطم في جب فغرق، فبلغ ذلك والدته فأمرت بإخراجه فنقلوا من الجب طينا كثيراً حتى صار ركاما عظامًا فلم يقدروا أن يخرجوه. انظر المرجع السابق ٥/ ٦٣٧ - ٦٣٩.

(٣) الملل والنحل ٢/ ٢٦٨، وانظر الفهرست، لابن النديم ص ٣٩٢.

(٤) **أبو عيسى الوراق:** محمد بن هارون بن محمد الوراق، من المتكلمين النظارين، وكان معتزليا، ثم خلط، وانتهى به التخليط إلى أن صار يرمى بمذهب أصحاب الاثنين. الفهرست لابن النديم ص ٢١٦.

(٥) الملل والنحل، الشهرستاني ٢/ ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠.

عقيدة "ماني" في التناسخ:

يقول البغدادي: «وقد ذهبت المانوية أيضًا إلى التناسخ؛ وذلك أن ماني قال في بعض كتبه: إن الأرواح التي تفارق الأجسام نوعان: أرواح الصديقين، وأرواح الضلالة، فأرواح الصديقين إذا فارقت أجسادها سرت في عمود الصبح إلى النور الذي فوق الفلك، فبقيت في ذلك العالم على السرور الدائم، وأرواح أهل الضلال إذا فارقت الأجساد وأرادت اللحوق بالنور الأعلى ردّت منعكسة إلى الأسفل، فتتناسخ في أجسام الحيوانات إلى أن تصفو من شوائب الظلمة، ثم تلتحق بالنور العالي»[(١)].

فالتناسخ ثابت لأرواح أهل الضلال فقط، ولكن ابن النديم مع إبقاء هذا النوع للتناسخ يضيف نوعًا آخر، وهو أرواح معيني الصديقين، وهي تتناسخ أيضًا. يقول: «وأما الإنسان المحارب، القابل للدين والبر، الحافظ لهما وللصديقين، فإذا حضرت وفاته حضر أولئك الآلهة الذين ذكرتهم[(٢)]، وحضرت الشياطين واستغاث ومتّ بما كان يعمل من البر وحفظ الدين والصديقين، فيخلصونه من الشياطين، فلايزال في العالم، شبه الإنسان الذي يرى في منامه الأهوال، ويغوص في الوحل والطين، فلا يزال كذلك إلى أن يتخلص نوره وروحه، ويلحق بملحق الصديقين، ويلبس لباسهم بعد المدة الطويلة من تردده». وأما عن الإنسان الأثيم فبعد ما يحضره الشياطين، والآلهة الذين حضروا لتوبيخه يقول: «ثم لا يزال يتردد في العالم في العذاب إلى وقت العاقبة فيدحى به في جهنم»[(٣)].

فتتردد أرواح المعينين في شبه الإنسان الذي يرى في منامه الأهوال، كما أن روح الأثيم تترد في العالم في العذاب إلى مدة العاقبة، وأخيرا تدخل في الجحيم،

---

(١) الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، ص ٢٧١.

(٢) هم الإله بصورة الحكيم الهادي، ومعه ثلاثة آلهة. انظر الفهرست لابن النديم ص ٣٩٨.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٩٨.

وتردد الأرواح في غير الجسم الأول هو التناسخ.

وماني «قال في سفر الأسرار[١]: إن الحواريين لما علموا أن النفوس لا تموت وأنها في الترديد منقلبة إلى شبه كل صورة هي لابسة لها، ودابة جبلت فيها ومثال كل صورة أفرغت في جوفها سألوا المسيح عن عاقبة النفوس التي لم تقبل الحق، ولم تعرف أصل كونها، فقال: أي نفس ضعيفة لم تقبل قرائنها من الحق فهي هالكة لا راحة لها، وعنى بهلاكها عذابها لا تلاشيها ...»[٢].

نقل ماني عقيدة التناسخ من الهند:

ثبت إن ماني قد رحل إلى الهند[٣] ويرى البيروني أن ماني قد قال بالتناسخ نقلا عن الهندوس، يقول البيروني: «وكان ماني نفى من "إيرانشهر"[٤] فدخل أرض الهند ونقل التناسخ منهم إلى نحلته»[٥]، وكما قلنا: إن الديانة الهندوسية من أهم معتقداتها عقيدة التناسخ فلا غرابة أنه تأثر بها، ثم رجع إلى بلاده مصطبغة عقيدته بالتناسخ. خاصة وأن عقائد المجوس بإلهين، وحصر عقيدتهم في امتزاج هذين الأصلين أو خلاصهما مما يساعد على قبول تلك العقيدة أعني التناسخ. والله أعلم.

---

(١) وهو كتاب ماني من كتبه بلغة سوريا، يحتوي على أبواب. انظر الفهرست لابن النديم ص٣٩٩.

(٢) تحقيق ما للهند، البيروني ص ٤١، ٤٢.

(٣) انظر مروج الذهب، للمسعودي ١/ ٢٤٩، والفهرست لابن النديم ص ٣٩٢.

(٤) إيرانشهر هو إيران، وإيراج اسم ولد لأفريدون، فنسب إليه، وإيراج اسقطوا الجيم منه وأبدلوها بالنون، فصار إيران، وشهر هو الملك. مروج الذهب للمسعودي ١/ ٢٢٥.

(٥) تحقيق ما للهند، البيروني ص ٤١.

الخلاصة:

مما سبق يتضح أن أهم ما يتصل بجذور التناسخ يشمل ما يأتي:

١- إن عقيدة التناسخ عقيدة ناتجة من سوء التفكير في حتمية الجزاء، والحكم بالعقول في الغيبيات، وذلك لأن الذي يعلم الغيب هو الله وحده، ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾[1] أما القائلون بالتناسخ فقد قاسوا الغائب على الشاهد فقالوا بالتناسخ.

وكل من نهج هذا المنهج الضال من الصابئة، وأصحاب الديانة المصرية، والديانات الهندية الكبرى، والمجوسية المانوية، وفلاسفة اليونان فكلهم قالوا بالتناسخ لإعمال عقولهم في النصوص، وقياس الغائب على الشاهد.

٢- اضطربت النصوص في بيان الأصل الذي نشأ منه التناسخ، ويمكن القول بأن الأصل في كل من قال بالتناسخ وجود علة مشتركة وهي الطغيان، فالذين حكموا في قضية الجزاء بعقولهم طغيانا وغلواً في المنهج الرباني قالوا بالتناسخ، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ **أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ** ﴾[2].

ومع الاعتماد على هذا المعيار فلا مانع من تحقق أخذ اللاحق عن السابق على الوجه التقريبي في بيانهما.

٣- تأتي الصابئة في طليعة من قال بالتناسخ - على حسب ما توفر من تاريخهم - حيث كانوا زمن إبراهيم عليه السلام بحران نحو ٢٢٠٠ ق. م.[3]

ثم يتبع الصابئة دور المصريين القدماء حيث أن كتاب الموتى الذي اعتمدت عليه

---

(١) التغابن، الآية: ١٨.

(٢) الذاريات، الآية: ٥٣.

(٣) انظر هامش قصص الأنبياء، لعبد الوهاب النجار، ص ١٥٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الثالثة.

في بيان التناسخ يتعلق بالعائلة الثامنة عشرة، والتي تسلطت على مصر عام ١٧٠٣ قبل الميلاد.[١]

ويليها عهد الويد في الديانة الهندوسية. والأرجح أن الريج ويد أقدم الويدات ألف بعد القرن الرابع عشر ق. م. لكونه يصف عصر قدوم الآريين الذين جاؤوا إلى الهند قرابة هذا الزمن.[٢]

ثم يأتي دور الفلاسفة اليونانيين الذين ساروا في التناسخ على منهج المدرسة الأورفية التي كانت في القرن السادس قبل الميلاد.

وأما المجوسية المانوية التي اعتقدت بالتناسخ فكان ظهورها قرابة القرن الثالث الميلادي.

وعلى هذا القول التقريبي لا ضير أن اللاحق قد يأخذ من السابق أو يتأثر به. والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(١) انظر دليل مصر لعامي ١٨٨٩-١٨٩٠م، وضعه يوسف آصاف وقيصر نصر، ص ١٦، المطبعة العمومية بمصر ١٨٨٩م.

(٢) انظر النظام الطبقي في البرهمية (رسالة ماجستير)، لعبد الرحمن بوتامل، ص ٣٠، نقلا عن التيارات الخفية للحضارة الهندية ٢/ ١٩٠.

الباب الثاني

التناسخ عند غلاة الشيعة

وفيه ثلاثة فصول

١- بيان غلاة الشيعة وانتقال التناسخ إليهم

٢- مقالات غلاة الشيعة في التناسخ

٣- أثر التناسخ في فرق الشيعة المعاصرة

الفصل الأول

بيان غلاة الشيعة وانتقال التناسخ إليهم، وفيه مبحثان

١- نشأة الغلو الشيعي.

٢- عوامل انتقال التناسخ إلى غلاة الشيعة.

تمهيد:

عرفت الأمم القديمة التناسخ على نحو ما سلف بيانه، وجاء الإسلام الخاتم ليرد الناس إلى دين الله الحق، ويهديهم للتي هي أقوم، فهدى من الضلالة وعلّم من الجهالة ودخل الناس في دين الله أفواجًا، ثم انتقل صلوات الله وسلامه عليه إلى الرفيق الأعلى وترك الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

ثم اتسعت رقعة الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين، فازداد حقد الأكاسرة والقياصرة على هذا الدين الذي زلزل أركان عروشهم وأزاح دولهم من الوجود، لكنهم أيقنوا مع إدراكهم بقوة الإسلام وأهله عجزهم التام عن مقاومته، فكادوا لهذا الدين بمكر وتقية، فأعلنوا الإسلام وأبطنوا الكفر، وعملوا على بذر بذور الشبهات والغلو في الدين، وكانت بدايتهم في آخر عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم في عهد الإمام علي رضي الله عنه، فعرفت الشيعة وظهرت السبئية، وانتقلت أمراض الفكر وانحرافات العقائد إلى صفوف المسلمين على أيدي هؤلاء، ومن جملة هذه الانحرافات عقيدة التناسخ التي عرفتها الأمم المنحرفة القديمة لتجد في غلاة الشيعة مناخًا صالحًا، ووسيلة فعالة لترويج هذه المعتقدات الباطلة.

وصدق الله العظيم: ﴿ **فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾[1] ولكن بالتحديد من هم الغلاة، وما الشيعة؟ وكيف انتقلت عقيدة التناسخ إليهم؟ هذا ما سنقف عليه بتوفيق الله تعالى في المباحث التالية:

---

(١) الحديد، الآية: ١٦.

المبحث الأول نشأة الغلو الشيعي وذكر الفرق الغالية:

تعريف الشيعة:

الشيعة في اللغة: لفظ يطلق ويراد به الأتباع والأنصار، وورد ذلك في المعاجم اللغوية.

جاء في لسان العرب معنى لفظة الشيعة: «أتباع الرجل وأنصاره . . . وأصل ذلك من المشايعة، وهي المتابعة والمطاوعة»[(١)].

ويقول الجوهري: «يقال: شايعه، كما يقال: والاه من الولي، وتشيع الرجل، أي: ادعى دعوى الشيعة»[(٢)].

وقد جاء لفظ "شيعة" بهذا المعنى في القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿ **فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ** ﴾[(٣)] وكذلك قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ** ﴾[(٤)].

وأما إطلاق الشيعة على فرقة معينة فيجري من منطلق هذا المعنى، يقول ابن خلدون: «ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع علي وبنيه رضي الله عنهم»[(٥)].

ولذلك يعلل الأشعري تسمية الشيعة، فيقول: «وإنما قيل لهم الشيعة؛ لأنهم شايعوا عليا رضوان الله عليه، ويقدمون على سائر أصحاب رسول الله ﷺ»[(٦)].

---

(١) لسان العرب ٨/ ١٨٩.

(٢) الصحاح ٣/ ١٢٤٠، باب العين، فصل الشين.

(٣) القصص، الآية: ١٥.

(٤) الصافات، الآية: ٨٣.

(٥) مقدمة ابن خلدون ص ١٥٥، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ= ١٩٩٣م.

(٦) مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، ص ٦٥، تحقيق: محمد محي الدين.

ويقول الشهرستاني: «شايعوا عليا عليه السلام على الخصوص، وقالوا بإمامته نصا ووصية، إما جليا أو خفيا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، قالوا: وليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة، وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، هو ركن الدين، لا يجوز للرسول عليه السلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله، ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأئمة عن الكبائر والصغائر»[١].

فالشيعة كفرقة يطلق على أتباع وأنصار علي رضي اللّه عنه وبنيه، الذين قالوا في الإمامة بوجوب التعيين والتنصيص وعصمة أئمتهم.

نشأة التشيع:

اختلفت الآراء حول بداية نشأة التشيع، فمنهم من يرى بدايته في زمن النبي صلى اللّه عليه وسلم، ومنهم من يرى بعد وفاة النبي صلى اللّه عليه وسلم، ومنهم من يرى بداية التشيع قبل مقتل عثمان رضي اللّه عنه، وذهب بعضهم إلى أن التشيع ظهر بعد مقتل عثمان رضي اللّه عنه، ورأي على أن ظهوره بعد حادثة مقتل حسين ابن علي رضي اللّه عنه، وهذا هو البيان:

١- الرأي القائل بالتشيع في زمن النبي صلى اللّه عليه وسلم:

يذهب علماء الشيعة إلى أن التشيع ظهر في زمن النبي صلى اللّه عليه وسلم، ويقرر العالم الشيعي النو بختي (وهو من أعلام القرن الثالث الهجري) أن شيعة علي كانوا في زمن النبي صلى اللّه عليه وسلم، فيقول: « فأول الفرق الشيعة، وهي فرقة علي بن أبي طالب عليه السلام المسمون "شيعة علي" في زمان النبي صلى اللّه

(١) الملل والنحل، للشهرستاني، ١/ ١٤٤، ١٤٥، وانظر أيضًا مقدمة ابن خلدون ص ١٥٥.

عليه وآله وسلم، وبعده معروفون بانقطاعهم إليه، والقول بإمامته»[١].

ويؤيد هذا الرأي العالم الشيعي آل كاشف الغطاء، فيقول: «إن أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام صاحب الشريعة الإسلامية نفسه»[٢].

واستدل على ذلك بالأحاديث التي وردت في فضائل علي رضي اللّه عنه، وليس فيها دلالة على أن اعتقاد علي رضي اللّه عنه أوالذين صحبوه يخالف اعتقاد جمهور الصحابة بل غاية ما فيها أنها وردت في بيان فضائل علي رضي اللّه عنه، كما وردت أحاديث أخرى في فضائل بعض الصحابة رضي اللّه عنهم.

وكثير من الأحاديث التي ساقها آل كاشف الغطاء موضوع. ومما ذكره على سبيل المثال ما يلي:

قال: «روى ابن حجر بعض هذه الأحاديث في صواعقه عن الدار قطني، وحدث أيضًا عن أم سلمة أن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال: «يا علي! أنت وأصحابك في الجنة»[٣].

يقول الشوكاني عن هذا الحديث: «رواه الخطيب عن أم سلمة مرفوعًا، وفي إسناده سوّار بن مصعب، وهو متَرك»[٤].

ثم قال آل كاشف الغطاء:

«وفي حديث علي قال له النبي صلى اللّه عليه وسلم: ستقدم على اللّه أنت

---

(١) فرق الشيعة للنوبختي والقمي ص ٢٨، تحقيق: د/ عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م.

(٢) أصل الشيعة وأصولها، لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء، ص ١١٨، تحقيق: الشيخ محمد جعفر شمس الدين، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م.

(٣) أصل الشيعة، ص ١١٨ وما بعدها.

(٤) الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، لمحمد بن علي الشوكاني، ص ٣٨١، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى اليماني.

وشيعتك راضين مرضين، ويقدم عليه عدوك غضابا مقمحين، ثم جمع يده إلى عنقه ليريهم كيف الإقماح».

روي الطبراني هذا الحديث ثم قال: «لم يرو هذا الحديث عن أبي الطفيل إلا جابر، تفرد به عبد الكريم أبو يعقوب»[١].

وقال علاؤ الدين الهندي: «وجابر الجعفي شيعي غال، وثقه شعبة والثوري، وقال د[٢]: ليس بالقوي، وقال ن[٣]: متروك، وعبد الكريم أبو يعقوب قال فيه أبوحاتم: من عين الشيعة، وذكره حب[٤] في الثقات»[٥].

ثم قال آل كاشف الغطاء:

«والزمخشري في ربيع الأبرار يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يا علي! إذا كان يوم القيامة أخذت بحجزة الله تعالى وأخذت أنت بحجزتي وأخذ ولدك بحجزتك وأخذ شيعة ولدك بحجزتهم فترى أين يؤمر بنا».

يقول الشوكاني بعد ذكر هذا الحديث: «قال في المختصر: موضوع»[٦].

وهكذا نرى أن الأحاديث التي استدل بها آل كاشف الغطاء في زعمه هذا، إما متروكة أو موضوعة لا يصح الاستدلال بها.

٢- الرأى القائل بالتشيع بعد وفاته صلى الله عليه وسلم:

من الباحثين من يذهب إلى أن التشيع ظهر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني ٤/ ٥٥٥، ٥٥٦، رقم الحديث: ٣٩٤٦، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.

(٢) أبو داود.

(٣) النسائي.

(٤) ابن حبان.

(٥) كنز العمال، للعلامة علاء الدين علي المتقي الهندي، ١٣/ ١٥٦، ١٥٧، منشورات دار الكتاب الإسلامي حلب.

(٦) الفوائد المجموعة للشوكاني ص ٣٩٧.

حيث ظهر الخلاف حول الخلافة، يقول أحمد أمين: «كانت البذرة الأولى للشيعة الجماعة الذين رأوا بعد وفاة النبي ﷺ أن أهل بيته أولى أن يخلفوه، وأولى أهل البيت العباس عم النبي وعلي ابن عمه، وعلي أولى من العباس»[١].

وأرى أن هذا الرأي لا يصح؛ لأن الذين رأوا أحقية أهل البيت بالخلافة لم يتبنوا عقائد ومبادي تجتمع في الشيعة، ثم إنهم بايعوا أبا بكر رضي اللّه عنه ولم يخالف منهم أحد.

٣- الرأى القائل بظهور التشيع قبل مقتل عثمان رضي اللّه عنه:

يرى بعض العلماء أن التشيع ظهر في آخر عهد عثمان رضي اللّه عنه، وأصحاب هذا الرأى يربطون فكرة التشيع بظهور عبد اللّه بن سبأ وحركته السبئية التي لعبت دورا هامًا في إحداث الفتنة ضد الخليفة الثالث عثمان رضي اللّه عنه، والتي أدت إلى مقتله.

فيرى الملطي أن السبئية هي أول فرقة الرافضة، حيث يقول وهو يعد فرق الرافضة: «فأولهم: وهم الفرقة الأولى الغالية من السبئية وغيرهم»[٢]. ومن ثم يقول أبو زهرة: «إن الشيعة ظهروا في آخر عهد عثمان، ونما وترعرع مذهبهم في عهد علي»[٣].

ولا شك أن ظهور ابن سبأ والسبئية كان بمثابة البذرة الأولى لظهور الغلاة، إلا أن هذا الربط بينهم وبين الشيعة عامة يرفضه كثير من الشيعة.

٤- الرأي القائل بظهور إطلاق كلمة الشيعة بعد مقتل عثمان رضي اللّه عنه.

يرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن "الشيعة" بدأ إطلاقها بعد مقتل عثمان رضي

---

(١) فجر الإسلام، لأحمد أمين، ص ٢٦٦.

(٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لأبي الحسين محمد بن أحمد الملطي، ص ٢٩، تحقيق: يمان بن سعد المياديني، رمادي للنشر، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة، ص ٣٣.

اللّه عنه، وأما قبل ذلك فما كان أحد يسمى بهذا الاسم، يقول: «ففي خلافة أبي بكر وعمر وعثمان لم يكن أحد يسمى من الشيعة، ولا تضاف الشيعة إلى أحد، لاعثمان ولا علي ولا غيرهما، فلما قتل عثمان تفرق المسلمون، فمال قوم إلى عثمان، ومال قوم إلى علي، واقتتلت الطائفتان، وقتل حينئذ شيعة[١] عثمان شيعة علي»[٢].

ويؤيد هذا الرأى المستشرق الألماني فلهوزن، إذ يقول: «بمقتل عثمان انقسم الإسلام إلى حزبين: حزب علي وحزب معاوية، والحزب يطلق عليه في العربية أيضا اسم "الشيعة" فكانت شيعة علي في مقابل شيعة معاوية»[٣].

ويرى ابن النديم هذا الرأى حيث يقول: «لما خالف طلحة والزبير على علي عليه السلام وأبيا إلا الطلب بدم عثمان بن عفان، وقصدهما علي عليه السلام ليقاتلهما حتى يفيأ إلى أمر اللّه جل اسمه؛ تسمى من اتبعه على ذلك "الشيعة" فكان يقول: شيعتي»[٤].

٥- الرأى القائل بظهور الشيعة بعد حادثة كربلاء:

يرى أصحاب هذا الرأى أن الشيعة بدأ ظهورها بعد مقتل الحسين بن علي رضي اللّه عنه حيث جعل ذلك في قلوب المسلمين مأساة أليمة فجعت بها القلوب، والذي أدى إلى ظهور حركة التوابين. يقول الطبري وهو يبين أحداث سنة خمس وستين: «لما قتل الحسين ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة فدخل الكوفة، تلاقت الشيعة بالتلاءم والتندم، ورأت أنها قد أخطأت خطأ كبيرا بدعائهم الحسين إلى

---

(١) المراد بشيعة عثمان المطالبون بدمه.

(٢) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية ٢/ ٩٥، تحقيق: د/ محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

(٣) أحزاب المعارضة السياسية الدينية، لفلهوزن، ترجمة عربية: عبد الرحمن بدوي، ص ١٤٦، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ١٩٥٨م.

(٤) الفهرست، ص ٢٢٣.

النصرة وتركهم إجابته، ومقتله إلى جانبهم لم ينصروه، ورأوا أنه لا يغسل عارهم والإثم عنه في مقتله إلا بقتل من قتله أو القتل فيه»[١].

ويقول علي حسين الخربوطلي:

«إن الحركة الشيعية بدأ ظهورها في العاشر من المحرم، وصبغت مبادئ الشيعة بصبغة دينية، فاتجهت الشيعة بعد مقتل الحسين اتجاهًا دينيا، بل غلب الجانب الديني في التشيع الجانب السياسي»[٢].

وعلى ضوء ما سبق نخلص إلى ما يأتي:

١- التشيع لم يعرف في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا بعد موته ولا قبل مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه، وإنما أطلق لفظ التشيع بعد مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه، كما رجح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، حيث كان أنصار علي رضي الله عنه منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه لم يفضلوا عليا على أبي بكر وعمر رضي الله عنهم أجمعين[٣].

٢- إطلاق لفظ "الشيعة" في ذلك العصر لا يعني إلا أتباع سيدنا علي رضي الله عنه وأنصاره الذين رأوا أن الحق معه. ولكن بعد مقتل سيدنا علي رضي الله عنه وتتابع الأحداث اتخذ التشيع مفهومًا آخر، واستغله المفرضون لإفساد الدين والمعتقد، كما سنبين ذلك في الحديث عن الغلاة.

٣- ارتبطت عدة عقائد بالتشيع كالبيعة والوصية والإمامة والحلول وغيرذلك مما سنعرض له إن شاء الله في مظاهر الغلو.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك، للطبري، ٥/ ٥٥٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت.

(٢) دراسة عن الفرق، للدكتور أحمد جلي ص ١٥٩، نقلا عن تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، للخربوطلي ص ١٢٣.

(٣) انظر منهاج السنة لابن تيمية ٢/ ٩٥.

نشأة الغلو:

الغلو في اللغة هو مجاوزة الحد.

يقول الجوهري: «غلا في الأمر يغلو غلوا، أي جاوز فيه الحد»[١].

ويقول ابن منظور: «غلا في الدين والأمر غلوا: جاوز حده، وفي التنزيل ﴿لا تَغْلُو فِي دِينِكُمْ﴾[٢]. وغلا السهم نفسه: ارتفع في ذهابه وجاوز المدى»[٣].

ولذلك يقول أبو حاتم الرازي: «فالقرآن والحديث واللغة تدل على أن الغلو هو التجاوز عن الحد والمقدار، فكل من قال بنبوة من ليس بنبي، وبإلهية البشر وبإمامة من ليس بإمام فقد استحق اسم الغلو»[٤].

ويعرف الأشعري الغالية فيقول: «وإنما سموا الغالية؛ لأنهم غلوا في علي وقالوا فيه قولا عظيماً»[٥].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «والغالية علم على القائلين بالإلهية في البشر»[٦].

ويرى الشهرستاني أن «الغالية هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم بأحكام الإلهية، فربما شبهوا واحدا من الأئمة بالإله، وربما شبهوا الإله بالخلق، وهم على طرفي الغلو والتقصير»[٧].

---

(١) الصحاح، للجوهري ٦/ ٢٤٤٨، فصل الغين، مادة (غلا).

(٢) النساء، الآية: ١٧١.

(٣) لسان العرب لابن منظور ١٥/ ١٣٢، فصل الغين، وانظر تهذيب اللغة للأزهري ٨/ ١٩٠، باب الغين واللام، والمصباح المنير للفيومي ٢/ ٤٥٢، كتاب الغين.

(٤) كتاب الزينة لأبي حاتم الرازي، تحقيق: د/ عبد الله سلوم السامرائي، القسم الثالث من كتاب "الغلو والفرق الغالية" للدكتور عبد الله سلوم السامرائي ص ٣٠٤، ٣٠٥.

(٥) مقالات الإسلاميين للأشعري ١/ ٦٦.

(٦) منهاج السنة لابن تيمية ٢/ ٥١٣.

(٧) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٧٦.

فالغلو الشيعي يتضمن الانتساب إلى علي رضي الله عنه أو بنيه وادعاء الإلهية فيهم فله طرفان: تشبيه الخالق بالمخلوق، وتشبيه المخلوق بالخالق.

وهذا الادعاء قد يتضمن الحلول والتناسخ، يقول ابن خلدون عن الغلاة: «تجاوزوا حد العقل والإيمان في القول بألوهية هؤلاء الأئمة، إما على أنهم بشر اتصفوا الصفات الألوهية، أو أن الإله حل في ذاتهم البشرية، وهو قول بالحلول . . ومنهم من يقول: إن كمال الإمام لا يكون لغيره، فإذا مات انتقلت روحه إلى إمام آخر ليكون فيه ذلك الكمال، وهو قول بالتناسخ»[1].

وأول من بدأ هذا الغلو هو عبد الله بن سبأ «وقد كان هذا يهوديا في قلبه حفيظة على الدين الجديد الذي أزال ما كان اليهود يتمتعون به من الهيمنة والسلطان على عرب المدينة والحجاز عامة، فأسلم هذا الخبيث في أيام عثمان، ثم تنقل في بلدان الحجاز، ثم ذهب إلى البصرة، ثم إلى الكوفة، ثم إلى الشام وهو يحاول في كل بلد ينزل بها أن يضل ضعاف الأحلام، ولكنه لم يستطع السبيل إلى ذلك، فأتى مصر فأقام بين أهلها، وما فتئ يلفتهم عن أصول دينهم، ويزين لهم ذلك بما يزخرفه من القول حتى وجد مرتعًا خصيبًا، وكان مما قاله لهم: إني لأعجب كيف تصدقون أن عيسى بن مريم يرجع إلى هذه الدنيا وتكذبون أن محمدا يرجع إليها! وما زال بهم حتى انقادوا إلى القول بالرجعة، ثم قال لهم بعد ذلك: إنه قد كان لكل نبي وصي، وإن علي بن أبي طالب هو وصي محمد صلى الله عليه وسلم، وليس في الناس من هو أظلم ممن احتجز وصية رسول الله ولم يجزها، بل هو يتعدى ذلك فيثب على الوصي ويقتسره على حقه، وإن عثمان قد أخذ حق علي وظلمه، فانهضوا في هذا الأمر، وليكن سبيلكم إلى إعادة الحق لأهله الطعن على أمرائكم وإظهار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنكم تستميلون بذلك قلوب الناس، واتخذ لهذه

---

(١) مقدمة لابن خلدون ١٥٦.

الدعوة أنصارا بثهم في الأمصار، ومازال يكاتبهم ويكاتبونه حتى نفذ قضاء الله»[١].

ولم يكتف ابن سبأ بهذا الغلو، بل تجاوز كل الحدود «وغلا في علي رضي الله عنه، وزعم أنه كان نبيا، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله، ودعا إلى ذلك قومًا من غواة الكوفة، ورفع خبرهم إلى علي رضي الله عنه فأمر بإحراق قوم منهم في حفرتين حتى قال بعض الشعراء في ذلك:

لترم بي الحوادث حيث شاءت　　　إذا لم ترم بي في الحفرتين»[٢].

وبعد انتقال علي رضي الله عنه «زعموا أن عليا حي لم يقتل، وفيه الجزء الإلهي، ولا يجوز أن يستولى عليه، وهو الذي يجئ في السحاب، والرعد صوته، والبرق سوطه، وأنه سينزل بعد ذلك إلى الأرض فيملأ عدلا كما ملئت جورًا»[٣].

وعن ابن سبأ والسبئية تفرع الغلو، ونشأ بين الشيعة، يقول المقريزي:

«ومن ابن سبأ هذا تشعبت أصناف الغلاة من الرافضة»[٤].

وفي وقت خروج التوابين بعد مقتل الحسين رضي الله عنه أخذ المختار[٥]

---

(١) هامش مقالات الإسلاميين ١/ ٥٠، وانظر الطبري ٤/ ٣٤٠، ٣٤١، وتاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن ١/ ٣٩٥، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط: ١٩٦٤م.

(٢) الفرق بن القرق، للبغدادي ص ٢٣٣.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٧٧.

(٤) الخطط المقريزية، للمقريزي ٢/ ٣٥٧، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة.

(٥) هو المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان والده الأمير أبو عبيد بن مسعود بن عمرو، قد أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ونشأ المختار فكان من كبراء ثقيف، وذوي الرأى والفصاحة والشجاعة والدهاء وقلة الدين، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يكون في ثقيف كذاب ومبير». فكان الكذاب هذا، ادعى أن الوحي يأتيه، وأنه يعلم الغيب، وقد قتله طريف الحنفي وأخوه طراف في رمضان سنة ٦٧هـ، انظر تهذيب سير أعلام النبلاء ١/ ١٢٥، ١٢٦، رقم الترجمة: ٣٨٠.

الثقفي مثل هذا الغلو انتسابا إلى محمد[١] بن الحنفية، حيث ادعى الوصاية لعلي رضي الله عنه، وعلم الغيب لنفسه، وتبعه على ذلك جماعة هم الكيسانية.

وكل من السبئية والكيسانية تفترق إلى فروع عديدة سأبينها في الفصل الثاني إن شاء الله تعالى.

وكان هشام بن الحكم الذي توفى سنة ١٩٠هـ، قد دون المذهب الشيعي وهذبه، يقول ابن النديم عنه أنه «من أصحاب أبي عبد الله[٢] جعفر بن محمد عليه السلام من متكلمي الشيعة، ممن فتق الكلام في الإمامة وهذب المذهب بالنظر»[٣].

وأما من حيث غلوه في العقيدة فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأول من عرف عنه في الإسلام أنه قال: «إن الله جسم هو هشام بن الحكم»[٤]، وتبعه قوم فسموا "الهشامية" يقول الأسفرائيني عنهم: «وهم الأصل في التشبيه»[٥].

ومن هنا تتضح صلة التشيع بالغلاة، ولا منافاة بين إحداث ابن سبأ ألوهية علي رضي الله عنه، وأولية قول الهشام بالتجسيم، فإن الأول هو تشبيه المخلوق بالخالق بينما الثاني هو تشبيه الخالق بالمخلوق.

---

(١) هو: محمد بن الإمام علي بن أبي طالب، أخو الحسن والحسين، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية، ولد في العام الذي مات فيه أبو بكر، وفد على معاوية وعبد الملك بن مروان، وكانت الشيعة في زمانه تتغالى فيه، وتدعي إمامته، ولقبوه بالمهدي، ويزعمون أنه لم يمت، مات سنة ٨٠هـ. انظر تهذيب سير أعلام النبلاء ١/ ١٣٥، رقم الترجمة: ٤١٧.

(٢) هو: جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الإمام الصادق، وكان يغضب من الرافضة، ويمقتهم إذا علم أنهم يتعرضون لجده أبي بكر ظاهراً وباطنًا، ولد سنة ٨٠ هـ، ورأى بعض الصحابة، مات في سنة ١٤٨هـ، انظر تهذيب سير أعلام النبلاء ١/ ٢٣١، رقم الترجمة: ٩٦٠.

(٣) الفهرست لابن النديم ص ٢٢٣.

(٤) منهاج السنة لابن تيمية ١/ ٧٢، ٧٣.

(٥) التبصير في الدين، للأسفرائيني، ص ٢٥، تخريج وتعليق: محمد زاهد الكوثري، مطبعة الأنوار، الطبعة الأولى، ١٣٥٩هـ= ١٩٤٠م.

ثم ظهرت الباطنية والإسماعيلية على أيدي جماعة « منهم ميمون[١] بن ديصان المعروف بالقداح، وكان مولى لجعفر بن محمد الصادق»[٢]، يقول الغزالي عن عقيدتهم في الإمامة: «واتفقوا على أن الإمام ليساوي النبي في العصمة والاطلاع على حقائق الحق في كل الأمور»[٣].

وفرق الغلاة هي: السبئية، والغرابية، والبيانية، والمغيرية، والهاشمية، والكيسانية، والنعمانية، واليونسية، والنصيرية، والخطابية، والعلبائية، والكاملية، والراوندية، والباطنية.[٤]

ومع كثرة فرق الغلاة فإني حاولت حصر الفرق القديمة من الغلاة التي قالت بالتناسخ في الفرق التالية:

السبئية، والكيسانية والخطابية والكاملية وغلاة الاثنى عشرية.

. وسأتناولها بالبيان والتفصيل إن شاء الله في المباحث التالية:

---

(١) هو: ميمون بن ديصان المعروف بالقداح، وكان مولى لجعفر بن محمد الصادق، وكان من الأهواز، وهو من المؤسسين للحركة الباطنية، ومنهم: محمد بن الحسين الملقب بدندان، اجتمعوا كلهم مع ميمون بن ديصان في سجن والي العراق، فأسسوا في ذلك السجن مذاهب الباطنية، ثم ظهرت دعوتهم بعد خلاصهم من السجن من جهة المعروف بدندان، وابتدأ بالدعوة من ناحية توز، فدخل في دينه جماعة من أكراد الجبل مع أهل الجبل المعروف بالبدين، ثم رحل ميمون بن ديصان إلى ناحية المغرب وانتسب في تلك الناحية إلى عقيل بن أبي طالب وزعم أنه من نسله. انظر الفرق بين الفرق ص ٢٨٢.

(٢) الفرق بين الفرق، ص ٢٨٢.

(٣) فضائح الباطنية، للغزالي، ص ٤٢، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت.

(٤) انظر مقالات الإسلاميين ١/ ٦٤ - ٨٨، والملل والنحل من ص ١٧٧ إلى ١٩٢، والفرق بين الفرق ص ٢٣٠ وما بعدها، ومفاتيح العلوم للخوارزمي ص ٢٢.

المبحث الثاني: عوامل انتقال التناسخ إلى غلاة الشيعة:

إن غلاة الشيعة غلوا في أئمتهم وادعوا فيهم الألوهية، ثم قالوا بتناسخ الروح الإلهية من إمام إلى إمام، كما أن منهم من قال بتناسخ الأرواح.

وكان وراء تسرب هذا المعتقد إليهم أسباب وعوامل عملت لقبولهم عقيدة التناسخ، ويمكن إيجاز العوامل فيما يلي:

كانت هذه العوامل والدوافع على نوعين: مباشرة، وغير مباشرة، أما العوامل المباشرة فهي:

أولا: دخول كثير من أهل الديانات السابقة في الإسلام تسترا للقضاء عليه.

لما توسعت رقعة العالم الإسلامي، ودخل في الإسلام كثير من أهل الديانات المجاورة للمسلمين، ومعظمهم كانت نياتهم صادقة فدخلوا في الإسلام بكل ميولهم ورغباتهم مخلصين له، نابذين وراءهم الجاهلية الأولى، فصاروا مسلمين قلبا وقالبًا، واندمجوا في المجتمع الإسلامي.

غير أن مجموعة من أهل الديانات السابقة كانوا على حقد من انتشار الإسلام وتوسعه في أرجاء العالم، فكادوا له وعملوا على القضاء عليه، فدخلوا في الإسلام ظاهرًا وقلوبهم مليئة بالضغائن الكامنة والأفكار الهدامة، فاتخذوا التشيع وحب آل البيت ستارًا يعملون من خلفه لتحقيق أغراضهم الدنيئة.

يقول في ذلك أحمد أمين: «والحق أن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية، ونصرانية، وزردشتية، وهندية، ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته، كل هؤلاء كانوا يتخذون حب أهل البيت ستارًا يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم»[١].

---

(١) فجر الإسلام: لأحمد أمين، ص ٢٧٦.

فهذا عبد الله بن سبأ الذي كان يهوديا دخل في الإسلام وأثار الفتن ضد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، ونادى بعقيدة الوصاية والرجعة التي هي فكرة يهودية فتبعه في ذلك قومه.

كما أن الدولة المجوسية الساسانية قد انقرضت بتتابع الفتوحات الإسلامية، فأدى ذلك إلى وجود عداء وحقد شديد في قلوب كثير من أبناء فارس، فدخلوا في الإسلام تستراً بالحقد، وأخذ الثأر من الإسلام، يقول في هذا ابن حزم:

«الأصل في خروج هذه الطوائف عن ديانة الإسلام أن الفرس كانوا من سعة الملك، وعلو اليد على جميع الأمم، وجلالة الخطر في أنفسهم حتى أنهم كانوا يسمون الأحرار والأبناء، وكانوا يعدون سائر الناس عبيدا لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطراً، تعاظمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة، وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى، ففي كل ذلك يظهر الله تعالى الحق، وكان من قائمتهم منقاذ[١]، والمقنع[٢] واستايين[٣]، وبابك[٤] وغيرهم، وقبل هؤلاء رام ذلك عمار الملقب خداشا،

---

(١) لم أقف على ترجمة له.

(٢) اسمه عطاء، وكان في مبدأ أمره قصاراً من أهل مرو، وكان يعرف شيئًا من السحر والنيرنجات، فادعى الربوبية من طريق المناسخة، وكان مشوه الخلق أعور، ألكن قصيراً، وكان لا يسفر عن وجهه بل اتخذ وجها من ذهب فتقنع به، فلذلك قيل له: المقنع، ولما اشتهر أمر المقنع وانتشر ذكره ثار عليه الناس وقصدوه في قلعته التي كان اعتصم بها، وحصروه، فلما أيقن بالهلاك جمع نساءه وسقاهن سما فمتن منه، ثم تناول شربة من ذلك السم فمات، وذلك في سنة ١٦٣هـ. انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٣/ ٢٦٣، ٢٦٤.

(٣) لم أقف على ترجمة له.

(٤) يعرف بالبابك الخرمي، ومعنى خرم: فرح، لأن أصحابه يحللون ما فيه لذة من المحرمات فيسمون دينهم دين الفرح، كان بابك ثنويا على دين ماني ومزدك، يقول بتناسخ الأرواح، ويستحل البنت وأمها، وكان ظهوره في أيام المأمون سنة ٢٠١ هـ، وكان يحارب الدولة العباسية إلا أنه تم القبض عليه في أيام المعتصم سنة ٢٢٣هـ، فقتل. انظر تاريخ الإسلام، للذهبي حوادث وفيات ٢٢١-٢٣٠هـ، ص ١١، تحقيق: د/ عمر تدمري، دارالكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ = ١٩٩١م، وانظر دائرة المعارف، للبستاني ٥/ ١٠، ١٢.

وأبو مسلم[١] السراج فرأوا أن كيده على الحيلة أنجح، فأظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستشناع ظلم علي رضي الله عنه، ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن الإسلام»[٢].

وبالطبع كانت للقوم عقائد غالية في ملوكهم عملوا على وجودها بين المسلمين، يقول أحمد أمين: «ومما كان يتصل بعقائد الفرس الدينية، وكان له أثر في بعض المسلمين أنهم كانوا ينظرون إلى ملوكهم كأنهم كائنات إلهية اصطفاهم الله للحكم بينهم، وخصهم بالسيادة، وأيدهم بروح من عنده، فهم ظل الله في أرضه أقامهم على مصالح عباده، وليس للناس قبلهم حقوق، وللملوك على الناس السمع والطاعة»[٣].

وبناء على هذا الاعتقاد الذي اعتادوه قديمًا قبل إظهار الإسلام قالوا مثله في الأئمة بعد ادعائهم الإسلام، فادعوا في أئمتهم الذين غالوا في حبهم -كذبا وزوراً- دعاوي غالية أدت إلى القول بالحلول ومن بعد بالتناسخ.

وكما مر أن المانوية آمنت بعقيدة التناسخ فالمجوس المتظاهرون بالإسلام قالوا بذلك. وخراسان[٤] كان معقل المجوسية، فمنها انطلق أصحاب

---

(١) بحثت في الكتب عن ترجمة لأبي مسلم السراج، ولم أطلع على هذا الاسم، والذي وجدته هو باسم أبي مسلم الخراساني، وقد أشار إلى هذه المشكلة محقق كتاب الفصل لابن حزم في هامشه. راجع الفصل / ٤٩.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم ٢/ ٢٧٣.

(٣) فجر الإسلام، لأحمد أمين، ص ١١١.

(٤) تطلق على بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق، وآخر حدودها مما يلي الهند، وكانت تشتمل على أمهات من البلاد، منها نيسابور، وهراة، ومرو، وبلخ، وطالقان، ونسا، وأبيورد وسرخس، وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون، وخراسان في العصر الحاضر أكبر محافظات إيران، وتشكل ثمن مساحة إيران ونيف. انظر معجم البلدان، لياقوت الحموي ٢/ ٣٥٠، وموسوعة العالم الإسلامي ١/ ٣٣٢، دار الرأى العام، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م.

أبي مسلم[١] الخراساني، يقول ابن خلدون: «كان هؤلاء القوم من أهل خراسان، ومن أتباع أبي مسلم يقولون بالتناسخ والحلول، وأن روح آدم في عثمان[٢] بن نهيك، وأن اللّه حل في المنصور[٣] وجبريل في الهيثم[٤] بن معاوية»[٥].

وكذلك المقنعية والبابكية[٦] سارت على منهج آبائها المجوسي والفارسي، وذلك لأن «العقائد التي نشر بها أبو مسلم وتلميذه المقنع، وهي القائلة بتناسخ الأرواح، وتجسد الذات الإلهية، لم تلبث أن بعثت في آذر بيجان[٧] على يد بابك

---

(١) اسمه عبد الرحمن بن مسلم، الأمير، صاحب الدعوة، وهازم جيوش الدولة الأموية، والقائم بإنشاء الدولة العباسية، وهو أول من سن للدولة لبس السواد، وكان بلاء عظيمًا على عرب خراسان؛ فإنه أبادهم بحد السيف، قتل سنة ١٣٧هـ. انظر تهذيب سير أعلام النبلاء ١/ ٢١٣، رقم الترجمة: ٨٥٦.

(٢) كان أحد حرس المنصور (الخليفة العباسي) الذين ساهموا في قتل أبي مسلم الخراساني. انظر البداية والنهاية لابن كثير، ١٠/ ٧٢.

(٣) هو: الخليفة، أبو جعفر عبد اللّه بن محمد بن علي الهاشمي، العباسي، المنصور، ولد في سنة ٩٥هـ، أو نحوها. ضرب في الآفاق، رأى البلاد، وطلب العلم، وكان فحل بني العباس هيبة وشجاعة ورأيا وحزما، ودهاء وجبروتًا، وكان جماعًا للمال حريصًا، تاركا للهو واللعب، كامل العقل، بعيد الغور، حسن المشاركة في الفقه والأدب والعلم، مات في سنة ١٥٨هـ، انظر تهذيب سير أعلام النبلاء ١/ ٢٥٠، رقم الترجمة: ١٠٥٢.

(٤) كان نائب المنصور على البصرة، ظفر الهيثم بعمرو بن شداد الذي كان عاملا لإبراهيم بن محمد على فارس، فقيل: أمر فقطعت يداه ورجلاه، وضربت عنقه ثم صلب، فعزله المنصور، وولي على البصرة قاضيها سوار بن عبد اللّه، ورجع الهيثم بن معاوية إلى بغداد، فمات فيها فجأة في سنة ١٥٦هـ. انظر البداية والنهاية لابن كثير ١٠/ ١١٧.

(٥) تاريخ ابن خلدون ٣/ ٢٣٣، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ= ١٩٨١، ، وانظر مرآة الجنان لليافعي الميمني، ١/ ٣١٥، تحقيق: عبد اللّه الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولي، ١٤٠٥هـ= ١٩٨٤م.

(٦) المقنعية: هم أصحاب المقنع الذي سبقت ترجمته، والبابكية: هم أتباع بابك الخرمي.

(٧) دولة إسلامية تقع في منطقة جبال القوقاز، على الشاطئ الغربي لبحر قزوين، وقد فتحت أولا في أيام عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه، وقد حصلت على استقلالها عام ١٤١٢هـ، بعد أن استمرت ما يقرب من سبعين عامًا جزءا من الاتحاد السوفيتي السابق. انظر الموسوعة العربية العالمية ١/ ٤٠٤، ومعجم البلدان لياقوت الحموي ١/ ١٢٩.

الخرمي الذي اجتمع حوله خلق كثير، واتسع سلطانه حتى لأوشك أن يعزل المقاطعات الفارسية عن العرب»[١].

هذا وكان بعض الشعراء المجوس قد دخلوا في الإسلام ونادوا بالجاهلية السابقة فبشار[٢] بن برد كان ممن يدين بالرجعة «قال الجاحظ[٣]: وكان بشار يدين بالرجعة، ويكفر جميع الأمة، ويصوب رأى إبليس في تقديم النار على الطين، وذكر ذلك في شعره فقال:

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار»[٤].

فاتضح بذلك أن المجوس المتظاهرين بالإسلام عملوا على إدخال عقائدهم السابقة في الإسلام، ونادوا بالحلول والتناسخ؛ ولذلك تصدى علماء الإسلام قديما وحديثًا لمعتقداتهم وآرائهم، وتفنيد شبههم، وإبطال دعاويهم، وإظهار حكم الشرع فيهم، وإخراجهم من دائرة الإسلام لما قالوا.

---

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، تعريب: نبيه أمين فارس، منير بعلبكي، ص ١٩٩ دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، ١٩٦٥م.

(٢) هو أبو معاذ بشار بن برد بن يرجوخ العقيلي بالولاء، الضرير، الشاعر المشهور، وهو بصري، قدم بغداد، وأصله من طخارستان من سبي المهلب بن أبي صفرة، كان ضخما عظيم الخلق والوجه، مجدّرًا طويلا، وهو في أول مرتبة المحدثين من الشعراء المجيدين فيه، وكان يمدح المهدي بن المنصور، ورمي عنده بالزندقة، فأمر بضربه، فمات من ذلك في البطيحة بالقرب من البصرة في سنة ١٦٧هـ. انظر وفيات الأعيان، لابن خلكان ١/ ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣.

(٣) هو: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، كان كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة، مولده سنة ١٦٣هـ، ووفاته سنة ٢٥٥هـ في البصرة، وله تصانيف كثيرة، منها: كتاب "الحيوان"، "والبيان والتبيين". انظر الأعلام، للزركلي ٥/ ٧٤.

(٤) الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني ٣/ ١٤٥، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت.

ثانيا: ترجمة الثقافات الأجنبية المختلفة وانتقالها إلى المحيط الإسلامي.

لما بدأ النفوذ الإسلامي في الأمم المختلفة خاصة في الدولة الفارسية، تغلب الإسلام على الدول المجاورة فكان بذلك اختلاط المسلمين بالأمم الأخرى.

ولا شك أن اختلاط أمة بأمة أخرى، وتجمعهم في بيئة واحدة يؤدي إلى التأثير والتأثر مما يدفع إلى معرفة ثقافات مجاوريهم.

كما أن الإسلام يفرض على أتباعه معرفة سبل المخالفين ليسهل إبطال معتقداتهم الباطلة ويتهيأ الجو المناسب لنشر الدعوة الإسلامية.

ومن ناحية أخرى قد يكون عند الأمم الأخرى من العلوم والمعارف مما يمكن الاستفادة بها في المجتمع الإسلامي، والإسلام قد حث أتباعه وفرض عليهم طلب العلم، فبكل هذه الدوافع اهتم المسلمون بنقل وترجمة الثقافات الأخرى. واعتنى بذلك في الدولة الأموية خالد بن يزيد، يقول عنه ابن النديم: «كان خالد بن يزيد بن معاوية يسمى حكيم آل مروان، وكان فاضلا في نفسه، وله همة ومحبة للعلوم خطر بباله الصبغة فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر، وقد تفصح بالعربية، وأمرهم بنقل الكتب في الصبغة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي، وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة»[1].

لكن الدولة الأموية لم تكن في مجال الترجمة كالدولة العباسية مثلا؛ وذلك لأن الدولة العباسية اهتمت بالترجمة ونقل الحضارات إلى المجتمع الإسلامي، فتقدمت حركة الترجمة على أوسع نطاق، و«كان أول من عنى بترجمة شيء من هذه الكتب أبو جعفر المنصور ثاني خلفاء العباسيين، وكان الذي قام بترجمة الكتب له طبيبه

---

(١) الفهرست، لابن النديم ص ٣٠٣.

جورجس[١] بن جبرائيل الذي كان طبيبًا لبيمارستان[٢] جنديسابور[٣]، ثم طلبه المنصور إليه سنة ١٤٨هـ، ليعالجه فحظي عنده حظوة عظيمة، وترجم له كتبا كثيرة من اليوناني إلى العربي، والبطريق[٤]، قال في طبقات الأطباء: إن المنصور أمره بنقل أشياء من الكتب القديمة»[٥].

ومن أشهر المترجمين في الدولة العباسية عبد اللّه[٦] بن المقفع الذي ترجم

---

(١) جورجس بن جبرائيل: طبيب سرياني الأصل، هو أبو بختيشوع الطبيب، ورأس هذا البيت، كان رئيس الأطباء في جنديسابور، واعتل المنصور العباسي فأرشد إليه فاستدعاه فقدم بغداد سنة ١٤٨هـ، فأحبه المنصور، فمكث حظيا عنده، ونقل له كتبًا كثيرة من اليونانية إلى العربية، ثم اعتل جور جيس وطلب الأوبة إلى جنديسابور، فأذن له المنصور، فعاد سنة ١٥٢هـ، ومات فيها. انظر معجم العلماء العرب، لباقر أمين الورد ١/ ١١٦، طبع بمساعدة اللجنة الوطنية للاحتفال، بمطلع القرن الخامس عشر الهجري في الجمهورية العراقية، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.

(٢) هي مأخوذة من الكلمة الفارسية "بيمار" بمعنى مريض، و"استان" بمعنى مكان، وتدل على المستشفى، والبيمارستان في الاصطلاح الحديث يطلق بخاصة على مكان يأوى المجانين. انظر دائرة المعارف الإسلامية ٩/ ٥٤.

(٣) مدينة في خوزستان أنشأها سابور الأول الساساني، وأسكنها سبي الروم، ومن ثم الاسم "ونديوشابور" أي فتحها شابور، وتعرف هذه المدنية باسم "بيث لابات" ثم حرف هذا الاسم إلى بيل آباذ، ويدل على موقعها في أيامنا هذه أطلال مدينة شاه آباد. انظر دائرة المعارف الإسلامية ١٢/ ٣٥٩.

(٤) كان في أيام المنصور، وأمره بنقل أشياء من الكتب القديمة، وله نقل كثير جيد، إلا أنه دون نقل حنين بن إسحاق. انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة ص ٢٨٢، تحقيق: د/ نذار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م.

(٥) تاريخ الأمم الإسلامية، لمحمد خضري بك، ص ٢١٩، مطبعة الاستقامة، بالقاهرة، الطبعة التاسعة، ١٩٥٩م.

(٦) كان اسمه بالفارسية روزبه، وهو عبد اللّه بن المقفع، ويكنى قبل إسلامه أبا عمرو، فلما أسلم اكتنى بأبي محمد، وكان أحد البلغاء والفصحاء ورأس الكتاب، وكان من مجوس فارس فأسلم على يد الأمير عيسى عم السفاح، عاش ٣٦ سنة. وأهلك في سنة ١٤٥هـ. انظر الفهرست ص ١٣٢، وتهذيب سير أعلام النبلاء ١/ ٢٢٧، رقم الترجمة: ٩٤٧.

كثيراً من الكتب المجوسية من الفارسية إلى العربية. يقول عنه ابن النديم: «وكان أحد النقلة من اللسان الفارسي إلى العربي مضطلعًا باللغتين فصيحا بهما، وقد نقل عدة كتب من كتب الفرس منها كتاب "خداينامه" في السير، كتاب "آئين نامه" في الآيين[١]، كتاب "كليلة ودمنة"، كتاب "مزدك"، كتاب "التاج" في سيرة أنو شيروان ...»[٢].

وكتاب كليلة ودمنة كان باللغة السنسكريتية الذي ألفه الفيلسوف الهندي "بيدبا"[٣] ثم ترجم إلى الفارسية ومنها إلى العربية، وكان لترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية أثر يقول طه حسين: «ولما ترجم كتاب كليلة ودمنة، وفيه قصة الناسك والفأرة[٤] وهي قصة تمثل مذهب الهنود في التناسخ، شاعت بين الناس حتى نظمت في الشعر ... ثم كثر علم العرب بهذا المذهب وغيره من مذاهب الهند حين اشتدت الصلة بينها وبين بلاد المسلمين على يد محمود[٥] بن

---

(١) كلمة "آيين" فارسية، وهي بمعنى القانون والدستور. انظر دائرة المعارف الإسلامية (اردو) ١/١.

(٢) الفهرست لابن النديم، ص ١٣٢.

(٣) هو: فيلسوف من البراهمة، فاضل حكيم يعرف بفضله، ويرجع في الأمور إلى قوله، يقال له: "بيدبا"، وكان في زمن ملك اسمه "دبليشم" الذي تملك الهند بعد ما خلع أهلها رجلا استخلفه اسكندر. انظر مقدمة كتاب كليلة ودمنة، للفيلسوف بيدبا، ترجمه إلى العربية: عبدالله بن المقفع، ص ٧. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ= ١٩٩٢م.

(٤) وفي هذه القصة تحولت فأرة بدعاء الناسك إلى جارية ثم خيرت في الأزواج بين الشمس والريح والسحاب والجبل حتى وصلت أخيراً إلى أصلها وتزوجت بالجرذ. وهذا مثل لوصول الأشياء إلى أصلها بعد تحولات، وهو مثل يطابق فكرة التناسخ، حيث يصل المتناسخ - عند الهندوس- إلى الأصل الذي انبثق منه، وهو براهما بعد نهاية مراحل التناسخ. انظر كتاب كليلة ودمنة، ص ١٧١، ١٧٢.

(٥) هو: أبو القاسم محمود بن ناصر الدولة أبي منصور سبكتكين، ولد ليلة عاشوراء سنة ٣٦١هـ، وتولى الملك بعد أبيه من بعد التخلص من معركة دارت بينه وبين أخيه إسماعيل، وغزا الهند، ولم يزل يفتح في بلاد الهند حتى انتهى إلى حيث لم تبلغه في الإسلام رأية فدحض عنها أدناس الشرك، وبنى بها مساجد وجوامع، توفى سنة ٤٢١هـ بغزنة. انظر وفيات الأعيان ٥/ ١٧٥، ١٧٨، ١٧٩.

سبكتكين، فكان الناس يتخذون من أخبار الهند وعجائب دينهم طرائف يتندرون بها في المجالس، ويتفكهون بها في الأسماء»[١].

هذا وكان بعض النقلة ترجموا مباشرة من اللغة الهندية إلى العربية يعدهم ابن النديم، ويقول: «منكة[٢] الهندي، وكان في جملة إسحاق[٣] بن سليمان بن علي الهاشمي ينقل من اللغة الهندية إلى العربية، ابن[٤] دهن الهندي، وكان إليه بيمارستان البرامكة[٥]، نقل إلى العربي من اللسان الهندي»[٦].

وكان لهذه الترجمات المختلفة أثر لا يمكن إنكاره، ونتج بذلك اختلاط الثقافات بعضها بعضًا، ودخول كثير من الثقافات الأجنبية والمعتقدات الدينية في المجتمع الإسلامي وبالقطع كان منها ما لا يتفق مع العقائد الإسلامية، بل يهدم أركانها وأسسها مثل عقيدة التناسخ.

---

(١) تجديد ذكرى أبي العلاء، (طه حسين ص ٢٨٧، ٢٨٨، دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة، ١٣٧٧هـ = ١٩٥٨م.

(٢) من مشاهير أطباء الهند، الذي أتى بغداد لمعالجة الخليفة هارون الرشيد، فشفاه فأجرى عليه الرشيد رزقا واسعًا. انظر موسوعة العراق الحديث، لـ خالد عبد المنعم العاني ١/ ١٥٨، الدار العربية للموسوعات، بغداد، الطبعة الأولى، ١٩٧٧م.

(٣) هو: إسحاق بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي العباسي: من أمراء الدولة العباسية، ولي إمرة المدينة سنة ١٧٠هـ للرشيد، ثم ولي السند ومكران سنة ١٧٤هـ، وولي الإمارة بمصر ١٧٧هـ، فاستمر سنة وأياما، وصرف عنها فتوجه إلى الرشيد، توفي بعد سنة ١٧٨هـ. انظر الأعلام للزركلي ١/ ٢٩٥.

(٤) ولم أعثر على ترجمة له.

(٥) البرامكة: أسرة فارسية من أبنائها الوزراء الأولون من الفرس للخلافة الإسلامية، وليس برمك اسم شخص، وإنما هو لقب يطلق على الموبذ في "نوبهار" وهو منصب ديني وراثي. انظر دائرة المعارف الإسلامية ٦/ ٥٤٧.

(٦) الفهرست لابن النديم ص ٣٠٥.

وأما من العوامل غير المباشرة: تحكم العقول في النصوص:

الأديان الصحيحة كلها اعتبرت الحياة الدنيوية مرحلة عمل وكسب، وأما مرحلة الجزاء فلا بد أن تتحقق في الآخرة، وعلى ذلك أوجبت الأديان حتمية الجزاء الأخروي إن خيراً فخير وإن شرا فشر.

كما أوضحت أن الروح تتلبس بالجسد من حين الولادة حتى ينتهي عمر الإنسان وتتوفاه المنية، فتفارق الروح الجسد ولا ترجع إليه إلا يوم البعث.

كما أوجبت الأديان أن يكون الإنسان على إيمان بتوحيد الله وإقرار الرسل والأنبياء، وما جاؤوا به من عقائد وشرائع.

ولو كان التمسك بهذه المبادي لآمن الإنسان بما أوضحت النصوص الدينية من وجود اليوم الآخر، وتحقق الثواب والعقاب فيه حسب الأعمال. ولكن الإنسان لو تمرد وطغى على دين الله والنصوص الشرعية، وتدخل فيما ليس للعقل فيه مجال، وحكم به على الأمور الغيبية فيقيس الغائب على الشاهد لوقع في التعطيل والتشبيه والقول بالتناسخ. يقول المقدسي: «وأصل التعطيل إنكار الخالق والرسول والثواب والعقاب اعتقادا لا إقرارا منهم، اختاروا في دفع عادية الناس منهم فأثبتوا الثواب والعقاب التناسخ في السعادة والشقاوة اللتين عندهم الجنة والنار في هذا العالم؛ إذ لا دار عندهم غيرها، ولا هي فانية ولا منقضية»[1].

وقد وقع أصحاب التناسخ في مثل هذه المزالق فضلوا وأضلوا كثيرا من الناس.

والتعطيل يكون مبدأ ينشأ منه التشبيه، فإن تشبيه الخالق بالمخلوق هو إنكار للخالق، وكذلك تشبيه المخلوق بالخالق يؤدي إلى عدم وجود فارق بينهما،

---

(١) البدء والتاريخ، للمقدسي ٤/ ٥.

ومن ثم تساويهما في المرتبة، فالذين قالوا بالتعطيل والتشبيه سواء من أهل الأديان السابقة، أو من المنتسبين إلى الإسلام تدخلوا في النصوص الدينية، وتحكموا في الأمور الغيبية بعقولهم، وقالوا بالتناسخ. يقول الله عزوجل: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ، أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَومٌ طَاغُونَ﴾[1] .

فالعلة التي هي الطغيان والمجاوزة عن الحد، وهو إنكار الخالق والرسول مادام اشتركت في أمم فاشترك الحكم فيهم، فكأنهم مشتركون في الغلو لم ينقل أحدهم من الآخر، ولذلك يقول المقدسي: «وكل من لا يؤمن بالرسالة والآخرة فإنه يؤمن بالثواب والعقاب في الانتقال والتناسخ»[2] .

فهذه العوامل كلها جعلت الطريق ممهدا لقبول غلاة الشيعة عقيدة التناسخ.

الخلاصة:

ونخلص مما سبق إلى أن:

- الشيعة هم من ناصروا عليا بعد مقتل عثمان رضي الله عنهما، ثم صار علما على فئة تعتقد في الإمامة وغيرها ما يخالف أهل السنة، وتختلف فرق الشيعة قربًا أو بعدًا من عقائد الإسلام بحسب ما ينسب إلى كل فرقة من عقائد تلتزمها.
- أما غلاة الشعية فهم الذين غالوا في علي رضي الله عنه والأئمة من بعده، ومنهم من قال بإلهية البشر، ومنهم من شبه الله بالخلق، وترتب على ذلك معتقدات كثيرة، فادعوا نبوة من ليس بنبي أو إمامة من ليس بإمام، أو معرفة الغيب، والحلول ومن ثم التناسخ.

---

(١) الذاريات، الآية: ٥٢، ٥٣.

(٢) البدء والتاريخ، للمقدسي ١٨/٤.

- انتقلت عقيدة التناسخ إلى غلاة الشيعة عن طريق المبطلين المتحلين حقداً على الإسلام وأهله، مستغلين في ذلك سماحة الإسلام، وحثه على العلم وتحصيل المعرفة واهتمام أمراء المسلمين بالترجمات وشتى العلوم.
- تحكم العقول في النصوص فيما لا قبل للعقل به سبيل الضلال والزيغ، وانحراف العقائد؛ لأن العقل لا مجال له في دائرة علم الغيب، وصدق الله العظيم: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ ...﴾[1].
- العقول متفاوتة ولذلك تنوعت مقالات المبطلين الغلاة في التناسخ، وهذا ما سنعرض له في الفصل الثاني، بتوفيق الله تعالى.

---

(١) الجن، الآية: ٢٦، ٢٧.

الفصل الثاني

مقالات غلاة الشيعة في التناسخ

أولا : مقالات السبئية في التناسخ.

ثانيا: مقالات الكيسانية في التناسخ.

ثالثا: مقالات الخطابية في التناسخ.

رابعا: مقالات الكاملية في التناسخ.

خامسا: مقالات غلاة الاثنى عشرية في التناسخ.

تمهيد:

عرفنا فيما سبق أن الذين ناصروا عليا رضي اللّه عنه ثم صاروا فرقة هم الشيعة .

وكثير من فرق الشيعة غلوا في أئمتهم فشبهوهم باللّه أو شبهوا اللّه بالخلق ، وهؤلاء هم الغلاة كما سبق . ومن الغلاة من قالوا بحلول الروح الإلهية في الأئمة وانتقالها من إمام إلى إمام .

وقد شاعت في غلاة الشيعة عقيدة الرجعة ، حيث اعتقدوا في بعض الأئمة بعد موتهم أنهم سيرجعون إلى الدنيا مرة ثانية ، وزعموا هذا حيث أنكروا موتهم . والحقيقة أن موت أولئك الأئمة قد تحقق أمام شهود الناس ، وصلى على جنائزهم جمهور من الناس . وبناء عليه اعتقادهم بالرجعة يؤدي في الأصل إلى عقيدة التناسخ .

والقائلون بالتناسخ ممن انتسبوا إلى الإسلام فرق مختلفة من الصوفية والقدرية والمعتزلة وغلاة الشيعة ، إلا أن الفرق غير غلاة الشيعة خارجة عن الموضوع ، ولذلك أكتفي بذكر غلاة الشيعة .

ولما كانت غلاة الشيعة فرقاً كثيرةً فأتناول بذكر الغلاة الذين قالوا بالتناسخ . وهي السبئية ، والكيسانية ، والخطابية ، والكاملية ، وغلاة الاثنى عشرية ، وسأتناولها بالبيان والتفصيل إن شاء اللّه .

أولا: مقالات السبئية في التناسخ:

السبئية:

السبئية أتباع عبد الله بن سبأ الذي أسلم في زمن الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ظاهرًا، وكان يهوديا في الأصل كما مر، وأنه ادعى الرجعة والوصاية، كما ادعى الألوهية في علي رضي الله عنه. ولذلك هو أول من قال بالغلو في الإسلام[١].

وقد اتفق معظم الكتاب والباحثين على وجود عبد الله بن سبأ كشخصية حقيقية، فيقول البغدادي وهو يتحدث عن السبئية: «أتباع عبد الله بن سبأ الذي غلا في علي رضي الله عنه، وزعم أنه كان نبيا ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله»[٢]. ويقول المقريزي: «وقام في زمنه - ويقصد عليا- رضي الله عنه عبدالله بن وهب بن سبأ المعروف بابن السوداء السبائي...»[٣] وكذلك الأشعري والملطي والمقدسي والأسفرائيني كلهم قالوا في السبئية: «هم أصحاب عبد الله بن سبأ»[٤]. وابن حزم يرد الغلاة إليه فيقول: «فأولهم قوم من أصحاب عبد الله بن سبأ الحميري لعنه الله...»[٥]. وقال أبو حاتم الرازي: «قيل لفرقة من الغلاة: السبئية، نسبوا إلى عبد الله بن سبأ...»[٦].

ومن علماء الشيعة يرى النوبختي والقمي وجود عبد الله بن سبأ كشخصية أحدثت الغلو، وأن الفرقة السبئية منسوبة إليه فهي أول فرقة قالت: بالغلو

---

(١) انظر الملل والنحل، للشهرستاني ١/ ١٧٧، وفرق الشيعة، للنوبختي والقمي ص ٣٢.

(٢) الفرق بين الفرق، للبغدادي ص ٢٣٣.

(٣) الخطط للمقريزي ٢/ ٣٥٦.

(٤) مقالات الإسلاميين للأشعري ص ٨٦، التنبيه والرد للملطي، ص ٣٠، البدء والتاريخ للمقدسي ٥/ ١٢٥، التبصير في الدين للأسفرائيني ص ٧١.

(٥) الفصل، لابن حزم ٥/ ٤٦.

(٦) كتاب الزينة، لأبي حاتم الرازي، تحقيق: عبد الله سلوم السامرائي ص ٣٠٥.

وهذه «الفرقة تسمى السبئية أصحاب عبد اللّه بن سبأ»[١].

ويقول عالم شيعي من علماء العصر الحديث: «وعلى كل حال فإن الرجل - أي ابن سبأ - كان في عالم الوجود وأظهر الغلو. وإن شك بعضهم في وجوده وجعله شخصًا خياليا شخصته الأغراض الشخصية، أما نحن -بحسب الإسقراء الأخير- فلا نشك بوجوده وغلوه . . .»[٢].

وهذه الأقوال من علماء أهل السنة والشيعة كلها تتفق على وجود رجل هو عبد اللّه بن سبأ كان مصدر الغلو، كما اتضح بالنصوص التي سردتها أن الفرقة السبئية إنما تنسب إلى عبد اللّه بن سبأ.

وقد مر بنا في بيان الغلو الشيعي أن عبد اللّه بن سبأ هذا كان يهوديا وكان يؤمن بالرجعة والوصاية، وهو «الذي قال لعلي عليه السلام أنت أنت، يعني أنت الإله»[٣].

وثبت أنه ذهب إلى الكوفة والبصرة والشام وأخيرًا مصر يريد أن يستميل الناس إلى أفكاره ومعتقداته فتبعه قوم، وهم الذين عرفوا بالسبئية.

ويمكن هنا أن نتسأل متى ظهرت السبئية؟ هل في آخر عهد عثمان رضي اللّه عنه، أو بعده في خلافة علي رضي اللّه عنه أو بعد وفاته؟

اختلف العلماء في ذلك على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن السبئية ظهرت في أيام علي رضي اللّه عنه.

يقول البغدادي بعد ذكر غلو عبد اللّه بن سبأ: «ودعا إلى ذلك قومًا من غواة الكوفة، ورفع خبرهم إلى علي رضي اللّه عنه فأمر بإحراق قوم منهم في

---

(١) فرق الشيعة للنوبختي والقمي ص ٣٢.

(٢) الشيعة في التاريخ، محمد حسين الزين ص ٢١٣.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٧٧.

حفرتين حتى قال بعض الشعراء في ذلك:

لترم بي الحوادث حيث شاءت   إذا لم ترم بي في الحفرتين»[١]

فأمر علي رضي الله عنه إحراق قوم من غواة الكوفة يدل على أنهم اتبعوا ابن سبأ في آرائه الغالية زمن علي رضي الله عنه.

والشهرستاني يتحدث عما وقع من الأحداث في زمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فيقول: «وكذلك ظهر في زمانه الغلاة في حقه مثل عبد الله بن سبأ وجماعة معه»[٢].

والأسفرائيني يقول في ابن سبأ: «وكان يدعو الخلق إلى مقالته فأجابته جماعة إليها في وقت علي كرم الله وجهه»[٣].

وكذلك يتبادر من قول ابن حزم أنه يرى ظهور السبئية في عهد علي رضي الله عنه فيقول في سياق حديثه عن الغلاة: «فأولهم قوم من أصحاب عبد الله ابن سبأ الحميري لعنه الله، أتوا إلى علي بن أبي طالب فقالوا مشافهة: أنت هو. فقال لهم: ومن هو؟ قالوا: أنت الله . . .»[٤].

والقول الثاني: أن السبئية ظهرت بعد وفاة علي رضي الله عنه.

جاء في شرح نهج البلاغة: «فلما قتل أمير المؤمنين عليه السلام أظهر ابن سبأ مقالته وصارت له طائفة وفرقة يصدقونه ويتبعونه . . .»[٥].

والكاتب الشيعي محمد حسين يصدق بوجود قوم في عهد علي رضي الله عنه غلوا فيه، فقالوا فيه الألوهية، ثم حرقهم علي رضي الله عنه، ولكنهم

---

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٣٣.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١/١٧.

(٣) التبصير في الدين للأسفرائيني ص ٧١.

(٤) الفصل لابن حزم ٥/٤٦.

(٥) عبد الله بن سبأ، لسليمان العودة ص ٢٠٠، نقلا عن شرح نهج البلاغة ٢/٩٩.

- في رأيه - لم يكونوا سبئية، بل ابن سبأ أظهر الغلو فيه بعد وفاته يقول: «والظاهر أن عبد الله بن سبأ لم يكن وقتئذ على هذه المقالة الغالية، ولا شمله الإحراق»[1]، ثم يعضد قوله برأى ابن أبي الحديد في ظهور ابن سبأ والسبئية بعد علي رضي الله عنه، ثم ينقل قول الشهرستاني: «وإنما أظهر ابن سبأ هذه المقالة بعد انتقال علي عليه السلام»[2] وقد أخطأ هذا الكاتب في استشهاده بقول الشهرستاني؛ لأنه قال في بداية الكلام عن السبئية: «أصحاب عبد الله بن سبأ الذي قال لعلي عليه السلام أنت أنت، يعني أنت الإله، فنفاه إلى المدائن»[3]، إلى أن قال: «وزعموا أن عليا حي لم يقتل . . . ثم قال: «وإنما أظهر ابن سبأ هذه المقالة بعد انتقال علي عليه السلام» فهو يريد من آخر النص أن ابن سبأ وقومه قالوا في علي رضي الله عنه هذه المقالة بعد موته، وهذا لا ينافي قول الشهرستاني في بداية السبئية في زمن علي رضي الله عنه.

وعليه فالكاتب محمد حسين يرجح أن ظهور السبئية كان بعد انتقال علي رضي الله عنه.

والقول الثالث: أن السبئية ظهرت قبل عهد علي رضي الله، أو في آخر عهد عثمان رضي الله عنه.

فالدكتور محمود نايف يقول بعد ما ذكر الفتن التي حدثت في آخر عهد عثمان رضي الله عنه: «في هذه الحقبة الحاسمة من تاريخ الإسلام، وفي هذه الأجواء المثيرة تبرز السبئية لتلعب أخطر دور لها في تاريخ صدر الإسلام»[4].

---

(١) الشيعة في التاريخ، محمد حسين الزين ص ٢١٢.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٧٧.

(٣) المرجع السابق.

(٤) الخوارج في العصر الأموي. د/ نايف محمود معروف ص ٤١، دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت. ط: أولى ١٩٧٧ = ١٣٩٧هـ.

ويرجح هذا الرأى الشيخ سليمان العودة في كتابه "عبد اللّه بن سبأ"[١].

بعد ذكر هذه الآراء في أول ظهور السبئية فإني أرجح الرأى الثالث؛ إذ سبق في رواية الطبري[٢] وابن الأثير[٣] أن عبد اللّه بن سبأ حين أسلم في زمان عثمان رضي اللّه عنه تنقل في البلدان، وجاء مصر فدعا قومًا منها إلى عقيدة الرجعة والوصاية فاستجابوا لدعوته. وهذه الجماعة هي السبئية، فهي ظهرت في آخر عهد عثمان رضي اللّه عنه.

كما ثبت أن عبد اللّه بن سبأ وأتباعه لهم دور كبير في فتنة مقتل عثمان رضي اللّه عنه يقول المقريزي: «وابن سبأ هذا هو الذي أثار فتنة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي اللّه عنه حتى قتل . . . وكان له عدة أتباع في عامة الأمصار، وأصحاب كثيرون في معظم الأقطار، فكثرت لذلك الشيعة»[٤].

وجاء في الطبري أول ذكر للسبئية في الأحداث المؤدية إلى قتل عثمان رضي اللّه عنه يقول الطبري: « . . . ولما رجع الأمراء لم يكن للسبئية سبيل إلى الخروج إلى الأمصار، وكاتبوا أشياعهم من أهل الأمصار أن يتوافوا بالمدينة لينظروا فيما يريدون وأظهروا أنهم يأمرون بالمعروف، ويسألون عثمان عن أشياء لتطير في الناس ولتحقق عليه فتوافوا بالمدينة . . . »[٥].

وكل هذه الدلائل تدل على ظهور السبئية في آخر عهد عثمان رضي اللّه عنه.

---

(١) انظر عبد اللّه بن سبأ، سليمان بن حمد العودة، ص ٢٠٢، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ.

(٢) انظر الطبري ٤/ ٣٤٠، ٣٤١.

(٣) انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣/ ٧٨.

(٤) الخطط للمقريزي، ٢/ ٣٥٧.

(٥) الطبري ٤/ ٣٤٦.

وقفة تأمل:

ومن خلال ما سبق من نصوص يؤيد كل منها رأيا من الثلاثة أرى أنه يمكن الجمع بينها خاصة، وأن الحالة كذلك تعطي صورة متكاملة لهذه الفرقة وأدوارها.

إن السبئية اتبعوا قائدهم عبد اللّه بن سبأ الذي تلونت أدواره حسب الحال منذ أن أسلم في عهد الخليفة الثالث عثمان رضي اللّه عنه ممهداً للفتن والانقسام، مستغلا ادعاء الأمر بالمعروف، باذرا بذور الفتنة بين الغواة، ودوره لا ينكر في فتنة مقتل الخليفة عثمان رضي اللّه عنه.

ثم لما كان عهد الإمام علي رضي اللّه عنه أظهر مقالته في حدود أشياعه وأنصاره، وهرب من العقاب، واحتمى بشيعته، فكان تركه درءاً لفتنة أكبر، ولواقع لا يعلم خطره إلا اللّه. فلما انتقل الإمام علي رضي اللّه عنه أظهر مقالته علنا وصارت من الظهور بمكان.

ومن ذلك يتبين أن أرباب الأقوال الثلاثة كل أخذ بجانب من هذه الشخصية، فمن نظر إلى أول إعلانها قال: إنها ظهرت زمن علي رضي اللّه عنه، ومن نظر إلى شيوعها وذيوعها قال بظهورها بعده، ومن نظر إلى جذورها ومنبتها قال بظهورها قبله، فلعنة اللّه على ابن سبأ وأشياعه وليقضى اللّه أمرا كان مفعولا، كان هذا اللعين ودوره ويمكرون ويمكر اللّه واللّه خير الماكرين.

عقيدة السبئية في الحلول والتناسخ:

سبق أن عبد اللّه بن سبأ ادعى الألوهية في علي رضي اللّه عنه، ومن ثم قالت السبئية بمقالته، يقول الأسفرائيني وهو بصدد بيان المشبهة: «وأول من أفرط في التشبيه من هذه الأمة السبائية من الروافض الذين قالوا بإلهية علي كرم

الله وجهه حتى أحرق علي قومًا منهم . . . »[١].

ويقول ابن حزم عن عقيدة السبئية في تأليه علي رضي الله عنه: « . . . فأولهم قوم من أصحاب عبد الله بن سبأ الحميري لعنه الله: أتوا إلى علي بن أبي طالب فقالوا مشافهة: أنت هو. فقال لهم: ومن هو؟ قالوا: أنت الله، فاستعظم، فأمر بنار فأججت فأحرقهم بالنار. فجعلوا يقولون وهم يرمون في النار: الآن صح عندنا أنك الله؛ لأنه لا يعذب بالنار إلا الله. وفي ذلك يقول علي رضي الله عنه:

لما رأيت الأمر أمرًا منكرا   أججت نارًا ودعوت قنبرًا»[٢]

فالسبئية لما شبهوا عليا رضي الله عنه بالله اعتقدوا بحلول الله فيه، ومن ذلك قالوا: انت الله.

ولما مات علي رضي الله عنه «زعموا أن عليا حي لم يقتل، وفيه الجزء الإلهي، ثم قالت بتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة بعد علي»[٣].

ونلاحظ أن ابن سبأ قد مهد لذلك بقوله بالرجعة في آخر عهد عثمان رضي الله عنه، فزعم أن محمدًا صلى الله عليه وسلم يرجع كما يرجع عيسى عليه السلام. والرجعة هذه قالها ابن سبأ في علي رضي الله عنه حين مات ولم يصدق بموته، يقول البغدادي: «فلما قتل علي رضي الله عنه زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن عليا، وإنما كان شيطانًا تصور للناس في صورة علي، وأن عليا صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى بن مريم عليه السلام»[٤].

ولما أنكر ابن سبأ موت علي رضي الله عنه زعم برجعته إلى الدنيا،

---

(١) التبصير في الدين، للأسفرائيني ص ٧٠.

(٢) الفصل، لابن حزم ٥/ ٤٦، ٤٧.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٧٧.

(٤) الفرق بين الفرق، للبغدادي، ص ٢٣٣، ٢٣٤.

وكانت جماعته معه في هذا الغلو فقالوا: «وهو الذي يجئ في السحاب، والرعد صوته، والبرق سوطه، وأنه ينزل بعد ذلك إلى الأرض فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً»[١].

هذا قولهم في علي رضي اللّه عنه، ومنه عمموا القول في الرجعة «فيقولون بالرجعة، وأن الأموات يرجعون إلى الدنيا»[٢].

ويتبين مما سبق أن السبئية مع زعيمها أول ما قالت به من عقائد الغلو الرجعة، ثم حلول ذات اللّه في علي رضي اللّه عنه، ثم تعدوا إلى القول بتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة.

وأما فرق السبئية فلم تذكرها كتب الفرق بصراحة إلا أن الملطي ذكرها وعدها حسب أقوالهم أربع فرق. وأذكر هنا ثلاثة منها، لأن الرابعة التي زعمت بإمامة محمد بن الحنفية ليست من السبئية، بل هي من الكيسانية.

فالفرقة الأولى: «هم أصحاب عبد اللّه بن سبأ، قالوا لعلي عليه السلام: أنت أنت، قال: من أنا؟ قالوا: الخالق الباري فاستتابهم فلم يرجعوا، فأوقد لهم ناراً ضخماً وأحرقهم . . .»[٣].

وربما هؤلاء من أقدم فرق السبئية، وهم المرجع لمن لحقهم.

والفرقة الثانية: التي قامت على أساس موت علي رضي اللّه عنه، فهم «يقولون: إن عليا لم يمت، وإنه في السحاب، وإذا نشأت سحابة بيضاء صافية منيرة مبرقة مرعدة قاموا إليها يبتهلون ويتضرعون ويقولون: قد مر علي بنا في السحاب»[٤] وإلى هذه الفرقة أشار الشهرستاني بأنها قالت في علي رضي اللّه

---

(١) الملل والنحل ١/ ١٧٧.

(٢) مقالات الإسلاميين، للأشعري ١/ ٨٦.

(٣) التنبيه والرد للملطي، ص ٣٠.

(٤) المرجع السابق ص ٣٠.

عنه: «. . . وأنه سينزل بعد ذلك إلى الأرض فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً»[١] فآمنت هذه الفرقة بالرجعة.

والفرقة الثالثة: «هم الذين يقولون إن عليا قد مات، ولكن يبعث قبل القيامة، ويبعث معه أهل القبور حتى يقاتل الدجال ويقيم العدل والقسط في العباد والبلاد، وهؤلاء لا يقولون: إن عليا هو الله، ولكن يقولون بالرجعة»[٢].

وأرى أن هذه الفرقة قد صرحت بالتناسخ، إذ أن عودة الميت حيًا قبل البعث تكون في جسد آخر إذا كانت لما يصيب الأول من تحلل وتحول، وهذا هو التناسخ.

فكل هذه الفرق السبئية قالوا بالحلول والتناسخ.

وقد أتى الشيخ سليمان العودة في كتابه "عبد الله بن سبأ" ببعض نماذج للسبئية، هي كنانة بن بشر التجيبي ورشيد الهجري، وعمير بن ضابي، والمغيرة بن سعيد، وجابر الجعفي، وأبو النضر محمد بن السائب الكلبي[٣].

وتشير كتب التاريخ خصوصًا الطبري، وكتب الجرح والتعديل إلى أن هؤلاء الرجال من الشيعة الغلاة السبئية، ومنهم من كان يؤمن بالرجعة ويضع الحديث.

فكنانة بن بشر هو ممن كانوا قد استمالوا عماراً رضي الله عنه وانقطعوا إليه حينما بعثه عثمان رضي الله عنه إلى مصر لتنقيب الأحداث هناك، وفكر الناس أن عماراً رضي الله عنه قد اغتيل[٤]، وكنانة بن بشر هو الذي «كان أميرًا على

---

(١) الملل والنحل ١/ ١٧٧.

(٢) التنبيه والرد للملطي، ص ٣٠.

(٣) انظر كتاب عبد الله بن سبأ، للشيخ سليمان العودة، من ص ٢١٩ إلى ٢٣٠.

(٤) انظر الطبري ٤/ ٣٤١.

أحد الفرق الأربع التي خرجت من مصر في شوال سنة ٣٥ هـ للزحف على المدينة»[١]. وكان كنانة أحد من قاتلي عثمان رضي اللّه عنه، جاء في رواية الطبري «عن عبد الرحمن[٢] بن الحارث قال: الذي قتله كنانة بن بشر بن عتاب التجيبي. وكانت امرأة منظور[٣] بن سيار الفزاري تقول: خرجنا إلى الحج، وما علمنا لعثمان بقتل، حتى إذا كنا بالعرج سمعنا رجلا يتغنى تحت الليل:

ألا أن خير الناس بعد ثلاثة   قتيل التجيبي الذي جاء من مصر»[٤]

يقول ابن حجر فيه: «وقتل بفلسطين سنة ست وثلاثين، وكان ممن قتل عثمان»[٥].

وعمير بن ضابي يقول عنه الطبري: «. . . صار عمير بن ضابي سبئيا»[٦]

وهو من الذين اشتركوا في قتل عثمان رضي اللّه عنه «ويقال: إن عنبسة ابن سعيد قال للحجاج: أتعرف هذا؟ قال: لا. قال: هذا أحد قتلة عثمان، فقال الحجاج: يا عدو اللّه أفلا إلى أمير المؤمنين بعثت بديلا، ثم أمر بضرب عنقه»[٧].

---

(١) عبد اللّه بن سبأ، لسليمان العودة، ص ٢١٩، نقلا عن الطبري ٤/ ٣٩٤.

(٢) هو: عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد اللّه المخزومي، أبو محمد، من أشراف بني مخزوم، كان أبوه من الطلقاء وممن حسن إسلامه، ولا صحبة لعبد الرحمن، بل رؤية، وكان من نبلاء الرجال، توفى قبل معاوية رضي اللّه عنه. انظر تهذيب سير أعلام النبلاء ١/ ١١٧.

(٣) هو: منظور بن زبان بن سيار الفزاري، شاعر مخضرم، من الصحابة، كان سيد قومه، ويظن أنه عاش إلى خلافة عثمان رضي اللّه عنه. انظر الأعلام للزركلي ٧/ ٣٠٨.

(٤) الطبري ٤/ ٣٩٤.

(٥) الإصابة ٣/ ٣١٨، لابن حجر، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م.

(٦) الطبري ٤/ ٤٠٣.

(٧) عبد اللّه بن سبأ، لسليمان العودة، ص ٢٢١ نقلا من الطبري ٦/ ٢٠٧، وانظر أيضًا البداية والنهاية، لابن كثير ٩/ ١١.

وأما رشيد الهجري: فكان يؤمن بعد موت علي رضي الله عنه أنه حي لم يمت. يخبر الشعبي[١] عن غلو رشيد الهجري بلسانه هو، قال رشيد: «أتينا الحسن بن علي بعد ما مات علي قال: فقلنا له: أدخلنا على أمير المؤمنين يعني عليا، وهو يعني الحسن، قال: إن أمير المؤمنين قد مات. قال: لا، ولكنه حي يعرق الآن من تحت الدثار»[٢].

ويقول ابن حبان: «عداوه في أهل الكوفة، كان يؤمن بالرجعة»[٣] كما قال رشيد وهو قد خرج حاجا يريد بيت علي رضي الله عنه قال: «فقلت لإنسان استأذن لي على أمير المؤمنين، قال: أو ليس قد مات؟ قلت: قد مات فيكم والله إنه ليتنفس الآن تنفس الحي . . .»[٤].

ولما بلغ خبر غلوه زياداً[٥] «فبعث إلى رشيد الهجري فقطع لسانه وصلبه

---

(١) هو: عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار، الإمام علامة العصر، أبو عمرو الهمداني، ثم الشعبي، رأى عليا رضي الله عنه وصلى خلفه، وسمع من عدة كبراء الصحابة، وحدث عن سعد بن أبي وقاص وأبي هريرة وأبي سعيد وعائشة وابن عمر وغيرهم، روى عنه الحكم وحماد وأبو إسحاق وأبو حنيفة وغيرهم، قال الواقدي: مات سنة ١٠٥ هـ. انظر تهذيب سير أعلام النبلاء ١/١٤٨.

(٢) الضعفاء الكبير، لأبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي المكي، ٢/٦٣، ٦٤. تحقيق: د/ عبدالمعطي أمين قلعجي، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) المجروحين، لابن حبان ١/٢٩٨، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي بحلب، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.

(٤) المرجع السابق.

(٥) هو: زياد بن عبيد الثقفي، ، وهو زياد بن سمية، وهي أمه، وهو زياد بن أبي سفيان الذي استلحقه معاوية بأنه أخوه، ولد عام الهجرة، وأسلم زمن الصديق، وهو مراهق، بلغ ابن عمر أن زيادا كتب إلى معاوية، إني قد ضبطت العراق بيميني، وشمالي فارغة، وسأله أن يوليه الحجاز: فقال ابن عمر: اللّهم إنك إن تجعل في القتل كفارة، فموتا لابن سمية لا قتلا، فخرج في اصبعه طاعون فمات سنة ٥٣ هـ. انظر تهذيب سير أعلام النبلاء ١/١١٨.

على باب دار عمرو[١] بن حريث»[٢].

وأما المغيرة بن سعيد فكان من الشيعة الغلاة من السبئية، يقول ابن قتيبة[٣]: «وكان سبئيا»[٤].

كما كان يعتقد في علي رضي الله عنه الألوهية، ويدل عليه ما رواه الأعمش[٥]: «قال: بلغني عن المغيرة بن سعيد وما يقول فأتيته فقلت له: أكان علي بن أبي طالب يقدر أن يحيى إنسانًا؟ فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد كان قادرًا على أن يحيي ما بينك وبيني إلى آدم»[٦].

ويشير العقيلي[٧] إلى عقيدته في الرجعة حيث يقول: هو «من كبار

---

(١) هو: عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي، أخو سعيد ابن حريث، كان عمرو من بقايا أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا نزلوا الكوفة. مولده قبيل الهجرة. له صحبة ورواية. توفى سنة ٨٥ هـ. انظر تهذيب سير أعلام النبلاء ١/ ١٠٧.

(٢) المجروحين، لابن حبان ١/ ٢٩٨.

(٣) هو: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي، وسمي الدينوري؛ لأنه كان قاضي الدينور، كان عالماً باللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه، والشعر والفقه، كثير التصنيف والتأليف، ومن كتبه عيون الأخبار، وأدب الكاتب. توفى سنة ٢٧٠ هـ. انظر الفهرست، ص ٨٥.

(٤) عيون الأخبار، لابن قتيبة الدينوري ٢/ ١٤٩، دار الكتب المصرية، ط: أولى، ١٣٤٦هـ.

(٥) هو: أبو محمد سليمان بن مهران مولى بني كاهل من ولد أسد، المعروف بالأعمش الكوفي، الإمام المشهور، كان ثقة، عالما فاضلا، قد رأى أنس بن مالك وروى عنه وعن كبار التابعين، وروى عنه أبو حنيفة والأوزاعي وشعبة، مولده سنة ٦٠ هـ، ووفاته سنة ١٤٨ هـ، وقيل: سنة ١٤٧هـ. انظر وفيات الأعيان ٢/ ٤٠٠، ٤٠٣، وتهذيب سير أعلام النبلاء ١/ ٢٢٨.

(٦) المجروحين، لابن حبان ٣/ ٧، ٨.

(٧) الإمام الحافظ الناقد، أبو جعفر، محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي الحجازي، مصنف كتاب "الضعفاء"، قال القاضي أبو الحسن بن القطان الفاسي: أبو جعفر العقيلي ثقة، جليل القدر، عالم بالحديث، مقدم في الحفظ، توفى سنة ٣٢٢ هـ، انظر تهذيب سير أعلام النبلاء، ٢/ ٨١.

الرافضة وممن يؤمن بالرجعة»[١].

وأما جابر بن يزيد الجعفي فكان شيعيا غاليا، وكان يؤمن بأن عليا رضي الله عنه لم يمت، وهو حي في السحاب «يروي الحميدي[٢] قال: حدثنا سفيان[٣] قال: سمعت رجلا سأل جابر عن قوله: **﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾**[٤] قال جابر: لم يأت تأويل هذه الآية بعد. قال سفيان وكذب. قال الحميدي: فقلنا لسفيان: وما أراد بهذا؟ فقال: إن الرافضة تقول: إن عليا في السحاب، فلا يخرج مع من خرج من ولده حتى ينادي مناد من السماء، يريد أن عليا ينادي من السحاب: اخرجوا مع فلان. يقول: فهذا تأويل هذه الآية، وكذب. هذه كانت في إخوة يوسف»[٥].

وإذا كانت عقيدته في علي رضي الله عنه أنه حي فقال بالرجعة، وشهد لعقيدته في الرجعة بعض معاصريه.

---

(١) الضعفاء الكبير، للعقيلي ٤/ ١٧٧.

(٢) هو: عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدي، الإمام الحافظ الفقيه، صاحب "المسند" قال أبوحاتم: أثبت الناس في ابن عيينة الحميدي، وهو رئيس أصحاب ابن عيينة. انظر تهذيب سير أعلام النبلاء ١/ ٣٩٩.

(٣) هو: سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي كوفي سكن مكة، حافظ العصر، شيخ الإسلام، الإمام الكبير، روى عن الزهري وعمرو بن دينار، وروى عنه ابن المبارك، وأبو معاوية الضرير وأبو نعيم. مات سنة ١٩٨هـ. انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي ٤/ ٢٢٥، ٢٢٦، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٧٢هـ= ١٩٥٢م، وانظر تهذيب سير أعلام النبلاء ١/ ٣٠١.

(٤) يوسف، الآية: ٨٠.

(٥) الضعفاء الكبر، للعقيلي ١/ ١٩٤.

«عن زائدة[١] قال: كان جابر الجعفي كذابًا يؤمن بالرجعة»[٢].

«وعن الشافعي قال: قال لي ابن عيينة: حدثني جابر الجعفي عن عبد الله ابن يحيى وكان جابر يؤمن بالرجعة»[٣].

وعلى كونه سبئيا يقول ابن حجر: «وقال ابن حبان: كان سبائيا من أصحاب عبد الله بن سبأ، وكان يقول: إن عليا يرجع إلى الدنيا»[٤].

ولما كان لجابر الجعفي مكانة مرموقة عند الشيعة حاولوا إبعاد صفة الغلو عنه، وتبرئته منه، ولذلك ادعى النوبختي والقمي أن هذا الغلو أسنده إلى جابر الجعفي رجل من أصحاب عبد الله[٥] بن معاوية، يقال له: عبد الله[٦] بن

---

(١) هو: زائدة بن قدامة الثقفي، أبو الصلت الكوفي، روى عن عبد الملك بن عمير وحميد الطويل وأبي الزناد والأعمش، وعنه ابن المبارك، وابن عيينة وحسين بن علي الجعفي، وغيرهم، قال أحمد: المثبتون في الحديث أربعة: سفيان وشعبة وزهير وزائدة. مات سنة ١٦٠ أو ١٦١هـ. انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ٣/٣٠٦، ٣٠٧، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدرآباد - الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٥هـ.

(٢) الكامل في ضعفاء الرجال، للإمام الحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني ٢/٥٣٨. تحقيق: لجنة من المختصين، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

(٣) المرجع السابق، ص ٥٣٩.

(٤) تهذيب التهذيب لابن حجر ٢/ ٥٠.

(٥) هو: عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وتنتمي إليه فرقة الجناحية التي سيأتي ذكرها قريبًا إن شاء الله في ضمن الكيسانية.
وهذا عبد الله طلب الخلافة في أواخر دولة بني أمية سنة ١٢٧هـ، بالكوفة، وبايع له بعض أهلها، ثم قاتله عبد الله بن عمر (والي الكوفة) فتفرق عنه أصحابه فخرج إلى المدائن، فلحق به جمع من أهل الكوفة واستفحل أمره، فسير أمير العراق (ابن هبيرة) الجيوش لقتاله فقتل سنة ١٢٩هـ، وقيل: مات في سجن أبي مسلم سنة ١٣١هـ. انظر الأعلام للزركلي ٤/ ١٣٩.

(٦) عبد الله بن الحارث الكندي، ورد اختلاف في أبيه، فقال معظم مؤلفي الفرق: عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي، وقد جاء في لسان الميزان في ترجمته ماورد في عبد الله بن عمرو بن الحرب، وإليه تنتمي فرق الحربية التي سيأتي ذكرها في الكيسانية، وهو ادعى الإلهية وأتبعه جماعة في دولة بني أمية، وكان يقول بتناسخ الأرواح، ثم اجتمع به رجل من متكلمي الخوارج فناظره فرجع عن معتقده فتبرأ منه أتباعه، وثبت عبد الله بن الحارث على رأى الخوارج إلى أن مات. انظر لسان الميزان لابن حجر ٣/ ٢٧٠.

الحارث مع أن جابر الجعفي بريئ من ذلك.[١]

وتبطل مزاعم الشيعة في تعديل الجعفي أمام الدلائل البينة ذات الثقة والنقول المتواترة على أن جابر الجعفي كان يغلو ويؤمن بالرجعة.

وأبو النضر محمد بن السائب الكلبي: كان من السبئية. يقول يزيد[٢] بن زريع: «حدثنا الكلبي وكان سبئيا»[٣].

وفي رواية أخرى يقول يزيد بن زريع: سمعت الكلبي أنا سبائيّ»[٤].

وفي رواية أخرى يقول يزيد بن زريع في الكلبي: «ولكني رأيته يضرب صدره ويقول: أنا سبائي أنا سبائي»[٥].

ويقول ابن خلكان: «وكان الكلبي المذكور من أصحاب عبد اللّه بن سبأ الذي يقول: إن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه لم يمت، وإنه راجع إلى الدنيا»[٦].

قال العقيلي: «هم صنف من الرافضة أصحاب عبد اللّه بن سبأ»[٧].

وتوفى محمد الكلبي المذكور سنة ست وأربعين ومائة بالكوفة[٨].

---

(١) انظر فرق الشيعة للنوبختي والقمي ص ٤٧.

(٢) هو: يزيد بن زريع، أبو معاوية، كان ثقة، عالما، عابدا، ورعًا، توفى أبوه وكان والي البصرة وترك من المال خمس مائة درهم، فلم يأخذ منها درهمًا واحدًا، وكان يعمل الخوص بيده، ويقتات منه هو وعياله، توفى بالبصرة في سنة ١٨٢هـ. انظر البداية والنهاية ١/ ١٨٩.

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي ٦/ ٢١٢٨.

(٤) الضعفاء الكبير، للعقيلي ٤/ ٧٧.

(٥) تهذيب التهذيب لابن حجر ٩/ ١٧٩.

(٦) وفيات الأعيان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ٤/ ٣١٠.

(٧) الضعفاء الكبير للعقيلي ٤/ ٧٧.

(٨) وفيان الأعيان، لابن خلكان ٤/ ٣١١.

فهؤلاء الشيعة كانوا من الغلاة، ومن الفرقة السبئية بالذات، ولذلك كان لهم دور خطير في الفتن ونشر الدعوة السبئية وبث العقائد الغالية، مثل: الحلول والتناسخ، كما حاولوا بذلك كله هدم أركان الإسلام، فوضعوا الأحاديث كذبا وبهتانًا على رسول الله ﷺ، وسبوا الخلفاء الثلاثة أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

ومن السبئية انتشر الغلو في الكيسانية لاتصالهم بهم زمانًا ومكانًا ولاتفاقهم منهجا وعلة، وهي: الطغيان والغلو، فقالوا بنفس ماقالت السبئية من الحلول والتناسخ.

ثانيا: مقالات الكيسانية في التناسخ:

الكيسانية:

الكيسانية فرقة شيعية تنتمي في الإمامة إلى محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية. وهي فرق متعددة، منها من غلوا في الأئمة فقالوا بإلهيتهم، وتتابع الأئمة عن طريق تناسخ الروح الإلهية فيهم، ومنهم من لم يقولوا بإلهية الأئمة بل اكتفوا بالإيمان بالرجعة والمهدية والوصاية وغير ذلك. واكتفى هنا بذكر أهم غلاة الكيسانية الذين قالوا بتناسخ الروح الإلهية في الأئمة.

حول نسبة هذه الفرقة إلى صاحبها وتسميتها باسم الكيسانية ذهب معظم مؤلفي الفرق إلى أن الكيسانية هم أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي[١] ثم عللوا تسمية هذه الفرقة بالكيسانية، فقال البغدادي والأشعري: «وكان المختار يقال له: كيسان»[٢].

ويقول النوبختي والقمي: «وإنما سموا بذلك؛ لأن رئيسهم الذي دعاهم لذلك كان المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان لقبه كيسان»[٣].

والعالم الشيعي الناشئ الأكبر يضيف على ذلك ويقول: « . . . أن المختار لقبه كيسان لقبه به علي بن أبي طالب عليه السلام»[٤] فهؤلاء كلهم قالوا: إن كيسان لقب المختار.

---

(١) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم ٥/ ٣٥، ومقالات الإسلاميين للأشعري ١/ ٩١، والفرق بين الفرق للبغدادي ص ٣٨، والتبصير في الدين للأسفرائيني ص ١٨، ومسائل الإمامة للناشئ الأكبر ص ٢٥، تحقيق: يوسف فان إس، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت ١٩٧١.

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٣٨، ومقالات الإسلاميين للأشعري ١/ ٩١.

(٣) فرق الشيعة للنوبختي والقمي ص ٣٣.

(٤) مسائل الإمامة للناشئ الأكبر ص ٢٥.

وأما المقريزي فله رأى آخر فيذهب إلى أن الكيسانية «أتباع كيسان مولى علي بن أبي طالب، وأخذ عن محمد بن الحنفية»[١].

وقبل أن أرجح رأيا أقول: إنه كان رجل باسم كيسان كنيته أبو عمرة وكان له صلة وثيقة بالمختار حتى جعله المختار صاحب شرطة له، وكان كيسان من غلاة الشيعة، جاء في كتاب فرق الشيعة عنه أنه «كان أشد إفراطًا في القول والفعل والقتل من المختار، وكان يقول: إن محمد بن الحنفية وصي علي بن أبي طالب، وأنه الإمام، وأن المختار وصي محمد بن الحنفية وعامله، ويكفر من تقدم عليا، ويكفر أهل صفين والجمل، وكان المختار لا يكفر من تقدم عليا، ويكفر أهل صفين وأهل الجمل، وكان كيسان يزعم أن جبريل عليه السلام يأتي المختار بالوحي من عند اللّه عزوجل فيخبره بذلك ولا يراه»[٢].

وهذا كيسان كان أحد رجال الشيعة الذين صدقوا المختار حينما جاء بصحيفة يدعي أنها من قبل محمد بن الحنفية استصحبها إلى إبراهيم[٣] بن الأشتر لكي يأخذ الثقة منه[٤].

ويبدو أهمية كيسان حينذاك حيث اتجه إليه الشعبى لتأكد صحة نسبة الصحيفة إلى ابن الحنفية بعد ما ناقش القوم الذين شهدوا على صحتها ونسبتها إلى ابن الحنفية، يقول الشعبى في ذلك: «فقلت في نفسي: إن لم أستعملها من العجمي، يعني أبا عمرة، لم أطمع فيها من غيره، فأتيته في منزله فقلت:

---

(١) الخطط للمقريزي ٢/ ٢٥١.

(٢) فرق الشيعة ص ٣٤.

(٣) هو: إبراهيم بن الأشتر النخعي أحد الأبطال والأشراف كأبيه، وكان شيعيا فاضلا، وهو الذي قتل عبيد اللّه بن زياد بن أبيه يوم وقعة الخازر، ثم إنه كان من أمراء مصعب بن الزبير وقتل مع مصعب في سنة ٧٢ هـ. انظر تهذيب سير أعلام النبلاء ١/ ١٢٨.

(٤) انظر الأخبار الطوال، لأبي حنيفة الدينوري ص ٢٨٩، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م.

ما أخوفني من عاقبة أمرنا هذا أن ينصب الناس جميعا لنا، فهل شهدت محمد ابن الحنفية حين كتب ذلك الكتاب؟ فقال: واللّه ما شهدته حين كتبه، غير أن أبا إسحاق - يعني المختار - عندنا ثقة، وقد أتانا بعلامات من ابن الحنفية فصدقناه، قال الشعبى: فعرفت عند ذلك كذب المختار وتمويهه»[١].

والراجح عندي كما يبدو أن الكيسانية نسبة إلى كيسان أبي عمرة، وذلك لما له من شأن كبير عند الشيعة، وأنه كان على بعض الغلو أكثر من المختار، وكان يقول بإمامة محمد بن الحنفية؛ فلذلك سميت الفرقة باسمه.

ولما كان كيسان من أقرب أنصار المختار وأحبائه حتى جعله صاحب شرطة له في قتل قاتلي الحسين رضي اللّه عنه، قال بعض مؤرخي الفرق أن المختار لقبه كيسان، أو يمكن أن تلقب المختار باسم كيسان أبي عمرة على هذه العلاقات الوثيقة بينهما.

وأما المختار بن أبي عبيد الثقفي فهو لم يكن محدثًا للفرقة الكيسانية، ولذلك يقول عنه الشهرستاني: «... كان خارجيا ثم صار زبيريا ثم صار شيعيا وكيسانيا، قال بإمامة محمد بن الحنفية بعد علي»[٢] وعلى ذلك جعل الشهرستاني المختارية فرقة من الكيسانية[٣].

ولكن للمختار دور كبير في تقوية الكيسانية ونشر بعض الغلو حتى صارت الكيسانية أتباعه. وكان المختار حريصًا على الرئاسة والولاية ولذلك جعل أخذ الثأر من قاتلي الحسين رضي اللّه عنه وسيلة لنيل هدفه فاستمال الشيعة واتخذ في ذلك محمد بن الحنفية وانتسابه إليه ذريعة لاجتذاب قلوب الشيعة، وعرف ذلك محمد بن الحنفية «فهم أن يسير إلى الكوفة، وبلغ ذلك المختار فثقل عليه قدومه فقال: إن في المهدي علامة يقدم بلدكم هذا فيضربه

---

(١) انظر الأخبار الطوال، لأبي حنيفة الدينوري ص ٢٩٠.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٤٥، ١٤٦.

(٣) انظر الملل والنحل ص ١٤٥.

رجل في السوق بالسيف لا يضره ولا يحيك فيه، فبلغ ذلك ابن الحنفية فأقام»[1]، ولم يتجه إلى الكوفة، فهنا نادى المختار بالمهدية.

وكان ممن حوله من الشيعة بعضهم من السبئية الغلاة فحملوه على دعوى النبوة، يقول البغدادي: «ثم إن المختار خدعته السبئية الغلاة من الرافضة فقالوا له: أنت حجة هذا الزمان، وحملوه على دعوة النبوة، فادعاها عند خواصه، وزعم أن الوحي ينزل عليه»[2].

والسبئية كانت ملتزمة بالمختار حتى أقسى أيامه حين خرج أهل الكوفة عليه لما تكهن، يقول البغدادي: «واجتمعت السبئية إليه مع عبيد أهل الكوفة؛ لأنه وعدهم أن يعطيهم أموال ساداتهم وقاتل بهم الخارجين عليه . . .»[3].

ويبدو من هذا أن السبئية لعبت دورها الفعال في نقل بعض العقائد الغالية إلى الكيسانية، وفي ذلك يقول الدكتور شوقي ضيف وهو يتحدث عن الكيسانية: «وقد تأثرت بغير قليل من آراء ابن سبأ، فذهبت تزعم أن ابن الحنفية هو المهدي المنتظر، وأنه ورث عن علي علم الباطن، وأن به قبسا من روح الله، وهو قبس ينتقل في أئمة الشيعة إمامًا بعد إمام، حتى إذا توفى قالوا برجعته»[4].

وأما تعريف الكيسانية من حيث المعتقد فتضمها عقيدتان أساسيتان: القول بإمامة محمد بن الحنفية، والثاني القول بالبداء[5] على الله تعالى، وفي ذلك يقول البغدادي: «افترقت الكيسانية فرقا يجمعها شيئان:

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٤/ ١١٨.

(٢) الفرق بين الفرق ص ٤٧

(٣) المرجع السابق ص ٤٧.

(٤) العصر الإسلامي، للدكتور شوقي ضيف ص ٣١٥، دار المعارف بمصر الطبعة السابعة.

(٥) البداء له معان: البداء في العلم، وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم، والبداء في الأمر، وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بعده بخلاف ذلك. الملل والنحل ١/ ١٤٦.

أحدهما: قولهم بإمامة محمد بن الحنفية، وإليه كان يدعو المختار بن أبي عبيد، والثاني: قولهم بجواز البداء على الله عزوجل»[١].

ويقول الشهرستاني: «ويجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل، حتى حملهم ذلك على تأويل الأركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها على رجال، فحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول إلى طاعة الرجل، وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة، وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت»[٢].

ولما كان الأساس الديني عندهم طاعة رجل، فقد أحدثوا الغلو في الإمام من ابن الحنفية إلى الأئمة المنحدرين بعده، فقالوا بحلول الألوهية في الأئمة وتناسخ الإمامة من واحد إلى آخر، والرجعة.

والكيسانية فرق كثيرة، وحدث افتراقهم بعد موت محمد بن الحنفية ففرقة قالت بأنه حي لم يمت. «وذهب الباقون إلى الإقرار بموت محمد بن الحنفية واختلفوا في الإمام بعده ...»[٣]. ثم تفرعت فرق عديدة سأذكرها بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

أولا: المنكرون لموت محمد بن الحنفية:

الكربية:

هذه الفرقة تنسب إلى أبي كرب[٤] الضرير[٥]، وقد كان من غلاة

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٣٨.

(٢) الملل والنحل ١/ ١٤٥.

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٣٩.

(٤) أبو كرب الضرير، لم أعثر على ترجمة له.

(٥) انظر مقالات الإسلاميين للأشعري ١/ ٩٢، والفرق بين الفرق للبغدادي ص ٣٩، والخطط للمقريزي ٢/ ٣٥٢، والتبصير في الدين للأسفرائيني ص ١٨.

الكيسانية[١] ولما توفى محمد بن الحنفية أنكرت هذه الفرقة موته، وزعمت «أن محمد بن الحنفية حي لم يمت، وأنه في جبل رضوى[٢] وعنده عين من الماء وعين من العسل يأخذ منهما رزقه، وعن يمينه أسد، وعن يساره نمر يحفظانه من أعدائه إلى وقت خروجه، وهو المهدي المنتظر»[٣]. وأنه «الذي بشر به النبي ﷺ وأخبر الناس أنه يملأ الأرض عدلا وقسطا»[٤]، فصار من أبرز عقائد هذه الفرقة الإيمان بالرجعة والمهدي.

وأما انتظارهم خروج ابن الحنفية «فزعموا أن محمد بن الحنفية يغيب عنهم سبعين عامًا في جبل رضوى، ثم يظهر فيقيم لهم الملك، ويقتل لهم الجبابرة من بني أمية، وأنه في ابتداء أمره وظهوره يركب السحاب وبيده سيف مسلول، ومعه الملائكة، ثم ينزل على سطح البيت الحرام فيبايعه عند الحجر الأسود رجال لعدة أهل بدر، ثم إن الله عزوجل يبعث له من القبور من شيعته حتى تقر عيون الشيعة بالنصر والملك ويقتل شيعة أعدائهم»[٥].

---

(١) انظر هامش التبصير في الدين ص ١٨.

(٢) جبل رضوى: هو جبل يقع قريبا من ينبع على مسيرة يوم، ومن المدينة على سبع مراحل ميامنه طريق مكة، ومياسره طريق البريراء لمن كان مصعدا إلى مكة. انظر معجم البلدان، لياقوت الحموي ٣/ ٥١، ودائرة المعارف للبستاني ٦/ ٣٨٢.

(٣) الفرق بين الفرق ص ٣٩، وانظر مقالات الإسلاميين للأشعري ١/ ٩٢، والتبصير في الدين للأسفرائيني ١٨/ ١٩.

(٤) مسائل الإمامة للناشئ الأكبر ص ٢٦.

(٥) المرجع السابق ص ٢٧.

وكان من هذه الفرقة شاعران معروفان: كثير[1] عزة، والسيد[2] الحميري.

فيقول كثير عزة:

ألا إن الأئمــة من قــريش	ولاة الحق أربعــة ســواء
علي والثـــلاثة من بنيـــه	هم الأسباط ليس بهم خفاء
فـــســبط سـبط إيمان وبر	وســبط غـيـبـتـه كـربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى	يقـود الخيل يقـدمهـا اللواء
تغـيب لا يرى فـيـهم زمـانًا	برضوى عنده عسل وماء[3]

والسيد الحميري يقول في غيبة ابن الحنفية:

لقد أضحى بمورق شعب رضوى	تراجـعــه الملائكة الكرمــا
ومــا ذاق ابن خــولة طعم مــوت	ولا وارت له أرض عظامــــا
وإن له بهـــا لمقـــيل صـــدق	وأندية تحـــدثه كـــرامــــا
وإن له لـرزقــــا مـن طعــــام	وأشـربة يعل بهـا الطعـامـا[4]

---

(١) كثير عزة: هو: أبو صخر كثيّر بن عبد الرحمن بن أبي جهة الأسود بن عامر بن عويمر الخزاعي، أحد عشاق العرب المشهورين به، وهو صاحب عزة بنت جميل، وله معها حكايات ونوادر وأمور مشهورة، وأكثر شعره فيها، وكان يدخل على عبد الملك بن مروان وينشده، وكان رافضيا شديد التعصب لآل أبي طالب، توفي سنة ١٠٥ هـ. انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٤/١٠٦ - ١١٣.

(٢) السيد الحميري: هو إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة المعروف بالسيد الحميري، الشاعر المغلق يكنى أبا هاشم، ولد سنة ١٠٥ هـ، كان أسمر تام القامة حسن الألفاظ، جميل الخطاب، مقدما عند المنصور والمهدي. وكان رافضيا خبيثًا.

قال أبو الفرج: كان شاعراً مطبوعًا مكثرا إنما مات ذكره وهجر الناس شعره لإفراطه في سب بعض الصحابة، وإفحاشه في شتمهم والطعن عليهم، وكان يقول بإمامة محمد بن الحنفية. مات أول أيام الرشيد سنة ١٧٣هـ. انظر فوات الوفيات، لمحمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: د/ إحسان عباس ١/١٩٨، رقم الترجمة ٧٢، دار صادر، بيروت، وانظر لسان الميزان، لابن حجر ١/٤٣٦.

(٣) مقالات الإسلاميين للأشعري ١/٩٣، والملل والنحل للشهرستاني ١/١٤٨، ١٤٩.

(٤) مسائل الإمامة، للناشئ الأكبر ص ٢٨.

وقول السيد الحميري في الرجعة:

غاب ابن خولة غيبة ما غابها	إلا ابن خولة في الحياة غريب
ولقد أقول لصاحب نادمته	وجرت معاتب بيننا وخطوب
ولو غاب عنا عمر نوح أيقنت	منا النفوس بأنه سيؤوب
إني لأرجوه وآمله كما	قد كان يأمل يوسف يعقوب[١]

ولعل هذا الإنتظار الطويل قالت به الكيسانية بعد ما مضت السبعون عاماً ولم يرجع ابن الحنفية بعد، فعاتبهم الخصوم فقالوا أنه مهما تمر الأيام ويمضي الدهر فإنه لا محالة سيرجع ابن الحنفية في وقت ما.

واتضح من كلام كثير عزة، والسيد الحميري أنهما كانا من الكيسانية الكربية، ومن ثم على إيمان بالرجعة، وجاء في الأغاني أن السيد الحميري وكثير عزة من القائلين بالتناسخ[٢].

وكان من هذه الفرقة حمزة[٣] بن عمارة البربري، وكان غاليا «ادعى أنه نبي، وأن محمد بن الحنفية هو الله - تعالى الله عن ذلك علوا كبير -، وأن حمزة هو الإمام والنبي، وأنه ينزل عليه سبعة أسباب من السماء فيفتح بهن الأرض ويملكها»[٤].

والخلاصة مما سبق عن هذه الفرقة أنها كانت من أوائل الكيسانية، وهي قد تأثرت بالسبئية فقالت بالمهدية والرجعة، وقال بعضها كما سبق بألوهية محمد بن الحنفية، وانتقال الروح الإلهية في الأئمة - علي وبنيه الثلاثة -، وعلى هذا فهي من الغلاة القائلة بالتناسخ.

---

(١) مسائل الإمامة، للناشئ الأكبر ص ٢٧.

(٢) انظر الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني ٧/٨، ٨/ ٣٣، ٤٢.

(٣) حمزة بن عمارة أحد السبعة الذين لعنهم الإمام جعفر الصادق. انظر هامش فرق الشيعة ص٣٩.

(٤) فرق الشيعة ص ٣٩.

ثانيا: المقرون بموت محمد بن الحنفية:

إذا كانت الكربية قد أنكرت موت ابن الحنفية فقد أقرت بقية الكيسانية بموت محمد بن الحنفية، وانتقال الإمامة إلى ابنه عبد الله أبي هاشم، ثم لما مات أبو هاشم افترقت الكيسانية إلى فرق منها:

١- البيانية:

هذه الفرقة منسوبة إلى بيان[١] بن سمعان التميمي[٢]، قالت هذه الفرقة بموت ابن الحنفية، ثم إن «الإمامة صارت من محمد بن الحنفية إلى ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد، ثم صارت من أبي هاشم إلى بيان بن سمعان بوصيته إليه»[٣].

وبيان بن سمعان هذا كان في أول أمره من أتباع حمزة بن عمار البربري منكر الموت لابن الحنفية، ثم أقر بذلك وانفرد بآرائه وتبعه أناس عرفوا بالبيانية نسبة إليه، ومن آرائه القول بحلول الجزء الإلهي في علي، واتحاده به، ثم انتقاله إليه بنوع من التناسخ. يقول الشهرستاني: «وهو من الغلاة القائلين بإلهية أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال: حل في علي جزء إلهي واتحد بجسده . . . ثم ادعى بيان أنه قد انتقل إليه الجزء الإلهي بنوع من التناسخ، ولذلك استحق أن يكون إمامًا وخليفة»[٤].

---

(١) بيان بن سمعان من بني تميم، ظهر بالعراق بعد المائة، وقتله خالد بن عبد الله القسري وأحرقه بالنار. انظر ميزان الاعتدال للذهبي ١/ ٣٥٧، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ = ١٩٦٣م، ولسان الميزان، لابن حجر ٢/ ٦٩، ٧٠.

(٢) انظر الفرق بين الفرق ص ٢٣٦ والملل والنحل ١/ ١٥١، ومقالات الإسلاميين ١/ ٩٧، والتبصير في الدين ص ١٩، والخطط المقريزية ٢/ ٣٥٢، والفصل لابن حزم ٥/ ٤٤.

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٣٦، ٢٣٧.

(٤) الملل والنحل ١/ ١٥١.

فصرح بيان بالحلول والاتحاد والتناسخ .

ثم اختلف أتباعه فيه «ففرقة قالت بنبوة بيان بن سمعان التميمي»[١] ، وفرقة قالت بإلهيته «وذكر هؤلاء أن بيانا قال لهم : إن روح الإله تناسخت في الأنبياء والأئمة ، حتى صارت إلى أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، ثم انتقلت إليه منه - يعني نفسه - فادعى لنفسه الربوبية على مذاهب الحلولية»[٢] .

وإذا وصل بيان في الغلو إلى حد تأليه البشر فقد شبه الله بالإنسان «وزعم أن معبوده على صورة إنسان عضوا فعضوا»[٣] . كما قال : «أنه يفنى كله غير وجهه ، وتأوله على زعمه قوله : ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[٤] وقوله : ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ**﴾[٥] .

فقد حاول بث دعوته بين الناس ، وتأول نصوص القرآن ليوهم الناس بصدق دعواه ، وحاول أن يتقوى بالباقر[٦] فكتب إليه يدعوه إلى نفسه فلم يفلح في محاولته ، يقول الشهرستاني : «فكتب إلى محمد بن علي بن الحسين الباقر ، ودعاه إلى نفسه . . . . . فأمر الباقر أن يأكل الرسول قرطاسه الذي جاء به»[٧] .

ويلاحظ من عقائده أنه غلا في علي رضي الله عنه فقال بحلول روح الإله

---

(١) الفصل ، لابن حزم ٥/ ٤٤ ، وانظر الفرق بين الفرق ص ٢٣٧ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٣٧ .

(٣) الملل والنحل ١/ ١٥١ .

(٤) سورة القصص ، الآية : ٨٨ .

(٥) سورة الرحمن ، الآية : ٢٦ ، ٢٧ . الفرق بين الفرق ص ٢٣٧ .

(٦) هو محمد بن علي زين العابدين بن الحسين ، أبو جعفر الباقر ، خامس الأئمة الاثنى عشرية عند الإمامية ، كان ناسكا عابداً ، له في العلم وتفسير القرآن آراء وأقوال ، ولد بالمدينة سنة ٥٧ هـ ، وتوفى بالحميمية ، ودفن بالمدينة سنة ١١٤هـ . انظر الأعلام للزركلي ٦/ ٢٧٠ ، ٢٧١ .

(٧) الملل والنحل ١/ ١٥٢ .

فيه، وهذا ما أخذه عن السبئية حيث قالت في علي رضي اللّه عنه بالألوهية. وعن طريق الحلول قال بيان بتناسخ الروح الإلهية في الأنبياء ثم الأئمة، وانتهاء به.

٢- الحربية:

عن البيانية تفرعت الحربية حيث خرج صاحبها على ما كانت عليه البيانية بزعمها أن الروح الإلهية انتقلت إلى أبي هاشم واستقرت في بيان، بزعم صاحبها عبداللّه بن حرب الكندي أنها انتقلت كذلك إليه فتخطى معتقد البيانية حينئذ وخالفه، يقول البغدادي:

«هؤلاء أتباع عبد اللّه بن عمرو بن حرب الكندي، وكان على دين البيانية في دعواها أن روح الإله تناسخت في الأنبياء والأئمة إلى أن انتهت إلى أبي هاشم عبد اللّه بن محمد بن الحنفية، ثم زعمت الحربية أن تلك الروح انتقلت من عبد اللّه بن محمد بن الحنفية إلى عبد اللّه بن عمرو بن حرب»[1].

ويقول ابن حزم في عبد اللّه بن حرب: «. . . وكان يقول بتناسخ الأرواح وفرض عليهم تسع عشرة صلاة في اليوم والليلة، في كل صلاة خمس عشرة ركعة»[2]. وقد تبعته الحربية في غلوه حتى «قالت بإلهية عبد اللّه بن الحرب الكندي الكوفي وعبدوه»[3]. فقالوا بالحلول، ومن ثم قالوا بتناسخ الروح الإلهية في الأئمة. «ومعنى ذلك أن روح الإله صارت في النبي، وروح النبي صارت في علي، وروح علي صارت في الحسن، وروح الحسن صارت في الحسين، وروح الحسين صارت في محمد بن الحنفية، وروح ابن الحنفية صارت في ابنه هاشم، وروح أبي هاشم انتسخت في عبد اللّه بن عمرو بن

---

(١) الفرق بين الفرق، للبغدادي ص ٢٤٣.

(٢) الفصل، لابن حزم ٥/ ٥٠.

(٣) المرجع السابق ص ٥٠.

الحرب، فهو الإمام إلى خروج محمد بن الحنفية، وكلهم يقولون بالتناسخ»[١].

ونخلص مما سبق:

أولا: أن الحربية من غلاة الشيعة الكيسانية.

ثانيا: وأنها قالت بحلول الروح الإلهية في الأنبياء والأئمة.

ثالثا: ومن ثم قالت بتناسخ الروح الإلهية في الأنبياء والأئمة.

٣- الجناحية:

هؤلاء هم «أصحاب عبد اللّه بن معاوية بن عبد اللّه بن جعفر ذي الجناحين»[٢].

والجناحية أصلهم من الحربية، فكانوا أولا من أتباع عبد اللّه بن عمرو بن حرب، إلا أن بعضا منهم اطلعوا على كذبه وخيانته فالتمسوا إمامًا فاتبعوا عبداللّه بن معاوية، وادعوا له الوصية»[٣].

وقد سمى النوبختي والقمي هذه الفرقة "المعاوية"[٤] وقالت هذه الفرقة بحلول الروح الإلهية في عبد اللّه بن معاوية وتناسخها من الأنبياء إلى الأئمة، ثم فيه فزعمت في عبد اللّه بن معاوية «أنه رب، وأن روح الإله كانت في آدم، ثم في شيث، ثم دارت في الأنبياء والأئمة إلى أن انتهت إلى علي، ثم دارت في أولاده الثلاثة، ثم صارت إلى عبد اللّه بن معاوية. وزعموا أنه قال لهم: إن العلم ينبت في قلبه كما تنبت الكمأة والعشب»[٥].

---

(١) فرق الشيعة، للنوبختي والقمي ص ٤٠.

(٢) مقالات الإسلاميين، للأشعري ١/ ٦٧.

(٣) انظر مقالات الإسلاميين ١/ ٩٧، والملل والنحل ١/ ١٥٠.

(٤) انظر فرق الشيعة ص ٤٧.

(٥) الفرق بين الفرق ص ٢٤٦.

وإذا كان اعتقادهم بالحلول والتناسخ، فقد كفروا بالقيامة والجنة والنار، وزعموا أن الدنيا لا تفنى، واستحلوا الميتة والخمر والزنا واللواط[1]؛ لأن إنكارهم القيامة والجنة والنار أداهم إلى التحلل من الشريعة، وتأولوا في ذلك قول الله عزوجل: ﴿ **لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَآمَنُوا** ﴾[2]، فحملوا الآية «على أن من وصل إلى الإمام وعرفه ارتفع عنه الحرج في جميع ما يطعم، ووصل إلى الكمال والبلاغ»[3].

وعرف مما سبق أن هذه الفرقة الغالية قالت:

أولا: بالألوهية في عبد الله بن معاوية، وذلك لحلول روح الإله فيه عن طريق تناسخها من الأنبياء إلى الأئمة ثم فيه.

ثانيا: صرحت بإنكار القيامة والجنة والنار، والقول بقدم الدنيا وعدم فنائها.

ثالثا " وأخيرا نادت بالتحلل من التكليفات الشرعية، وأولت النصوص الشرعية في سبيل تبرير معتقداتها.

٤- الرزامية[4]:

تفرعت هذه الفرقة على ما يظهر من كلام الشهرستاني والبغدادي من الكيسانية، وذلك لأن البغدادي يقول عن هذه الفرقة: «فقوم بمرو أفرطوا في مولاة أبي مسلم صاحب دولة بني العباس، وساقوا الإمامة من أبي هاشم إليه، ثم ساقوها من محمد بن علي إلى أخيه عبد الله بن علي السفاح، ثم زعموا أن

---

(١) انظر مقالات الإسلاميين ١/ ٦٧، ٦٨، والفرق بين الفرق، للبغدادي ص ٢٤٦، وفرق الشيعة ص ٤٧.

(٢) المائدة، الآية: ٩٣. انظر مقالات الإسلاميين ١/ ٦٨.

(٣) الملل والنحل، للشهرستاني ١/ ١٥٠.

(٤) الرزامية: أتباع رزام بن رزم، وقيل بن سايق، وظهورهم بخراسان أيام أبي مسلم الخراساني. انظر هامش فرق الشيعة ص ٦٥.

الإمامة بعد السفاح صارت إلى أبي مسلم، وأقروا - مع ذلك - بقتل أبي مسلم وموته»[١].

واختلف الشهرستاني مع البغدادي حيث نسب إلى هذه الفرقة سوق الإمامة من أبي هاشم إلى علي بن عبد الله بن عباس، ثم إلى محمد بن علي، ثم من محمد بن علي إلى ابنه إبراهيم الإمام، وهو صاحب أبي مسلم.[٢]

وقد وقع هذا الاختلاف بسبب الالتباس الذي كان سببه أن فرقة زعمت أن أبا هاشم أوصى إلى محمد بن علي؛ لأنه مات عنده بأرض الشراة بالشام، وكان محمد بن علي وقتئذ صغيراً فدفع الوصية إلى أبيه علي بن عبد الله، ولما كبر دفع إليه أبوه علي بن عبد الله وصية أبي هاشم فصار إماماً.[٣]

ولكن الأشعري يرى أن الذين قالوا بانتقال الإمامة من أبي هاشم إلى محمد بن علي، ثم إلى ما بعده «رجع بعض هؤلاء عن هذا القول، وزعموا أن النبي ﷺ نص على العباس بن عبد المطلب، نصبه إماما، ثم نص العباس على إمامة ابنه عبد الله، ونص عبد الله على إمامة ابنه علي بن عبد الله، ثم ساقوا الإمامة أن انتهوا إلى أبي جعفر المنصور، وهؤلاء الراوندية[٤]»[٥]. ومنهم تفرع كما يرى الأشعري الرزامية، وأبو مسلمية في أمر أبي مسلم.

وقد غلت الرزامية في أبي مسلم الخراساني «وادعوا حلول روح الإله فيه ... وقالوا بتناسخ الأرواح»[٦].

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٥٦.

(٢) انظر الملل والنحل ١/ ١٥٢.

(٣) انظر كتاب الزينة لأبي حاتم الرازي ص ٢٩٨.

(٤) الراوندية: نسبة إلى راوند بالقرب من أصفهان، أو نسبة إلى عبد الله الراوندي أو أبي هريرة الراوندي، وهؤلاء أثبتوا إمامة العباس بعد علي، وقصروها على ولد العباس من بعده، ثم قالوا بألوهية المنصور. انظر هامش فرق الشيعة ص ٤٦.

(٥) مقالات الإسلاميين ١/ ٩٦.

(٦) الملل والنحل ١/ ١٥٢.

وقد أطلق البغدادي على المفرطين في أمر أبي مسلم الذين كانوا من الرزامية "أبو مسلمية" يقول: « . . . إلا فرقة منهم يقال لهم: أبو مسلمية أفرطوا في أبي مسلم غاية الإفراط، وزعموا أنه صار إلها بحلول روح الإله فيه . . . وزعموا أيضًا أن أبا مسلم حي لم يمت»[١].

وقد فرق الأشعري بين الرزامية وأبي مسلمية بأن الأولى ادعت أن أبا مسلم قتل، بينما قالت الأخرى: أنه حي لم يمت.[٢]

هذا وقد عد البغدادي الراوندية من الفرق القائلة بتناسخ روح الإله في الأئمة.[٣]

ويقول ابن حزم عن هذه الفرقة: «قالت بإلهية أبي جعفر المنصور»[٤].

ويقول ابن خلدون عنها: «يقولون بالتناسخ والحلول، وأن روح آدم في عثمان بن نهيك وأن روح اللّه حل في المنصور»[٥].

وكان أبو مسلم الخراساني من القائلين بالتناسخ، يقول البغدادي: «وزعم أبو مسلم الخراساني أن اللّه خلق الأرواح كلها وكلفها، فمنها من علم أنه يطيعه، ومنها من علم أنه يعصيه، وأن العصاة إنما عصوه ابتداء فعوقبوا بالنسخ والمسخ في الأجساد المختلفة على مقادير ذنوبهم»[٦].

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٥٧.

(٢) انظر مقالات الإسلاميين ١/ ٩٦.

(٣) انظر الفرق بين الفرق ص ٢٧٢.

(٤) الفصل لابن حزم ٥/ ٤٩.

(٥) تاريخ ابن خلدون ٣/ ٢٣٣.

(٦) الفرق بين الفرق ص ٢٧٦.

وبعد هذا كله يمكن القول فيما يتعلق بالرزامية :

أولا : لكثرة الاختلاف والالتباس يمكن القول أنه أصل هذه الفرق الرزامية. وهي القائلة بانتقال الإمامة من أبي هاشم إلى محمد بن علي بالوصية إلى أن انتهوا إلى أبي مسلم.

أما الراوندية : فقد ذهبوا رأسا كما قال الأشعري إلى أن النبي ﷺ نص على إمامة العباس بن عبد المطلب من بعده إلى أن بلغوا إلى جعفر المنصور مخالفين ذلك سائر الشيعة حيث جعلوا الوصية بعد الرسول ﷺ لعلي بن أبي طالب.

أما أبو مسلمية : فقد خالفت الرزامية في إقرارها بموت أبي مسلم الخراساني، وقالوا إنه حي لم يمت ، وأن روح الإله انتقلت إليه فصار إلهاً.

ثانيا : جميع هؤلاء قالوا بتناسخ الروح الإلهية في الأئمة.

ثالثا : وكما مر أن أبا مسلم الخراساني كان يعتقد بتناسخ الأرواح نسخا ومسخا.

و خلاصة القول : أن فرقة الكيسانية وما انحدر منها كالكربية والبيانية والحربية والجناحية والرزامية قد خطوا إثر خطى عبد الله بن سبأ لعنه الله، فكانت أقوالهم بمثابة الثمار التي نمت من البذور التي زرعتها السبئية، فأعمل العقل عمله فتأولوا الشرع، وأنكروا المعلوم من الدين بالضرورة، وشبهوا الله بخلقه، وغلوا في الدين، وقالوا على الله غير الحق، ألا فلعنة الله على الظالمين.

ثالثاً : الخطابية:

هذه الفرقة منسوبة إلى أبي الخطاب[١] محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع[٢]، وقد غلا أبو الخطاب في الأئمة فزعم «أن الأئمة أنبياء ثم آلهة، وقال بإلهية جعفر بن محمد، وإلهية آبائه، وهم أبناء الله وأحباؤه، والإلهية نور في النبوة، والنبوة نور في الإمامة، ولا يخلوا العالم من هذه الآثار والأنوار»[٣].

ولم يكتف أبو الخطاب بالغلو والقول بإلهية الأئمة بل «كان يدعي بعد ذلك الإلهية لنفسه، وزعم أتباعه أن جعفرا إله، غير أن أبا الخطاب أفضل منه، وأفضل من علي»[٤].

وكان أبو الخطاب في زمن جعفر بن محمد الصادق «فلما وقف الصادق على غلوه الباطل في حقه تبرأ منه ولعنه، وأخبر أصحابه بالبراءة منه، وشدد القول في ذلك، وبالغ في التبري عنه واللعن عليه»[٥].

وقد قتل أبو الخطاب على يد عيسى[٦] بن موسى صاحب المنصور، وذلك

---

(١) أبو الخطاب الأسدي، هو محمد بن أبي زينب، ويكنى أيضًا أبا إسماعيل، وأبا الظبيان، وكان مولى لبني أسد، وقد كان يقول: إن لكل شيء من عبادات باطنا، وقد ظل على ضلالته ومخرقته حتى قتله عيسى بن موسى والي الكوفة من قبل العباسيين، وكان ذلك في سنة ١٤٣هـ. انظر هامش الفرق بين الفرق ص ٢٤٧.

(٢) الملل والنحل، للشهرستاني ١/ ١٨٣.

(٣) المرجع السابق ص ١٨٣.

(٤) الفرق بين الفرق، للبغدادي ص ٢٤٧.

(٥) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٨٣.

(٦) هو: عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، ولي العهد، وكان فارس بني العباس وسيفهم المسلول، جعله السفاح ولي عهد المؤمنين بعد المنصور، توفى سنة ١٦٨ هـ بالكوفة. انظر تهذيب سير أعلام النبلاء ١/ ٢٧٤.

«لأن أبا الخطاب نصب خيمة في كناسة الكوفة، ودعا فيها أتباعه إلى عبادة جعفر، ثم خرج أبو الخطاب على والي الكوفة في أيام المنصور فبعث إليها المنصور بعيسى بن موسى في جيش كثيف، فأسروه فصلب في كناسة الكوفة»[(١)].

والخطابية تفرعت إلى خمس فرق بعد موت أبي الخطاب، وكلها اتفقت على ما نادى به أبو الخطاب من أن الأئمة أنبياء ورسل الله، لا يزال منهم رسولان الواحد ناطق، والآخر صامت. فعلي صامت والنبي صلى الله عليه وسلم ناطق، وهكذا إلى أن انتهى الأمر إلى جعفر. وفي وقته أبو الخطاب صامت، وجعفر ناطق، ثم زادوا في الغلو فقالوا: بأن كل الأئمة آلهة.[(٢)]

وفرق الخطابية هي: الخطابية المطلقة، المعمرية، والبزيغية، والعميرية، والمفضلية.

الخطابية المطلقة:

أتباع أبي الخطاب الأسدي، اتبعوه في غلوه وخرافاته، وبعد ما توفى أبو الخطاب وخرج بعض أصحابه على إنكاره مستقلا بفرقة اختلفوا في أمور واتفقوا في بعضها، ثبتوا هم على ما كانوا عليه قبل موته «فثبتت على موالاة أبي الخطاب في دعاويه كلها، وأنكرت إمامة من بعده»[(٣)] وعلى ذلك أقرت هذه الفرقة ما زعم به أبو الخطاب من تأليه الأئمة، وتناسخ الجزء الإلهي من واحد إلى آخر.

---

(١) الفرق بين الفرق، للبغدادي ص ٢٤٧.

(٢) انظر مقالات الإسلاميين للأشعري ١/ ٧٦، ٧٧، والفرق بين الفرق للبغدادي، ص ١٤٧، ٢٤٨ بتصرف.

(٣) المرجع السابق ص ٢٥٠.

المعمرية:

المعمرية «قالت بإلهية معمر بائع الحنطة بالكوفة، وعبدوه، وكان من أصحاب أبي الخطاب»[١] كما أنهم «زعموا أن الدنيا لا تفنى، وأن الجنة هي التي تصيب الناس من خير ونعمة وعافية، وأن النار هي التي تصيب الناس من شر ومشقة وبلية»[٢]. وإذا أنكروا الجزاء في الجنة والنار «فقالوا بالتناسخ، وأنهم لا يموتون ولكن يرفعون بأبدانهم إلى الملكوت وتوضع للناس أجساد شبه أجساهم»[٣] ومن ثم «كانوا ينكرون القيامة»[٤].

وقرروا أن الروح هو الله والخالق، وماعدا ذلك فهو أسماء الأبدان، ينقل النوبختي والقمي عقيدتهم في هذا قائلين: «وإنما يوقعون الأسماء على الأبدان والقوالب، ولا يسمون الروح إلا باسمين: الله والخالق، وما سواها من أسماء الأبدان والبيوت التي تسكنها هذه الروح»[٥]. وقالوا في تأليه الأئمة: «كان النور الذي هو الله في عبد المطلب، ثم صار في أبي طالب . . . وأبو طالب هو الله عزوجل - وتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا -، فلما مضى أبو طالب خرجت الروح وسكنت محمد صلى الله عليه وآله، فكان هو الله عزوجل في الحق وعلي ابن أبي طالب هو الرسول، فلما مضى محمد صلى الله عليه وآله، خرجت منه الروح، وصارت في علي، فلم تزل تتناسخ في واحد بعد واحد حتى صارت في معمر»[٦]، وهكذا قالت المعمرية بتناسخ الروح الإلهية في الأئمة.

---

(١) الفصل، لابن حزم ٥/ ٤٩.

(٢) الملل والنحل لشهرستاني ١/ ١٨٣.

(٣) مقالات الإسلاميين، للأشعري ١/ ٧٨.

(٤) الفرق بين الفرق ص ٢٤٨.

(٥) فرق الشيعة، ص ٥٥.

(٦) المرجع السابق ص ٥٥.

البزيغية:

«وهم أتباع بزيغ، وكان يزعم أن جعفراً كان إلها، ولم يكن جعفر ذلك الذي يراه الناس، بل كان يظهر للناس بتلك الصورة»[(١)].

وكانت عقيدة هذه الفرقة في الوحي «أن كل ما يحدث في قلوبهم وحي، وأن كل مؤمن يوحى إليه، وتأولوا في ذلك قول الله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾، أي: بوحي من الله»[(٢)]. وقد أنكروا موتهم فقالوا: «إنَّ الإنْسَان إذا بلغ الكمال لا يقال إنه مات، لكن الواحد منهم إذا بلغ النهاية قيل: رُفع إلى الملكوت، وادعوا كلهم معاينة أمواتهم، وزعموا أنهم يرونهم بكرة وعشيًا»[(٣)].

العميرية:

هذه الفرقة كانت أتباع عمير بن بيان العجلي[(٤)] وأقرت بإمامته بعد أبي الخطاب[(٥)].

اختلفت العميرية مما سبقت من فرق الخطابية في الموت «فاعترفوا بأنهم يموتون، وقالوا: ولكن لا يزال خلف منا في الأرض أئمة أنبياء»[(٦)].

واتفقت مع فرق الخطابية في تأليه جعفر «فعبدوه وسموه ربّا»[(٧)].

---

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٤٨، ٢٤٩.

(٢) مقالات الإسلاميين للأشعري ١/ ٧٨، وانظر الملل والنحل ١/ ١٨٤، والفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٤٩، وفرق الشيعة ص ٥٥، والآية: ١٤٥، سورة آل عمران.

(٣) الملل والنحل ١/ ١٨٤، وانظر الفرق بين الفرق ص ٢٤٩، ومقالات الإسلاميين ١/ ٧٨، ٧٩.

(٤) الفرق بين الفرق ص ٢٤٩، ومقالات الإسلاميين للأشعري ١/ ٧٩.

(٥) انظر الملل والنحل ١/ ١٨٤.

(٦) انظر الفرق بين القرق ص ٢٤٩، ومقالات الإسلاميين ١/ ٧٩.

(٧) الفرق بين القرق ص ٢٤٩، ومقالات الإسلاميين ١/ ٧٩.

وقد كانت نهاية عمير بن بيان، وقتله حيث ضربوا خيمة في كناسة الكوفة، ثم اجتمعوا إلى عبادة جعفر فأخذ يزيد بن عمر بن هبيرة عمير بن بيان فقلته في الكناسة»[١].

المفضلية:

هذه الفرقة من الخطابية تنتسب إلى رجل كان يقال له مفضل الصيرفي[٢] وكان هذا الرجل غاليا «وكان يقول بربوبية جعفر، دون نبوته ورسالته»[٣].

وخالفت هذه الفرقة فرق الخطابية الأخرى في أبي الخطاب «فتبرؤا من أبي الخطاب لبراءة جعفر منه»[٤].

وفي برائتهم من أبي الخطاب لم يخرجوا من الغلو، فقالوا بإلهية جعفر الصادق.

ونخلص مما سبق ما يلي:

أولا: الخطابية فرقة شيعية غالية حيث قالت بالألوهية في الأئمة، ومن ثم اعتقدت بتناسخ الإلهية في الأئمة، كما أن بعضها نادت بتناسخ الأرواح عامة.

ثانيا: أنكرت الخطابية اليوم الآخر بما في ذلك من الجنة والنار والقيامة.

ثالثا: دخلت في التأويلات الفاسدة في الآيات القرآنية، وقالت بالظاهر والباطن مما أخذته الشيعة الإسماعيلية فيما بعد.

رابعا: كان الهدف من عقائد الخطابية هدم أركان الإسلام، وإبطال الشريعة والتحلل من قيودها، فلذلك «استحلوا المحرمات ودانوا بترك الفرائض»[٥].

---

(١) مقالات الإسلاميين ١/ ٧٩

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٤٩، والملل والنحل ١/ ١٨٥، ومقالات الإسلاميين ١/ ٧٩.

(٣) الملل والنجل ١/ ١٨٥.

(٤) الفرق بين الفرق ص ٢٥٠.

(٥) المرجع السابق ص ٢٤٨.

رابعا : الكاملية:

هذه الفرقة انتسبت إلى أبي كامل[١] الذي «أكفر جميع الصحابة بتركها بيعة علي عليه السلام، وطعن في علي بتركه طلب حقه، ولم يعذره في القعود. قال: وكان عليه أن يخرج ويظهر الحق على أنه غلا في حقه.

وكان يقول: الإمامة نور يتناسخ من شخص إلى شخص، وذلك النور في شخص يكون نبوة وفي شخص يكون إمامة، وربما تتناسخ الإمامة فتصير نبوة، وقال بتناسخ الأرواح وقت الموت»[٢].

وعلى ذلك نقول: إن الكاملية فرقة شيعية قالت بتناسخ الروح الإلهية في الأئمة، وكذلك قالت بتناسخ الأرواح.

---

(١) لم أعثر على ترجمة له.

(٢) الملل والنحل ١/ ١٧٨، وانظر الفرق بين الفرق ص ٥٤.

خامسا: غلاة الإمامية الأثنى عشرية:

ذكر الأشعري فرقة غالية قالت بالألوهية في روح القدس، ثم تناسخها في النبي والأئمة بعده واحدًا بعد واحد، يقول عن هذه الفرقة:

«يزعمون أن روح القدس هو الله عزوجل، كانت في النبي صلى الله عليه وسلم، ثم في علي، ثم في الحسن، ثم في الحسين، ثم في علي بن الحسين، ثم في محمد بن علي، ثم في جعفر بن محمد بن علي، ثم في موسى ابن جعفر، ثم في علي بن موسى بن جعفر، ثم في محمد بن علي بن موسى، ثم في علي بن محمد بن علي بن موسى، ثم في الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى، ثم في محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي. وهؤلاء آلهة عندهم، كل واحد منهم إله على التناسخ . . .»[١].

وهذا التسلسل في الأئمة تقول به الإمامية الاثنى عشرية، وعليه يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذه الفرقة بعد نقله كلام الأشعري عنهم: «وهؤلاء هم من الإمامية الاثنى عشرية»[٢].

وهذه الفرقة قالت بتناسخ الروح الإلهية في الأئمة.

---

(١) مقالات الإسلاميين، للأشعري ١/ ٨٢، ٨٣.

(٢) منهاج السنة، لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢/ ٥٠٩، طبعة جامعة الإمام.

والخلاصة أن فرق الشيعة ليست كلها من الغلاة، والتي غلت فقالت بحلول روح اللّه في الأئمة ثم تناسخها من إمام إلى إمام هي: السبئية، والكربية، والبيانية، والحربية، والجناحية، والرزامية، والخطابية، والكاملية، وغلاة الاثنى عشرية.

ولا شك أن السبئية هي التي سبقت الفرق الأخرى في الغلو والقول بالتناسخ، وكلها تخطت إثرها، وكان لها هدف خاص في هذه المسيرة، وهو هدم أركان الدين الإسلامي، خاصة الإيمان باليوم الآخر؛ وذلك لأن عقيدة التناسخ تتنافى مع هذا الركن، فهذه الفرق القائلة بالتناسخ أنكرت القيامة والجنة والنار، وتأولت في النصوص الواردة فيها تاويلا باطنيا.

وهؤلاء يعتبرون من الغلاة القدامى، وهم أثروا فيما جاء بعدهم من الفرق الغالية من الإسماعيلية والنصيرية والدروز، وألقوا إليها كل العقائد الغالية من الحلول والتناسخ، وبذلك حاول الغلاة كلهم من سلفهم إلى خلفهم نشر العقائد الغالية وتشويه العقائد الإسلامية الصحيحة.

ويلاحظ فيما سبق أن الغلو قد توافرت أركانه وتصارعت الأنا في نفوس الرعاع، واستغل الحاقدون حب آل البيت والولاء لهم، بالإضافة إلى تطلعات هؤلاء الرعاع، وتركوا ذلك يثمر ثمرته في نفوسهم، فاتفقوا على إمام وبعد موته افترقوا على أئمة، وهكذا توالى هذا العامل ليفرق الكلمة، ويشرع ما لم يأذن به اللّه، فلكل قول ومعتقد ومخالفة لكي يعرف بمخالفته وليصير متبوعًا بعد أن كان تابعًا.

فلعنة اللّه على المبطلين المنتحلين والغالين المحنرفين والجاهلين المتأولين.

الفصل الثالث

أثر التناسخ في فرق الشيعة المعاصرة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أثر التناسخ في الإسماعيلية.

المبحث الثاني: أثر التناسخ في الدروز.

المبحث الثالث: أثر التناسخ في النصيرية.

تمهيد:

نشأ الغلو في صفوف الشيعة حقداً على انتشار الإسلام وانتصاراته المتتالية، كما مر سابقًا أن بعض العناصر الأجنبية الفاسدة دخلت في الإسلام للكيد له مع الضغائن الدفينة في قلوبهم ضد الإسلام، فحاولوا نشر الفساد متلبسين بملابس الإسلام، ورأوا أسهل مدخل لتطبيق نواياهم حب علي رضي اللّه عنه وبنيه، فغلوا فيهم. ومن مظاهر غلوهم أن قالوا بحلول روح الإله فيهم ثم تناسخها إلى الأئمة بعدهم.

وكان هدفهم من هذا الغلو هدم توحيد اللّه ورسالة محمد صلى اللّه عليه وسلم، وهدم الإيمان باليوم الآخر. وقد استمر هذا الهدف إلى من جاؤوا بعدهم من إخوانهم الغالين حتى يومنا هذا، فالخلف تلقوا منهجهم من سلفهم، فجميعهم من منطلق واحد خرجوا إلى هدف واحد عملوا وبذلوا.

فمن بين هؤلاء القدامى أبو الخطاب الأسدي الذي تنسب إليه فرقة الخطابية، والذي صارت أفكاره بمثابة البذور لمن جاء بعده من الغلاة والمبطلين المتحلين، فأثمرت على أيديهم معتقدات الفرق المعاصرة، كالإسماعيلية، والدروز، والنصيرية وغيرهم.

يقول الدكتور محمد أحمد الخطيب: «وجاء أبو الخطاب الأسدي ليسير في أفكار الغلو شوطًا كبيرا ورئيسيا، فقد كان أستاذًا للمفضل[١] الجعفي، والذي كان وراء محمد[٢] بن نصير في أفكاره الضالة، والتي أسس عليها فرقته

---

(١) هو: المفضل بن عمر الجعفي تلميذ أبي الخطاب الأسدي. وله كتاب "الهفت والأظلة". انظر الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، للدكتور محمد أحمد الخطيب ص ٣٢٥، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

(٢) مؤسس فرقة النصيرية، وهو محمد بن نصير النميري، ويكنى بأبي شعيب، عاش في القرن الثالث الهجري، وتوفى حوالي ٢٧٠هـ، وعاصر ثلاثة من أئمة الشيعة الاثنى عشرية، وهم: علي الهادي (٢١٤هـ - ٢٥٤هـ)، والحسن العسكري (٢٣٠هـ - ٢٦٠هـ)، ومحمد المهدي (٢٥٥هـ - ٠٠٠) انظر المرجع السابق ص ٣٢٣.

النصيرية، وكان أيضا أستاذًا لإسماعيل[١] بن جعفر ولابنه محمد[٢]، وزميلا مخلصًا لميمون القداح وابنه، الذين بلوروا بشكل فعال انطلاق الحركة الباطنية بثوبها الإسماعيلي التي انبثقت منها أكثر الحركات الباطنية الأخرى...»[٣].

ثم إنهم كلهم طغوا على النصوص الدينية، وحكموا بعقولهم على المسائل الغيبية، فوقعوا في القول بالحلول والتناسخ.

ولما تجلت الآيات القرآنية في دحض غلوهم، أخذوا يؤولونها تأويلا باطنيا ليضلوا عامة المسلمين، وصاروا يدعون أن القرآن نطق بعقائدهم مستغلين في ذلك ادعاء العلم الباطني بدعوى أن لكل ظاهر باطنًا ولكل تنزيل تأويلا، وأن تأويل القرآن والمراد به لا يعرفه سواهم خلفا عن سلف.

ومن أشهر المعاصرين الذين أخذوا وتأثروا بالغلاة السابقين، الإسماعيلية والدروز والنصيرية. وسنتناولهم بالبيان. وبالله التوفيق.

---

(١) هو: أكبر أبناء جعفر الصادق، واعتقده قوم من الشيعة في حياة أبيه أنه القائم بعده، ولكنه مات في حياة أبيه، وكان موته فتنة لهؤلاء، وحمل إلى المدينة ودفن بالبقيع سنة ١٣٣هـ. انظر هامش فرق الشيعة ص ٧٨.

(٢) هو: محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، ترى الإسماعيلية أنه كان الإمام بعد وفات أبيه، وأنه كان يكنى عنه بالمكتوم حذراً عليه من بطش العباسيين، وهو عندهم أول الأئمة المكتومين، وكان ميلاده بالمدينة، ووفاته بنيسابور (١٣١-١٩٨هـ). انظر هامش فرق الشيعة ص ٧٨.

(٣) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص ٢٥.

المبحث الأول: أثر التناسخ في الإسماعيلية:

الإسماعيلية:

تنتسب الإسماعيلية إلى إسماعيل الابن الأكبر لجعفر الصادق، بدلا عن الإقرار بإمامة موسى الكاظم الذي سار عليه الشيعة الاثناعشرية.

وهذا حدث بعد وفاة جعفر الصادق حيث انقسمت الشيعة الجعفرية إلى طائفتين: الأولى منهما: هي الاثناعشرية التي ادعت انتقال الإمامة من جعفر إلى ابنه موسى الكاظم، وأما الطائفة الثانية، هي الإسماعيلية التي أقرت بإمامة إسماعيل الابن الأكبر لجعفر الصادق، وقالوا: إن جعفراً نص على إمامة إسماعيل حيث كان أكبر أبنائه.

وحول وفاة إسماعيل في حياة أبيه يوجد اختلاف كثير بين المصادر الإسماعيلية وغيرها، حتى فيما بين الإسماعيلية، فيقول الدكتور عارف تامر -وهو إسماعيلي-: «وهذا الإمام تؤيد المصادر وفاته في حياة أبيه»[١]. ومن ثم «قال بعضهم: إن جعفر الصادق نص على أن يتولى إسماعيل الإمامة من بعده، ولكن إسماعيل توفى في حياة أبيه، وبذلك انتقلت الإمامة إلى ابنه محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق؛ لأن الإمامة لا تكون إلا في الأعقاب، ولا تنتقل من أخ إلى أخيه إلا في حالة الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- فقط. أما الأئمة بعد الحسن والحسين فلا بد أن تنتقل من أب إلى ابن، وأولوا الآية القرآنية الكريمة ﴿**وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ**﴾[٢] بأن معنى الكلمة هي الإمامة، وأنها لابد أن تكون في الأعقاب دون غيرهم، وبما أن إسماعيل بن جعفر الصادق كان صاحب الحق الشرعي في الإمامة بعد أن

---

(١) الخليفة الفاطمي الخامس العزيز بالله، عارف تامر، ص ١١١، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ =١٩٨٢م، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٢٨.

نص أبوه على ذلك، فلا بد إذن أن تتسلسل الإمامة في ابنه محمد بن إسماعيل»[١].

وذكر ابن خلدون أيضًا أن إسماعيل توفى في حياة أبيه[٢].

وقد بين الأشعري فرقة تسمى المباركية التي ساقت الإمامة على ما ساقت الإسماعيلية يقول: «والصنف التاسع عشر من الرافضة يسوقون الإمامة من علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - على سبيل ما حكينا عن القرامطة حتى ينتهوا بها إلى جعفر بن محمد، ويزعمون أن جعفر بن محمد جعلها لإسماعيل ابنه، دون سائر ولده، فلما مات إسماعيل في حياة أبيه صارت في ابنه محمد بن إسماعيل، وهذا الصنف يدعون المباركية نسبة إلى رئيس لهم يقال له: المبارك، وزعموا أن محمد بن إسماعيل قد مات، وأنها في ولده من بعده»[٣].

فهذه الآراء تدل على وفاة إسماعيل في حياة أبيه.

هذا وقد حدث النوبختي والقمي أن الإسماعيلية «أنكرت موت إسماعيل في حياة أبيه، وقالوا: كان ذلك على جهة التلبيس من أبيه على الناس؛ لأنه خاف فغيبه عنهم . . .»[٤].

وكذلك المصادر الإسماعيلية الأخرى فيقول الدكتور محمد كامل حسين: «على أن أكثر مؤرخي الإسماعيلية يقولون: إن قصة وفاة إسماعيل بن جعفر في حياة أبيه إنما كانت قصة أراد بها جعفر الصادق التمويه والتعمية على الخليفة

---

(١) طائفة الإسماعيلية، للدكتور محمد كامل حسين، ص ١٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٩م.

(٢) انظر مقدمة ابن خلدون ص ١٥٨.

(٣) مقالات الإسلاميين للأشعري ١/ ١٠١.

(٤) فرق الشيعة ص ٧٨.

العباسي أبي جعفر المنصور الذي كان يطارد أئمة الشيعة، فخاف جعفر الصادق على ابنه وخليفته إسماعيل فادعى موته، وأتى بشهود كتبوا محضرا بوفاته، وأرسل ذلك المحضر إلى الخليفة العباسي الذي أظهر سروراً وارتياحًا لوفاة إسماعيل الذي كان إليه أمر إمامة الشيعة، ثم شوهد إسماعيل بعد ذلك في البصرة وفي غيرها من بلاد فارس، وعلى ذلك فالإمامة لم تسقط عن إسماعيل بالموت قبل وفاة أبيه؛ لأنه مات بعد أبيه»[١].

وفي كلتا الحالتين يثبت الإسماعيليون إمامة إسماعيل بدلا عن إمامة موسى بعد جعفر الصادق، ثم انتقالها من إسماعيل إلى ابنه محمد.

هذا وهناك يذهب بعض مؤرخي الفرق إلى أن شخصية إسماعيل لم تكن أهلا للإمامة فقالوا: «إن إسماعيل بن جعفر الصادق لم يكن بالرجل الذي يصلح للإمامة، فقد كان مدمنا على شرب الخمر، ولوعًا بالنساء، وأنه كان من أصدقاء أبي الخطاب الأسدي الفاسق الملحد الذي ادعى ألوهية جعفر الصادق، وأنه (أي أبا الخطاب) كان رسوله، مما جعل الصادق يتبرأ منه ولا يرضى عن الصلة التي كانت بينه وبين إسماعيل، وأن جعفراً أظهر فرحه لموت ابنه إسماعيل لما كان معروفًا عنه من فسق»[٢].

ومما سبق يظهر أن أبا الخطاب وإسماعيل بن جعفر والمبارك[٣] من المؤسسين الأوائل للإسماعيلية، وكانوا على طرف من الغلو، كما أن المبارك ساعدهم وانضمت فرقته بالإسماعيلية، ولذلك يقول الدكتور برنارد لويس:

---

(١) طائفة الإسماعيلية، للدكتور محمد كامل حسين ص ١٢، ١٣.

(٢) المرجع السابق ص ١٣.

(٣) كان المبارك مولى لإسماعيل بن جعفر، وقيل: كان مولى لإسماعيل بن عبد الله بن عباس، وهو كوفي، ومحمد بن إسماعيل الذي دعا له قال المبارك: إن النص لا يرجع القهقرى، والفائدة في النص بقاء الإمامة في أولاد المنصوص عليه دون غيره. انظر هامش فرق الشيعة ص ٧٩.

«أنشأ أبو الخطاب وإسماعيل -متعاونين على ما يحتمل - نظام عقيدة صارت أساسا للمذهب الإسماعيلي فيما بعد، وسعيا كذلك إلى خلق فرقة شيعية ثورية لتجمع كل الفرق الشيعية الصغرى على إمامة إسماعيل وجعفر فرقًا كثيرة ذات أفكار متضاربة ورؤساء متخاصمين. ثم التفت هذه الفرق حول محمد بن إسماعيل واستطاع هذا أن يؤلف منها - بفضل مؤازرين مخلصين لا سيما المبارك وعبد الله بن ميمون القداح - حركة واحدة جعلها من أتباع إسماعيل، وفيهم القسم الأكبر من الخطابية الذين اقتبست عقائدهم بشيء من التحوير، وحول محمد بن إسماعيل نشأت الحركة الإسماعيلية المعروفة في التاريخ»[١].

ولما انتقلت الإمامة من إسماعيل إلى ابنه محمد فهو الإمام بعد إسماعيل عند الإسماعيلية، وهو أول إمام من سلسلة الأئمة الذين اختفوا وتستروا من أعين الخلفاء العباسيين خوفًا منهم؛ ولذلك يطلقون على هذه المرحلة الزمنية «دور الستر» إلى ظهور إمامهم عبيد الله المهدي سنة ٢٩٦ هـ، الذي أسس دولة الفاطميين في المغرب.

وحول تاريخ الإسماعيلية وعدد أئمتهم في هذا الدور اختلف كثيراً مؤرخوا وكتاب الإسماعيلية، ومن ثم لم يعتن كثيراً كتاب أهل السنة بذكر هذا الدور باهتمام، لانعدام وسائل اليقين والتثبت مع عقيدة التقية التي يعتنقها القوم، وأي حقيقة تدرك مع هذا المعتقد والثابت يصير منفيا، والعكس كل ذلك على سبيل التقية. «فإن الشيعة عامة والإسماعيلية بوجه خاص اتخذوا التقية مذهبًا من مذاهبهم، ويروون عن الإمام جعفر الصادق أنه قال: التقية ديني ودين آبائي، ومن لا تقية له فلا دين له، فكانت هذه التقية سببا في غموض تاريخهم واختلاف المؤرخين واضطرابهم فيما كتبوا»[٢].

---

(١) أصول الإسماعيلية، للدكتور برنارد لويس، تعريب: خليل أحمد جلو، جاسم محمد الرجب ص ١١٥، ١١٦، طبع بدار الكتاب العربي بمصر.

(٢) طائفة الإسماعيلية، للدكتور محمد كامل حسين ص ١٩.

ومع هذا الغموض والاختلاف يزعم الدكتور عارف تامر أن «المصادر الإسماعيلية تجمع على القول بأن محمد بن إسماعيل هذا هاجر من المدينة إلى الكوفة، ثم إلى فارس، وعند ما اشتدت ملاحقة العباسيين ومطاردتهم لجأ إلى بلدة "تدمر" السورية، وأقام فيها باسم مستعار، وامتهن طبابة العيون، أي القداح . . . ويعتبر هذا الإمام مؤسس دور الستر في بلدة سلمية الذي يعود إليه قيام الدولة الفاطمية في المغرب.

وبعد وفاته في تدمر تسلم ولده عبد اللّه شؤون الإمامة، فانتقل إلى بلدة سلمية - السورية، وأقام فيها متسترا بنشردعوته بحذر شديد . . .

بعد عبد اللّه تسلم الإمامة ابنه أحمد، وفي عهده ظهرت الحركة الإسماعيلية بقوتها التنظيمية ومخططاتها السرية في كل مكان . . . وبعد أحمد تسلمها ولده الحسين الذي تلقب بالأهوازي . . . وبعد وفاة الحسين تسلمها ولده علي المعل، ولكنه مات في سن مبكر تاركا ولداً صغيراً هو القائم بأمر اللّه، فعهدت الإسماعيلية إلى ابن عمه عبيد اللّه المهدي أو سعيد الخير[١] بأمر الوصاية عليه وكفالته بعد أن منحوه لقب إمام مستودع، فقام بدوره خير قيام، وعندما انشقت القرامطة[٢] وخرجت عليه وازداد ضغط العباسيين اضطر إلى الهجرة فغادر سلمية إلى المغرب وأقام دولته الفاطمية، وبعد أن رسخ أقدامها وعززدعائمها سلم الإمامة إلى صاحبها الأصيل القائم بأمر اللّه، دون أن يفكر بإسنادها إلى أحد أولاده وكان متيسراً له ذلك»[٣].

---

(١) سعيد الخير: هو عبيد اللّه المهدي. انظر أصول الإسماعيلية، للدكتور برنارد لويس ص ١٢٥.

(٢) القرامطة: من الباطنية، وهي نسبة إلى حمدان قرمط، وأصله من خوزستان، عرف في سواد الكوفة سنة ٢٥٨هـ، فكان يظهر الزهد والتقشف، واستمال إليه بعض الناس، فأراهم كتابا فيه كثير من كلمات الكفر والتحليل والتحريم، وكثر أتباعه، منهم زكرويه بن مهرويه، وأبو سعيد الجنابي في القطيف والبحرين، وعلي بن الفضل في اليمن، وأخيراً قبض عليه عامل الرحبة سنة ٢٩٣هـ، وقتله المكتفي باللّه العباسي. انظر الأعلام للزركلي ٥/ ١٩٤.

(٣) انظر الخليفة الفاطمي الخامس العزيز باللّه، للدكتور عارف تامر، ص ١١١، ١١٢، ١١٣.

ومنذ قيام الدولة الفاطمية في المغرب وظهور الإسماعيلية بقوة وشوكة بدأ دور جديد هو دور الظهور عندهم، وكما مر أن أول إمام لهذا الدور هو عبيدالله المهدي، واتضح بنص الدكتور عارف تامر أن الإمامة تنقلت من محمد ابن إسماعيل إلى عبيد الله المهدي في بطون أهل البيت، إلا أنه في نسب عبيدالله وكونه من أهل البيت، وكذلك في أنساب بقية الأئمة المستورين يوجد لدى المؤرخين والكتاب شكوك وخلافات كثيرة، فرأى كثير منهم أن عبيد الله المهدي ينحدر من نسل ميمون القداح، جاء في "الفهرست" أن ميمون القداح وابنه عبد الله كانا من الديصانين[1]، ولهما علاقة بأتباع أبي الخطاب، وعبدالله ادعى النبوة لنفسه، وكان يظهر الشعابيذ وتجول في البلاد، وجعل بعض الناس أتباعه، ومنهم حمدان قرمط، وكون منهم دعاة بثهم في أرجاء البلاد، يقول: «ثم مات عبد الله فخلفه ابنه محمد بن عبد الله، ثم مات محمد فاختلفت دعاتهم وأهل نحلتهم فزعم بعضهم أن أخاه أحمد بن عبد الله خلفه، وزعم آخرون أن الذي خلفه ولد له يسمى أحمد أيضًا، ويلقب بأبي الشلعلع، ثم قام بالدعوة بعد ذلك سعيد بن الحسين بن عبد الله بن ميمون، وكان الحسين مات في حياة أبيه، ومن قبل سعيد انتشرت الدعوة في بني العليص[2] الكلبيين، ولم يزل عبد الله وولده بعد خروجهم من البصرة يدعون أنهم من ولد عقيل،

---

(١) الديصانية من الثنوية المجوسية، وإنما سمي صاحبهم بديصان باسم نهر ولد عليه. وهو قبل ماني، والمذهبان قريب بعضها من بعض، وإنما بينهما خلف في اختلاط النور بالظلمة، فإن الديصانية اختلفت في ذلك على فرقتين: فرقة زعمت أن النور خالط الظلمة باختيار منه، ليصلحها فلما حصل فيها ورام الخروج عنها امتنع ذلك عليه، وفرقة زعمت أن النور أراد أن يرفع الظلمة عنه لما أحس بخشونتها ونتنها شابكها بغير اختياره، وزعم ابن ديصان أن النور جنس واحد، والظلمة جنس واحد . . . وأصحاب ابن ديصان بنواحي البطائح كانوا قديمًا، وبالصين وخراسان أمم منهم متفرقون. انظرالفهرست لابن النديم ص ٤٠٢ .

(٢) هم من بني كلب بن وبرة. انظر الأعلام، ٥/ ١٩٤ .

وكانوا قد أحكموا النسب بالبصرة، فمن عبد الله انتشرت الدعوة في الأرض . . . ثم خرج سعيد إلى مصر فادعى أنه علوي فاطمي وتسمى بعبيدالله»[١] .

وعلى ذلك يقول المقريزي: «فعبيد الله - الملقب بالمهدي- هو سعيد بن الحسن بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح بن ديصان الثنوي الأهوازي، أصلهم من المجوس»[٢] .

ويقول البغدادي حيث يذكر مكايد ميمون القداح: « . . . ثم رحل ميمون بن ديصان إلى ناحية المغرب، وانتسب في تلك الناحية إلى عقيل بن أبي طالب، وزعم أنه من نسله فلما دخل في دعوته قوم من غلاة الرفض والحلولية منهم ادعى أنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، فقبل الأغبياء ذلك منه على جهل منهم بأن محمد بن إسماعيل بن جعفر مات ولم يعقب عند علماء الأنساب»[٣] .

فيدل ما رواه ابن النديم والمقريزي والبغدادي على أن عبيد الله المهدي، وكذلك بقية الأئمة المستورين بعد محمد بن إسماعيل لم يكونوا من سلالة أهل البيت، بل كانوا من أبناء ميمون القداح الخبيث الماكر الذي دبر الكيد للإسلام .

ويذهب فريق من علماء الإسماعيليين في بيان نسب الأئمة المستورين لوجه آخر، وهو التبني الروحي بمعنى أنه لا يقوم على أساس النسب الجسماني -ولد بعد والد - بل يقوم على أساس العلاقة الروحانية، كما هي بين التلميذ والمعلم «وتوجد مثل هذه الأفكار في كتب إسماعيلية مختلفة، فنصير الدين

---

(١) انظر الفهرست لابن النديم ص ٢٣٨ .

(٢) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: د/ جمال الدين الشبال ص ٢٨، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م .

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي، ص ٢٨٢ .

الطوسي يقول: ذرية الإمام على أربعة أنواع: روحانية أو در معنى مثل: سلمان الفارسي، وجسمانية أو بالشكل مثل المستعلى، وروحانية وجسمانية معا مثل: الحسن إمام الشيعة الثاني، وجسمانية وروحانية ودر حقيقة مثل: الإمام الحسين، والواضح أن النوع الأول يسوغ تبني شخص ليس من سلالة علي دما، فيكون علويا فخريا أو وارثا حقيقيًا»[١].

وبناء على هذه القاعدة ذهب ماسينون[٢] إلى تطبيقها على الأئمة الفاطميين «فجعل عبد الله بن ميمون هو المتبني أو الابن الروحاني لمحمد بن إسماعيل؛ ولذلك يكون السلف الجسماني لسلالة الخلفاء الفاطميين جميعًا أخلاف عبد الله بن ميمون نسبًا»[٣].

وملخص ما توحي إليه هذه الآراء أن الإسماعيلية فرقة نشأت على أيدي ماكرة دبرت لإطفاء نور الإسلام، ومن أبرزها أبو الخطاب الأسدي، والمبارك، وميمون القداح وابنه، وكلهم تعاونوا على هذا الإثم والعدوان.

ثم انقسمت الإسماعيلية إلى قسمين: المستعلية[٤]،

---

(١) أصول الإسماعيلية، للدكتور برنارد لويس ص ١١٩، ١٢٠.

(٢) مستشرق فرنسي، ولد سنة ١٨٨٣م، ولما نال دبلوم اللغة العربية فصحى وعامية ألحق بالمعهد الفرنسي في القاهرة، فعنى بالآثار الإسلامية، وقام برحلات إلى دول عربية، وحصل على الدكتوراة، وتولى تحرير مجلة العالم الإسلامي، ومجلة الدراسات الإسلامية، وتوفى سنة ١٩٦٢م. انظر المتشرقون، لنجيب العقيقي، ١/ ٢٨٧ - ٢٨٩.

(٣) أصول الإسماعيلية، للدكتور برنارد لويس ص ١٢٥.

(٤) المستعلية: هؤلاء هم إسماعيلية مصر واليمن وبعض بلاد الشام الذين ساروا وراء المستعلي بن المستنصر، والذي ما لبث أن مات سنة ٤٩٥هـ، فخلفه الآمر بأحكام الله وعمره خمس سنوات، غير أنه قتل بعد ما بلغ العشرين من عمره على يد أحد أتباع الحسن بن الصباح الموالي للفرقة الثانية (النزارية)، وذلك سنة ٥٢٤ هـ. انظر الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص٧١.

والنزارية[١]، ومنهما إلى البهرة[٢]، والآغاخانية[٣].

وبدأ هذا الانشقاق في عهد الإمام الفاطمي المستنصر[٤] بالله الذي تولى الإمامة سنة ٤٢٧هـ، ونص على أن يتولى الإمامة بعده ابنه نزار[٥]، ولكن

---

(١) النزارية: تكونت الإسماعيلية النزارية على يد الحسن بن الصباح، الذي صار أحد دعاة الإسماعيلية، وذهب إلى مصر في عهد المستنصر بالله، وعلم منه أمره باستخلاف ابنه نزار، ثم عاد إلى فارس، ولما علم بما أحدثه الوزير الأفضل بن بدر الجمالي، وتحويله الإمامة إلى المستعلي بدلا من نزار، انتصر الحسن لنزار وأصبح يدعو له ولأبنائه، وجعل من نفسه نائبا للإمام المستور من ولد نزار، وهم الذين عرفوا بالحشاشين؛ لأنهم كانوا يكثرون من تدخين الحشيش. انظر دراسة عن الفرق للدكتور أحمد محمد جلي ص ٣٠٠، ٣٠١، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، للندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ص ٤٧، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م.

(٢) البهرة: هم من الإسماعيلية المستعلية، يعترفون بالإمام المستعلى، ومن بعده الآمر ثم ابنه الطيب؛ ولذا يسمون بالطيبية، وهم إسماعيلية الهند واليمن، تركوا السياسة وعملوا بالتجارة فوصلوا إلى الهند، واختلط بهم الهندوس الذين أسلموا وعرفوا بالبهرة، والبهرة لفظ هندي قديم بمعنى التاجر. وانقسمت البهرة إلى فرقتين:

١- الداودية: نسبة إلى الداعي قطب شاه داود، وهم في الهند وباكستان منذ القرن العاشر الهجري، وداعيتهم في بومباى.

٢- السليمانية: نسبة إلى الداعي سليمان بن الحسن، وهؤلاء مركزهم في اليمن حتى اليوم. انظر الموسوعة الميسرة ص ٤٨.

(٣) الآغاخانية: ظهرت هذه الفرقة في إيران في الثلث الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، ودعاتهم هم: ١- حسن علي شاه، وهو الآغاخان الأول الذي مات سنة ١٨٨١م.

٢- أغا علي شاه، وهو الآغا خان الثاني الذي مات ١٨٨٥م.

٣- ويليه ابن محمد الحسيني، وهوالآغاخان الثالث الذي مات سنة ١٩٥٧م.

٤- كريم، وهو الآغاخان الرابع من سنة ١٩٥٧م، وما يزال حتى الآن، وقد درس في إحدى الجامعات الأمريكية. انظر الموسوعة الميسرة ص ٤٩.

(٤) المستنصر بالله: هو معد بن علي (الظاهر لإعزاز دين الله) بن الحاكم بأمر الله، من خلفاء الدولة الفاطمية العبيدية بمصر، ولد سنة ٤٢٠ هـ، وتوفى سنة ٤٨٧هـ. انظر الأعلام ٧/ ٢٦٦.

(٥) نزار: هو الملقب بالمصطفى لدين الله بن المستنصر بن علي الفاطمي العبيدي، رأس النزارية من الإسماعيلية. ولد في القاهرة سنة ٤٣٧هـ، وولي العهد بالإمامة سنة ٤٨٠هـ، وأراد القيام بها بعد وفاة أبيه فأبعده عنها الأفضل، فقصد نزار الأسكندرية، فبايعه أهلها وأتته بيعة قلاع الإسماعيلية وطوائف أخرى فحصرها الأفضل فحدثت وقائع انتهت بفوز الأفضل، فحمل نزار إلى المستعلى فبنى عليه حائطًا إلى أن مات سنة ٤٩٠هـ. انظر الأعلام ٨/ ١٦.

الوزير الأفضل[١] بن بدر الجمالي انتهز فرصة وفاة المتسنصر بالله سنة ٤٨٧هـ، وأعلن إمامة المستعلي[٢] بن المستنصر، وقبض على نزار وابنه وقضى عليهما، ثم حدث أكثر نشاطاتهم في اليمن، ومنهم تفرع "البهرة" الذين أكبر عددهم في الهند، ويعرفون بزي خاص لهم واشتغالهم بالتجارة، وهناك عدد كبير من أتباع الإسماعيلية أبوا أن يبايعوا المستعلي، ونادوا بإمامة نزار وأبنائه فهم الإسماعيلية النزارية، وإلى هذا دعا الحسن[٣] بن الصباح الذي كان له دور بارز ونشاط واسع بحيل الاغتيال والإرهاب في تقوية الإسماعيلية النزارية وإقامة دولة قوية لهم، ومنهم تفرع الآغا خانية الذين انتشروا في الهند وأخيرا في الباكستان وبعض بلاد شرق أفريقيا[٤].

ولهم عقائد تختلف عن عقائد أهل السنة جوهريا في ذات الله وتوحيده والنبوات والمعاد مما سأذكر في حينه إن شاء الله.

---

(١) الأفضل الجمالي: هو أحمد بن بدر الجمالي، أبوالقاسم شاهنشاه الملقب بالملك الأفضل، وزير، مولده بعكاسنة ٤٥٨هـ، أرمني الأصل، خلف أباه في إمارة الجيوش المصرية، وطد دعائم الملك للآمر بأحكام الله العبيدي، ودبر شؤون دولته فنقم عليه الآمر أمراً فدس له من قتله على تعربة من داره في القاهرة سنة ٥١٥هـ. انظر الأعلام ١/ ١٠٣.

(٢) المستعلي: هو أحمد بن معد بن الظاهر علي بن منصور، أبو القاسم المستعلي بالله، من ملوك دولة الفاطمية بالمغرب ومصر، بويع بالخلافة في مصر سنة ٤٨٧هـ، بعد وفاة أبيه المستنصر، وتوفى في القاهرة سنة ٤٩٥هـ. انظر الأعلام ١/ ٢٥٩.

(٣) الحسن بن الصباح: هو صاحب الدعوة النزارية، وجد أصحاب قلعة الموت، أصله من مرو، وقد أكثر التجول ما بين مصر إلى بلد كاشغر يغوي الخلق ويضل الجهلة، ويدعو إلى المستنصر، ثم استولى على قلعة الموت من نواحي قزوين، وطرد صاحبها سنة ٤٨٣هـ، واستقر إلى أن توفى فيها سنة ٥١٨هـ. انظر ميزان الاعتدال للذهبي ١/ ٥٠٠، ٥٠١، والأعلام ٢/ ١٩٣.

(٤) انظر طائفة الإسماعيلية للدكتور محمد كامل حسين، ص ٤١، ٤٢، وكذلك من كتابه الفصل الثالث من ص ٤٦، والفصل الرابع من ص ٦٢ إلى آخر الفصل بتصرف.

عقائد الإسماعيلية:

أدركنا فيما سبق أن الشيعة الإسماعيلية ساهم في تكوينها وإنشائها رجال لم يكونوا على درجة الصلاح والتقوى، بل كانوا ممن يرمون بالغلو والفسق ونشر الفساد، وذلك لما نهجوا تطبيق المخطط الذي خططه أولهم، وهو عبدالله ابن سبأ، فاجتمعوا على مائدة الإسماعيلية من جهات متعددة حاملين الهدف الواحد، وهو القضاء على الإسلام، ومن ثم أدخلوا كثيراً من العقائد الأجنبية في الإسلام، وحاولوا اصطباغها بالصبغة الإسلامية.

ومن هنا نرى عقيدتهم في ذات الله عقيدة تعطيل حيث قالوا فيه: «إنا لانقول هو موجود ولا لا موجود، ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز، وكذلك في جميع الصفات، فإن الإثبات الحقيقي يقتضي شركة بينه وبين سائر الموجودات في الجهة التي اطلعتنا عليه، وذلك تشبيه، فلم يمكن الحكم بالإثبات المطلق والنفي المطلق»[1] فهم من المعطلة الذين أنكروا صفات الله تعالى.

ثم قالوا بوجود أصلين: «العقل، قالوا: وهو أول خلق ظهر من أمر الله تعالى وسمى العقل؛ لأنه لما تجرد - المبدع - عن سمات المربوبين، وتعرى عن صفات المخلوقين، ولم يوجد الباري تعالى في أول الخلقة غير العقل فحصر في جوهره صور المبدعات كلها كي لا يذهب شيء منها ... ويقال للعقل "السابق" ومعناه أنه أسبق لقبول آثار الكلمة قبل سائر الحدود لقربه منها واتحادها به ... ثم النفس فإنها الخلق الثاني المنبجس من الخلق الأول ... ويقال للعقل والنفس بكلمة واحدة "الأصلان"، ومعناه: أن العقل والنفس مرجع الأشياء سواء أكان روحانيا أو جسمانيا فلا يتعريان عنهما، ولا يكتفي

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٢٠٣.

بأحدهما دون الآخر.[١]

وبهذا يظهر أن العقل بواسطة النفس خلق العالم كله عندهم، فإذًا لا حاجة إلى الله بعد وجودهما، ومن هنا قال بعض العلماء: «أنهم قائلون بإلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان، إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني»[٢].

وهذا من مقولات المجوس الذين قالوا بإلهين - أصلين -.

وإذا كان العقل والنفس عندهم بمثابة الخالق فكأنهم شبهوا المخلوق بالخالق، فصاروا من المعطلة والمشبهة.

وأما عقيدتهم في النبوة والرسالة فيقول الداعي الإسماعيلي أبو يعقوب السجستاني: «إن الرسالة منة من منن الله تعالى ذكره معلقة بالنفس الكلية التي هي مجمع الكلام، والأنفس الجزئية المستعدة لقبول العلم تصعد بلطافتها وصفائها زمانا بعد زمان لتبلغ إلى تلك المنة فيتعذر عليها سلوكها إلا أنها قد ذللت بعض المسالك، فإذا بلغ الأمر زمان المصطفى سهل عليه سلوكه وبلوغه إلى قبول تلك المنة مما تقدمه من سلوك الأنفس الجزئيات من الأزمنة الماضية، فإذا تمرنت نفسه على قبولها والاستنارة منها، تحرك بها جده، فلا يزال بصحبه الوقت بعد الوقت ولا يزال ينزل على قلبه من الإفادات العلمية التي فيها مصلحة دوره وتمام شريعته»[٣].

ومن هذا النص يظهر أن النبوة عندهم ليست من اختيار واصطفاء الله شخصًا يتهيأ فيه الصلاح والتقوى، وإنما هي من فيض النفس الكلية على نفس

---

(١) انظر رسالة تحفة المستجيبين، لأبي يعقوب السجستاني ص ١٣، ١٤، ١٥، وهي مطبوعة ضمن كتاب "ثلاث رسائل إسماعيلية"، تحقيق: عارف تامر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

(٢) فضائح الباطنية للغزالي، ص ٣٨، وتلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١٢٥.

(٣) كتاب الافتخار لأبي يعقوب السجستاني، تحقيق: د/ مصطفى غالب، ص ٨٤، ٨٥.

من الأنفس الجزئية التي تصعد لنيلها، فكأن المسابقة جرت بين الأنفس الجزئية للبلوغ إلى منزلتها. وهذا المذهب استعاروه من الفلاسفة، يقول الغزالي: «والمنقول عنهم قريب من مذهب الفلاسفة، وهو أن النبي عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق - بواسطة التالي - قوة قدسية صافية مهيأة لأن تتنقش - عند الاتصال بالنفس الكلية بما فيها من الجزئيات»[1]. وأطلقوا على الرسول "الناطق" كذلك.

وأما الإمامة فهي ركن أساسي عندهم كما هي عند بقية الشيعة، إلا أنهم جعلوا الإمامة جزءا من الرسالة، وعلى ذلك يمكن إطلاق الرسالة على الأئمة عندهم فقالوا: «إن الأئمة والأوصياء هم أجزاء النطقاء وجوارحهم وأعضاؤهم التي بها تتم أحوالهم، ويجوز أن يسمى الجزء باسم الكل إذا أعطى الجزء من نفسه بعض ما يعطيه الكل»[2].

ولما كانت الإمامة عند الإسماعيلية بمثابة النبوة فقالت بالعالم العلوي، ويقابله العالم السفلي، وشخص توفر فيه الكمال وفاض عليه العالم العلوي فهو يصير ناطقًا ونبيا، يصور الشهرستاني عقيدتهم هذه: « . . . وكان نوع الإنسان متميزا عن سائر الموجودات بالاستعداد الخاص بفيض تلك الأنوار، وكان عالمه في مقابلة العالم كله، وفي العالم العلوي عقل ونفس كلي، وجب أن يكون في هذا العالم عقل مشخص، هو كل، وحكمه حكم الشخص الكامل البالغ ويسمونه الناطق، وهو النبي، ونفس مشخصة هو كل أيضًا، وحكمها حكم الطفل الناقص المتوجه إلى الكمال، أو حكم النطفة المتوجهة إلى التمام، أو حكم الأنثى المزدوج بالذكر، ويسمونه الأساس، وهو الوصي، قالوا: وكما تحركت الأفلاك بتحريك النفس والعقل والطبائع، كذلك تحركت

---

(١) فضائح الباطنية ص ٤٠.

(٢) كتاب الافتخار، لأبي يعقوب السجستاني ص ٦٢.

النفوس والأشخاص بالشرائع بتحريك النبي والوصي، في كل زمان، دائرًا على سبعة سبعة حتى ينتهي إلى الدور الأخير»[١].

وعلى ذلك «زعموا أن جميع الأنبياء لم يأخذوا التأييد، ولا اتصل بهم الوحي إلا عن طريق الحدود الروحانية، وهي: (الجد، والفتح، الخيال)، فالسابق يوحي إلى التالي، الذي يوحي بدوره إلى الجد، وهو -إسرافيل- فيبلغه إلى الفتح، وهو - ميكائيل-، الذي أبلغه إلى الخيال - جبرائيل - فيوحيه جبرائيل إلى الناطق الحي الذي يكون يمثل في دوره دور السابق»[٢].

ويتضح مما سبق أن الإسماعيليين لا يقرون بالنبوة والرسالة، كما هي مفهومة وثابتة عند المسلمين، وعلى ذلك يؤولون كل الآيات التي تدل على معجزات الأنبياء. «فأولوا ماجاء عن إبراهيم الخليل عليه السلام في القرآن الكريم: ﴿ **فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أحب الآفلين، فلما رأى القمر بازغًا قال هذا ربي، فلما أفل قال لإن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر، فلما أفلت قَالَ يَاقَوْمِ إِنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ** ﴾[٣] فالكواكب المذكورة في الآيات الكريمة هم الدعاة الذين أخذ عنهم إبراهيم علوم الدعوة الإسماعيلية، حتى انتهى ما عندهم فاتجه إلى الأخذ عن حجة النبي الذي كان قبله، فلما أتى على جميع ما عنده من العلوم طلب العلم عن النبي نفسه حتى هيأه النبي أن يحل محله بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى. ومن أمثلة ذلك أيضًا: أن ثعبان موسى معناه عندهم حجته، ومعنى أن المسيح لا أب له أنه لم يأخذ العلم عن إمام،

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ص ٢٠٣.

(٢) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي للدكتور محمد الخطيب ص ٩٦، نقلا عن كنز الولد للحامدي - من تعليقات المحقق ص ٧٦، والثائر الحميري الحسن الصباح، لمصطفى غالب، ص ١١٨، وتاريخ الدعوة الإسماعيلية لمصطفى غالب ص ٥٤.

(٣) الأنعام، الآية: ٧٦ - ٧٨.

وأن إحياءه الموتى إشارة إلى علمه الذي يهدي به، ونبع الماء بين أصابع النبي صلى الله عليه وسلم إشارة إلى كثرة علمه»[١].

يقول الدكتور محمد الخطيب تعليقًا على منهج الإسماعيلية في باب النبوة وتأويلها آيات معجزات الأنبياء: «ولعل تأويلات الإسماعيلية عن قصص الأنبياء ومعجزاتهم تجعلنا نتفهم قول علمائنا عنهم، أنهم يبطلون المعجزات، وينكرون النبوات، فالإسماعيلية في مزاعمها السابقة، يكذبون بتأويلاتهم المتوية[٢] للقرآن الكريم في قصصه عن الأنبياء، وبالتالي يجردون الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من كل معجزة مادية ظاهرة ظهرت عنهم؛ لأن التأويل الذي يقولون به ما هو إلا بدعة تحايلوها للتستر على حقيقة اعتقاداتهم الإلحادية»[٣].

وعليه فإن الإسماعيلية تبطل النبوات، وتنكر المعجزات، وما يوهم غير ذلك من إطلاقات عندهم فإنما للتمويه والمشاكلة والتدليس على العوام، فهم لايقرون بالنبوة ولا بالمعجزة كما يفهمهما المسلمون خلفًا عن سلف.

وأما بالنسبة للحدود عند الإسماعيليين فيؤمنون بحدود عشرة، خمسة علوية، ويقابلها خمسة سفلية، ينسبون بناءها إلى الله عزوجل، يقولون كما يوضح ذلك الدكتور محمد الخطيب: «إن الله سبحانه وتعالى المنزه عن الأسماء والصفات، أقام العالمين العلوي والسفلي بعشرة حدود كاملة: خمسة حدود روحانية، وخمسة حدود جسمانية، فالحدود الجسمانية أو الأرضية هم: النبي والوحي والإمام والحجة والداعي، يقابل كلا منهم في العالم العلوي السابق

---

(١) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، ص ٩٨، نقلا عن طائفة الإسماعيلية، للدكتور محمد كامل حسين ص ١٦٧، ١٦٨، والإفحام لأفئدة الباطنية الطغام، ليحيى العلوي ص ٢٠.

(٢) هكذا في الكتاب وأظن أن الصحيح الملتوية.

(٣) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، ص ٩٩، وانظر أصول الإسماعيلية - رسالة الدكتوراه- للدكتور سليمان سلومي ص ٧٣١.

والتالي والجد والفتح والخيال، وقد استدلوا في ذلك إلى تاويل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾[1] فزعموا أن المقصود بـ(الوحي) في الآية الكريمة هو رتبة (الجد) وأما (الحجاب) فهو رتبة (الفتح) (ويرسل رسولاً) رتبة(الخيال)[2]

ثم قالوا في الإمامة أن لها ادواراً تاريخية ، فهي منذ آدم عليه السلام إلى وقتنا سارية ومستمرة ، وكل ذلك على شكل دوري ثابت فقالوا : « فأول أدوار النطقاء دور آدم عليه السلام وقد أسند الوصية إلى ابنه شيث عليه السلام ، وتم دوره ستة بستة من الأئمة حتى بلغ الأمر في آخر الدور إلى الإمام السابع ، فارتقى من حد الإمامية الى حد الناطقية، وهو نوح عليه السلام ، فأقام الرسالة والرئاسة للدور الثاني وأسند الوصية الى ولده سام عليه السلام ، وأتم دوره ستة بستة من الأئمة إلى أن بلغ الأمر في آخر دور السابع إلى الإمام السابع • فارتقى من حد الإمامية وهوإبراهيم عليه السلام، فأقام الرسالة والرئاسة للدور الثالث ، وأسند الوصية الى ولده إسماعيل عليه السلام ••• إلى أن جاء الدور السادس وفيه محمد صلى الله عليه وسلم •• وأقام الرسالة والرئاسة لتمام الدور السادس وأسند الوصية إلى ابن عمه علي بن أبي طالب • فبدأ دوره ستة بستة من الأئمة، وهم: علي، الحسين، علي زين العابدين، محمد الباقر، جعفر الصادق، إسماعيل . . . فلما بلغ الأمر إلى الإمام السابع وهو محمد بن إسماعيل ارتقى من مرتبة القائمية، وجعل الوعد إلى شروق الأمر، وأن يستخلف بعده سبعة بسبعة من الخلفاء، وعند تمام العدد يكون البروز والنشور . . . »[3] .

---

(١) الشورى، الآية: ٥١ .

(٢) الحركات الباطنية للدكتور محمد الخطيب، ص ٨٩، نقلا عن الحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب ص ١١٧، ١١٨ .

(٣) رسالة تحفة المستجيبين، لأبي يعقوب السجستاني ص ١٧/ ١٨، وهي مطبوعة ضمن كتاب "ثلاث رسائل إسماعيلية" تحقيق: عارف تامر .

وكـذلك من أهـم عـقـائدهم أنهـم يؤولون الظواهر من القـرآن والسنة إلى معاني مستبعدة لم تكن بحال من الأحوال مما أراده الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وقد فعلوا ذلك لأنهم «لما عجزوا عن صرف الخلق عن القرآن والسنة صرفوهم عن المراد بهما إلى مخاريق زخرفوها واستفادوا - بما انتزعوه من نفوسهم من مقتضى الألفاظ - إبطال معاني الشرع، وبما زخرفوه من التأويلات تنفيذ انقيادهم للمبايعة والموالاة، وأنهم لو صرحو بالنفي المحض والتكذيب المجرد لم يحظوا بموالاة الموالين، وكانوا أول المقصودين المقتولين»[١].

يقول الدكتور محمد الخطيب: «وقد ذهب الإسماعيليون إلى أن لكل شيء (ظاهر محسوس) تأويلا باطنيا لا يعرفه إلا الراسخون في العلم وهم الأئمة، وهؤلاء الأئمة يودعون هذا العلم الباطن لكبار الدعاة بقدر معين»[٢].

وقد أشار الدكتور سليمان السلومي إلى بعض الأهداف التي يرمي إليها معتقد الإسماعيلية "التأويل الباطني"، ومنها:

١- إن الإمامة أصل من أصولهم، فمن دعواها ومن طريقها يشرح أئمتهم حسبما يهوون ويريدون؛ لأنهم هم أصحاب التأويل الذين يعرفون الباطن والأدلة؛ ولذا فهم يؤولون حسب أغراضهم ومعتقداتهم.

٢- الدخول إلى الناس من عدة وجوه للدعوة إلى مذهبهم، فمن كان مائلا إلى التحلل من العبادات والتكاليف أولوا له النصوص على الوجه الذي يستطيعون به جذبه إليهم، ومن كان مائلا إلى الشهوات فتحوا له باب الانغماس فيها، ومن كان مائلا إلى الزهد حملوه على العبادات»[٣].

فأولوا ما جاء من العقائد والشرائع، وعليه «أولوا القيامة وقالوا: إنها رمز

---

(١) فضائح الباطنية للغزالي ص ٥٥.

(٢) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص ١٣٠.

(٣) أصول الإسماعيلية للدكتور سليمان سلومي، ص ٦١٠، رسالة الدكتوراه.

إلى خروج الإمام وقيام قائم الزمان»[١] ، كما هو ظاهر من النص السابق، وأما الثواب عندهم فهو «سعادة تلحق الأنفس تنال بها الخيرات، وتعطيها الكرامات، وأول تلك السعادة سعة جوهر النفس بما اكتسبت من صفوة العلم ولطافته، وقدرتها على قبول ما يقابلها من أصباغ الروحانية»[٢] . وكذلك العقاب «فإنه شقوة تلحق الأنفس ويكون لها بها ضيق جوهر النفس وسقوطها عن نيل درجاتها ووقوعها في الدركات لسهوها وغفلتها عن عالمها النوراني، وتعلقها واغترارها بالأشياء الهيولانية الدنيئة التي تورثها الدنائة والضعفة»[٣] . ومعلوم أن هذا هو مذهب أفلاطون كما سبق.

وكذلك تأويلاتهم في الشرائع، فقالوا في الوضوء: «هو البراءة من الأضداد الذين ادعوا الإمامة»[٤] . وقالوا في الصلاة: «الصلاة عندنا على ولاية الأولياء الذين يجب على الخلق طاعتهم والاقتداء بهم»[٥] . وأما إخراج الزكاة عندهم فإنه «يجب على صاحب العلم إخراج نصيب مما فتح الله عليه من العلم إلى الجهال . . . ومن هنا قالوا: فصار الرسول زكاة الحدود الروحانية العلوية، والوصي زكاة الرسول، والأئمة زكاة الوصي . . . الخ»[٦] . وتأويل الصوم بالنهار والإفطار بالليل عندهم «الصمت بين أهل الظاهر، وكتمان الأسرار عنهم، ونشرها في أهل الحقائق»[٧] .

وأما الحج إلى بيت الله فأولوه على أن البيت هو «إمام الزمان المفترض الطاعة» وعلى ذلك «قصد الحج إنما هو تعريف النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) فضائح الباطنية ص ٤٤ .

(٢) كتاب الافتخار، لأبي يعقوب السجستاني ص ٩٢ .

(٣) كتاب الافتخار، لأبي يعقوب السجستاني ص ٩٦ .

(٤) المرجع السابق ص ١١٠ .

(٥) المرجع السابق ص ١١٦ .

(٦) المرجع السابق ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٧) المرجع السابق ص ١٢٦ .

الأمة مجارى دوره، وكمية عدد من يؤم به فيه من الأئمة»[1].

وعلى هذا المنوال تأولوا كل مـــا ورد في القـــرآن والسنة من الأحكام الشرعية. وكل هذا رفض وإنكار للعقائد والشرائع الإسلامية، فهم أصلا لايؤمنون بأركان الإسلام وشرائعه التي دلت عليها النصوص الدينية صراحة مما لا مجال فيه للتأويل، ومن هنا تجاهروا بعقائد نادى بها سلفهم من أعداء الإسلام والتي تناقض أركانه.

وهذا كله رافد أقوالهم الفاسدة في الجزاء الأخروي وما يتصل به، ومن ثم قولهم بالتناسخ على ما سيتضح بتوفيق اللّه تعالى.

التناسخ في الإسماعيلية:

ذهب فريق من الباحثين إلى أن الإسماعيلية لا تدين بالتناسخ. ومن هؤلاء الدكتور محمد كامل حسين، حيث يقول: «بعد أن وصلتنا كتب الدعوة الإسماعيلية السرية نقول: إن الإسماعيلية لا يدينون بالتناسخ، بل ذهبوا إلى أن الإنسان بعد موته يستحيل عنصره الترابي (جسمه) إلى ما يجانسه من تراب، وينتقل عنصره الروحاني (الروح) إلى الملأ الأعلى، فإن كان الإنسان في حياته مؤمنا بالإمام فهي تحشر في زمرة الصالحين وتصبح ملكا مدبرا، وإن كان شريراً عاصيا لإمامه حشرت مع الأبالسة والشياطين، وهم أعداء الإمام، وهذا هو عندهم تأويل الثواب والعقاب»[2].

بينما ذهب فريق آخر من الباحثين إلى ثبوت عقيدة التناسخ عند الإسماعيلية مستدلين بنصوصهم وأقوالهم، وهو الحق الذي شهدت به رسائلهم وكتبهم وبه قالت أئمتهم ودعاتهم وهذا هو البيان.

هناك نصوص صريحة وردت في إحدى رسائلهم توثق الرأى بأنهم

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٨.

(٢) طائفة الإسماعيلية، للدكتور كامل حسين ص ١٧٢.

يؤمنون بالتناسخ، تقول: «إن أهل الحق على ضربين:

أحدهما: أهل المعارف الحقيقية والعلوم الإلهية، والأعمال الصالحة، والموالاة لجميع الأئمة من ناطق الدور ووصيه، إلى إمام الزمان وحدوده، وهؤلاء هم الذين يكونون عند مفارقتهم لكثائفهم، الأعضاء الرئيسية من ذلك الهيكل النوراني الذي هو هيكل الإمام (عه) وقدر مبلغ كل واحد منهم في العلم والمعرفة والولاء يكون علوه في ذلك الهيكل النوراني، ويتلوهم أهل الولاء المحض والأعمال الصالحة في ذلك الهيكل، فيكون كل واحد منهم في موضعه الذي يستحقه هذه لطائفهم دون كثائفهم، فأما كثائفهم فتكون محفوظة في أعزعز، وأحرزحرز، وذلك أنها تعود إلى السحيق بعد مفارقة لطائفهم، ثم إلى المزاج والممتزج، ثم تعود إلى الأرض أمطاراً، ثم تلطف إلى أن تحلل بخاراً، ويصعد إلى فلك البروج في أماكنها، وينحدر ذلك من البروج إلى الأرض، ثم يصير تراباً سحيقاً، ثم ترتقي إلى أن تصير في القامة الألفية إنساناً، وذلك الصاعد الكائن خلفاً للمنحدر . . . فعند كمال هذه الأشخاص وبلوغها الحلم تدعي فتجيب ويؤخذ عليها العهد الكريم، وترتقي في الرتب الدينية والمعارف الحقيقية شيئاً بعد شيء من غير أن يدخلها شك، ولا يعرض لها شبهة، بل تكون جارية في مضمار الصعود، سالمة من العوائق والدواجن إلى أن يبلغ مالها أن تبلغه، وهو مبلغها الذي بلغته في أول وهلة عند كونها وظهورها بالجثة الإبداعية، لا قصورها عن ذلك المبلغ، ولا نفوذ لها عنه، بل لكل واحد بلوغ رتبته التي كانت، فالباب يعود باباً، والحجة يعود حجة، وداعي البلاغ يعود داعي بلاغ، والداعي المطلق يعود داعيا مطلقاً، والمحصور محصوراً، والمأذون المطلق مأذونا مطلقاً، والمحصور محصوراً، والمؤمن البالغ مؤمنا بالغاً، والمستجيب مستجيبا، وكل على حالته الأولى لايعدوها وإن بلغ في العلم فوق ما كان مبلغه قادماً فلا صعود له عن تلك الرتبة أبداً، ولا يزالون كذلك كلما صفت نفس، وصعدت إلى عالم الصفاء، انبعث في جسمها

المختلف نفس أخرى بتدبير المدبرات، ونظر من العناية الإلهية . . .

أما الضرب الثاني: فهم أهل الولاء المتعلقون بشيء من العلوم الدينية والحكم الإلهية، التاركون للعبادة الظاهرة . . . وأما أجسام هؤلاء فلا بلوغ لها إلى مبالغ أجسام أهل الضرب الأول، بل تبقى مرتهنة بتلك الأفعال القبيحة التي تعدت إليها، وأقدمت عليها من غير حلها، فيقتص منها بجميع ما أسلفته وفعلته من قليل وكثير ويسلك بها في شيء من صرط العذاب، ومطامير العقاب الأدنى، وتعرق بالنار المصفية إلى أن يكمل ما عليها من المظالم، واستونف بها العمل والترقي إلى أن تظهر إلى القامة الألفية من السحيق والمزاج والممتزج، ثم إلى الأغذية والنطف على ما سبق به القول، ثم تدعى فتجيب إلى حدها الذي بلغته أولا كما سبق به القول . . . ونريد أن نتبع ذلك الكلام على الأضداد وما ينتهون إليه من الكون والفساد، وما يصيرون إليه من العذاب وسوء العقاب . . . وأما أجسام هؤلاء الأضداد ونفوسهم، فإن نفس الواحد منهم عند موته تشيع في جسمه، ويصيران شيئا واحدا، ويستحيلان إلى التراب، ثم يصعدان بخارًا، ويعودان مطرًا، ويحدث من ذلك المطر البرقات المهلكات، والسيول المخربات، والبرد المضر . . . وينصبان إلى الأرض ويصيران نباتا وحيوانًا، فيغتذيه من يصلح له الاغتذاء به، ويستقبل بهما العذاب، وهي الأدراك السبعة، . . . فأولها درك الرجس، وهي قميص البشر، فيصير ذلك المغتذى به نطفة يرتقى إلى أن يخرج من بطن أمه جنينًا، في قميص من قمص الزنج والزنات والبربر والترك وغيرهم من الذين لا يصلحون لمخاطبة الحق، ولا ينهجون نهج الرشاد، ولا يزال ينتقل من قميص إلى قميص، إلى أن يستكمل في كل نوع من أنواع هذا الدرس سبعين قميصًا، ثم خرج بالمزاج والممتزج، إلى قمص الوكس، وهو الدرك الثاني المماثل للتركيب البشري، وهم القرود والدب والنسناس والغول والعذاء وأمثال ذلك، فيسلك به في كل نوع من هذه الأنواع سبعين قميصًا، إلى أن يستوفيها جميعها، وهو

في جميع هذه القمص الوكسة يتحقق أنه في حال العذاب . . . ثم يسلك به في قمص العكس، وهو الدرك الثالث، وهم سباع البر والبحر، كالأسود والأنمار والذئاب وأمثالهم من السباع البرية والبحرية، وعلى الجملة فكل ذي ناب ومخلب، بري وبحري، إلى أن يستكمل في كل نوع من هذه الأنواع سبعين قميصًا . . . ثم سلك به في قمص الحرس، وهو الدرك الرابع، وهم هوام البر والبحر كالأفاعي والحيات والعقارب وغيرهم مما يشاكلهم فينقمص في كل نوع من هذه الأنواع سبعين قميصًا إلى أن يستكمل جميع ذلك . . . ثم سلك به في الدرك الخامس، ويسمى النجس، وهم طير البر والبحر مما يشاكل ذوات الجوارح إلى أن يستوفى في كل نوع منها سبعين قميصًا . . . فإذا استوفى جميع هذه القمص سلك به بما هو في الدرك السادس ويسمى النكس، . . . وهو النبات المحظور، القاتل المهلك للحيوان إلى أن يستوفى في كل نوع من هذه الأنواع سبعين قميصًا، وسلك به في الدرك السابع الذي يسمى الركس، وهو المعدن السنج والحجر والوسخ الخبيث إلى أن يستوفى في كل نوع من هذه الأنواع سبعين قميصًا . . . ثم إنه يعمد بعد ذلك بأضداد المقامات الإلهية والرسل والأنبياء، فتنتفي إلى أرباع الأرض الخارجة من حد الاعتدال، التي هي غير مسكونة»[1].

يقول الدكتور محمد أحمد الخطيب معلقًا على هذا النص: «من هذا النص يظهر لنا أن الإسماعيلية يؤمنون بالتناسخ، فأرواح المؤمنين عند ما تموت وتمتزج بالهيكل النوراني تعود بعدها إلى الأرض بأجسام أخرى، وتدخل الدعوة من جديد إلى أن تصل إلى مرتبتها فيها قبل موتها، أما أرواح المعاندين

---

(١) الأنوار اللطيفة في فلسفة المبدأ والمعاد، للداعي الفاطمي طاهر بن إبراهيم الحارثي اليماني، ص ١٣١-١٣٥، ١٣٩، ١٤٠، وهذه الرسالة مطبوعة ضمن كتاب "الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والاثنى عشرية"، لمحمد حسن الأعظمي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠م.

فتدخل في أدوار متكررة من العذاب تتقمص في كل دور سبعين قميصًا، أولها الرجس، وهي قميص البشر الذين لا يصلحون للمخاطبة كالزنج والترك، وآخرها الوسخ وهو ظهوره في داخل المعدن والحجر»[١].

يقول أبو حامد الغزالي: «وقد اتفقوا عن آخرهم على إنكار القيامة، وأن هذا النظام المشاهد في الدنيا من تعاقب الليل والنهار، وحصول الإنسان من نطفة، والنطفة من إنسان، وتولد النبات، وتولد الحيوانات لا ينصرم أبدا الدهر، وأن السماوات والأرض لايتصور انعدام أجسامهما، وأولوا القيامة وقالوا: إنها رمز من خروج الإمام وقيام قائم الزمان، وهو السابع الناسخ للشرع، المغير للأمر . . . وأما المعاد فأنكروا ما ورد به الأنبياء ولم يثبتوا الحشر والنشر للأجساد، ولا الجنة والنار، ولكن قالوا: معنى المعاد عود كل شيء إلى أصله . . . فأما النفوس المنكوسة المغمورة في عالم الطبيعة المعرضة عن رشدها من الأئمة المعصومين فإنها تبقي أبد الدهر في النار على معنى أنها تبقي في العالم الجسماني تتناسخها الأبدان، فلا تزال تتعرض فيهاللألم والأسقام فلا تفارق جسدًا إلا ويتلقاها آخر»[٢].

يثبت مما سبق أن الإسماعيليين يؤمنون بالتناسخ، فأنكروا البعث، قالوا: «إذ لو بعث اللّه تعالى ذكره الميث كما أماته، وكما كان أيام حياته بأعضائه وأحواله وأركانه وهيئاته، أليس بواجب أن يلحقه ما كان يلحقه حينئذ؟ وإذا لحقه ذلك لحقه ما يتبعه من الأكل والشرب والنوم واللباس، وإذا تبعته هذه الأشياء تبعه الهرم والشيخوخة والمرض والموت والفناء، وإذا لزمته هذه الأشياء لم يكن للمثاب والمعاقب بقاء على حالتهما، وإذا ارتفع البقاء عن المثاب والمعاقب لم يكن الوعد والوعيد بالغين في القوة. والوعد والوعيد بالغان في

---

(١) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، للدكتور محمد أحمد الخطيب ص ١١٥.

(٢) فضائح الباطنية، لأبي حامد الغزالي ص ٤٤-٤٦.

القوة، فليس المثاب والمعاقب إذًا بفانيين، بل هما باقيان، وإذا لزم المثاب والمعاقب البقاء بعد عنهما الهرم والشيخوخة والمرض والموت، وإذا بعدت عنهما هذه الأشياء استغنينا عما يتقدمهما من الطعام والشراب واللباس والنوم، وإذا استغنينا عما يتقدمهما من الطعام والشراب واللباس والنوم لم يكن بعث الأموات إذا كما كانوا أيام حياتهم»[١].

ولما كانوا متسترين بالإسلام لا يستطيعون الجهر برد نصوصه عملوا على تأويلها، فأولوا معنى الجنة والنار بما يخرجهما عن المراد بهما في القرآن الكريم، فقالوا: «الجنة والنار لفظتان تقتضيان معنيين: أحدهما لأهل الثواب، والآخر لأهل العقاب، فنظرنا في كل واحد من هذين اللفظين مما يقتضيه في المعنى، فوجدنا الجنات تقع على اسم البستان الذي هو مزين بالأشجار المثمرة والرياحين الطيبة، والمياه الجارية؛ لكي يكون للحس فيها سكون وراحة ودعة. كذلك العلوم والفوائد العقلية والنفسية إنما هو بستان التمييز . . . وأما النار فإنها مستعملة في صلاح المعيشة وطبخ الأشياء النية، غير أنها تفسد الصور الطبيعية، وتجعلها مجهولة بحيث لا توقف على صورة ذي صورة، كذلك الشرائع الناموسية المعراة عن العلوم، مستعملة لإصلاح العالم الطبيعي وقوام الخلق بها، غير أن الاصطلاء بها والاستعمال بها يفسد الصورة اللطيفة، ويوقع الشبهة والالتباس . . . »[٢].

وعلى هذا فالثواب عندهم لا يكون باللذات الحسية، وإنما هو العلم، يقول: أبو يعقوب السجستاني: «لما كان قصارى الثواب إنما هي اللذة، وكانت اللذة الحسية منقطعة زائلة، وجب أن تكون التي ينالها المثاب أزلية غير فانية،

---

(١) كتاب الافتخار، لأبي يعقوب السجستاني ص ٨٦، تحقيق وتقديم: د/ مصطفى غالب، الطبعة الأولى، ١٩٨٠، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع.

(٢) الينابيع، لأبي يعقوب السجستاني ص ١٣٧، ١٣٨، تقديم وتحقيق مصطفى غالب، الطبعة الأولى ١٩٦٥م، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت.

باقية غير منقطعة. وليست لذة بسيطة على حالاتها غير لذة العلم، كان من هذا القول وجوب لذة العلم للمثاب في دار البقاء»[١].

فاتضح مما سبق أن الإسماعيلية تؤمن إيمانا جازمًا بعقيدة التناسخ، ومن ثم أنكروا القيامة والبعث والجنة والنار، وأولوا فيها تاويلا باطنيا.

وهم في هذا المذهب اتبعوا وأخذوا من جهات مختلفة، فيذهب الغزالي إلى أن مأخذهم في ذلك مذهب الفلاسفة، يقول بعد ذكر مذهبهم في المعاد والتناسخ: «فهذا مذهبهم في المعاد، وهو بعينه مذهب الفلاسفة»[٢].

ويقول الدكتور محمد أحمد الخطيب بعد ذكر نظرية الرجعة التي هي أصلها اليهودية، ومنهم انتقلت عن طريق عبد اللّه بن سبأ إلى أوساط الغلاة، يقول: «وهذا المعتقد مهد الطريق لأصحاب الفكر الباطني للقول بنظرية التناسخ، والمأخوذة أصلا من الفلسفة اليونانية والديانة الهندوكية، التي تزعم أن لكل الكائنات دورات متعاقبة لا نهاية لها»[٣].

وكما مر في الفصل الثاني أن الخطابية تؤمن بالحلول والتناسخ، وأبو الخطاب له أثر كبير في نشأة الإسماعيلية وعقائدها، فانتقلت إليها هذه العقيدة، ولا منافاة أنهم تأثروا بالفلاسفة كذلك في التناسخ، فالاتجاه الباطل والطغيان العقدي يجعل الاشتراك في العقائد لا محالاة.

وهذا شأن كل من اتحد في المنهج والعلة، فقد تأثروا بأسلافهم، وأخذوا عنهم أقوالهم، وتفرعوا عنها بم يخرجهم عن دائرة الإسلام لردهم نصوصه وإنكارهم معلومة بالضرورة، وخروجهم بها عن المراد منها.

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٥.

(٢) فضائح الباطنية، لأبي حامد الغزالي ص ٤٦.

(٣) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، للدكتور محمد أحمد الخطيب ص ٤٢.

المبحث الثاني أثر التناسخ في الدروز.

الدروز:

الدروز فرقة غالية تفرعت من الشيعة الإسماعيلية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهم من الإسماعيلية القائلين بأن محمد ابن إسماعيل نسخ شريعة محمد بن عبد الله»(١).

وذلك لأن الإسماعيلية الباطنية حين أسست الدولة العبيدية في المغرب بمحاولة وجهود عبيد الله المهدي «بدعوى أنه من نسل آل البيت، حيث استطاعت هذه الدولة أن توطد أركانها هناك، وتتطلع إلى فتح مصر، وتم لها ذلك على يد القائد الفاطمي جوهر(٢) الصقلي عام ٣٥٨هـ، في عهد المعز لدين الله الفاطمي، وبقي المعز على سدة الملك حتى توفى سنة ٣٦٥هـ، وخلفه ولده العزيز بالله الذي بقى في الملك إحدى وعشرين سنة حتى توفى عام ٣٨٦هـ، وهو في طريقه لمحاربة الخارجين على الدولة بالشام. فخلفه ولده وولي عهده أبو على منصور، لقب بالحاكم بأمر الله، وكان عمره آنذاك أحد عشر سنة، حيث عهد والده إلى ثلاثة من كبار رجال الدولة برعايته وتولى شؤون الدولة، وبقى الأمر كذلك حتى سنة ٣٩٠هـ، حينما استطاع الحاكم قتل أحد الأوصياء عليه، وتولى منذ ذلك الحين زمام الأمور هناك»(٣).

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٥/ ١٦٢.

(٢) هو: جوهر بن عبد الله الرومي، باني مدينة "القاهرة"، والجامع الأزهر، كان من موالي المعز العبيدي، وسيره من القيروان إلى مصر فدخلها سنة ٣٥٨هـ، وبعد ما جاء المعز إلى مصر حل محل جوهر، وصار جوهر من عظماء القواد في دولته، وما بعدها إلى أن توفى بالقاهرة سنة ٣٨١هـ. انظر الأعلام ٢/ ١٤٨.

(٣) عقيدة الدروز، لمحمد أحمد الخطيب ص ٢٩، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م، دار عالم الكتب، الرياض، نقلا عن أخبار الدول وآثار الأول للكرماني ص ١٨٩ - ١٩١، وكذلك سمط النجوم العوالي للعصامي المكي ٣/ ٤١٤، ٤١٥، ٤٢٤.

والحاكم بأمر الله شخصيته محور طائفة الدروز ومنشؤها، وعرفنا أنه أحد خلفاء الإسماعيلية فثبت أن الدروز امتداد للإسماعيلية الباطنية .

إلا أن الدروز يرجعون أصول مذهبهم إلى الديانات والفلسفات القديمة، يقول أحد زعمائهم المعاصرين كمال جنبلاط : «وفي رأينا أنه لا يمكن النظر إلى مسلك التوحيد منفصلا ومستقلا عن مسالك الحكمة والعرفان المتقدمة في أدوار التاريخ المعروف والمجهول، والتي عمرت بها حياة المؤمنين الأولين الموحدين في مصر الفرعونية القديمة وفي الهند وإيران وبلاد التيبت وما وراء الواحات، وفي بابل وأشور، وفي اليونان، وفي جزر البحر الأبيض المتوسط، وعلى انفراج شواطئه، ثم بعد ذلك في الإسلام، مروراً بالنصرانية الأولى وما قبلها فيما تكشفت عنه مغاور الميت في فلسطين، وبالمذاهب العرفانية التي انتشرت في كل صقع من العالم القديم»[١] .

وهذا الزعم لا ينفي أنهم تفرعوا عن الإسماعيلية، فكل هؤلاء إنما صاروا مبطلين لاعتمادهم العقل في مقابل النص، وأقوال الفلاسفة والملاحدة وأرباب الديانات الوضعية والمنحرفة أصولاً لا يحيدون عنها فصاروا أئمة لهم وهم لهم تبع .

ومذهب الدروز يقوم على تأليه الحاكم بأمر الله «وقد بدأت الدعوة إلى تأليه الحاكم قبيل عام ٤٠٨هـ. وقد ذكر ثلاثة أشخاص تنسب إلى كل منهم بداية هذه الدعوة، هم : حمزة بن علي بن أحمد الزوزني، ويعرف باللباد، وحسن بن حيدرة الفرغاني المعروف بالأخرم أو الأجدع، ثم محمد بن إسماعيل الدرزي المعروف بنشتكين»[٢] .

---

(١) أضواء على مسالك التوحيد، للدكتور سامي نسيب مكارم ص ٢٦ (المقدمة) دار صادر، بيروت ١٩٦٦م.

(٢) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، للدكتور أحمد محمد جلي ص ٣٣٦.

وادعى الدكتور محمد كامل حسين «أن الحاكم بأمر الله أظهر لاهوته لأول مرة سنة ٤٠٠ هـ»[١].

فالحاكم بأمر الله الذي ترتبط به عقائد الدروز ويدور حوله مذهبهم، فهو: «أبو علي المنصور، الملقب الحاكم بأمر الله بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي، صاحب مصر»[٢]. الذي هو أحد الأئمة الفاطميين الإسماعليين في دور الظهور.

و «مولده يوم الخميس لأربع ليال بقين من شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلاث مائة بالقاهرة، وقيل: في الثالث والعشرين منه، وولاه أبوه العزيز عهد الخلافة في شعبان سنة ثلاث وثمانين وثلاث مائة، وبويع بالخلافة يوم مات أبوه يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلاث مائة، فولى الخلافة وله إحدى عشرة سنة ونصف، وقيل: عشر سنين ونصف وستة أيام، وقيل: غير ذلك»[٣].

وأما شخصية الحاكم فكانت شخصية غريبة شاذة، تصدر عنه أوامر وأعمال لا يتصور صدورها من العاقل، «يخترع كل وقت أحكامًا يحمل الناس على العمل بها، منها: أنه أمر الناس في سنة خمس وتسعين وثلاثمائة بكتب سب الصحابة رضوان الله عليهم في حيطان المساجد والقياسر والشوارع، وكتب إلى سائر عمال الديار المصرية يأمرهم بالسب، ثم أمرهم بقطع ذلك ونهى عنه وعن فعله في سنة سبع وتسعين . . . ومنها: أنه أمر بقتل الكلاب في سنة خمس وتسعين وثلاث مائة، فلم ير كلب في الأسواق والأزقة والشوارع إلا قتل، . . . ومنها: أنه في سنة اثنتين وأربع مائة نهى عن بيع الزبيب قليله

(١) طائفة الدروز، للدكتور محمد كامل حسين ص ٧٢.

(٢) وفيات الأعيان، لابن خلكان ٥/ ٢٩٢.

(٣) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ٤/ ١٧٦، طبع مصورة عن طبعة دار الكتب.

وكثيره على اختلاف أنواعه، ونهى التجار عن حمله إلى مصر، ثم جمع بعد ذلك منه جملة كثيرة وأحرق جميعها، ويقال: إن مقدار النفقة التي غرموها على إحراقه كانت خمس مائة دينار . . . وفي هذه السنة أمر النصارى واليهود إلا الخيابرة بلبس العمائم السود، وأن يعمل النصارى في أعناقهم الصلبان ما يكون طوله ذراعًا ووزنه خمسة أرطال . . . وفي سنة ثمان وأربع مائة أمر بهدم الكنيسة المعروفة بقمامة وجميع الكنائس بالديار المصرية، ووهب جميع ما فيها من الآلات وجميع مالها من الأرباع والأحباس لجماعة من المسلمين، وتتابع اسلام جماعة من النصارى . . . وفي شعبان من هذه السنة - أربع وأربع مائة- منع النساء من الخروج إلى الطرقات ليلا ونهاراً . . . ولم تزل النساء ممنوعات عن الخروج إلى أيام ولده الظاهر . . . وكانت مدة منعهن سبع سنين وسبعة أشهر، وفي شعبان سنة إحدى عشرة وأربعمائة تنصر جماعة ممن كان أسلم من النصارى، وأمر ببناء ما كان قد هدم من كنائسهم وردّ ما كان أخذ من أحباسها»[1].

ويظهر من هذه الصفات المتضادة الشاذة أنه كان رجلا مريضًا فاقدًا عقله ووعيه، فادعى الألوهية لنفسه، وكان الدعاة الماكرون الزاحفون من جهات يهودية ومجوسية التفوا حوله وصنعوا له الجو المناسب لادعاء الألوهية، فتولد بذلك مذهب جديد مبتدأه الحلول والتناسخ، ومنتهاه هدم الأسس والأركان الإسلامية، ولم يكن هذا جديداً في الواقع، وإنما هو ثمرة طبيعية لجهود الباطنية وأسلافهم من الحاقدين المنتحلين المبطلين.

ويحسن بنا أن نذكر شيئا عن الدعاة ومدى ارتباطهم بالحاكم بأمر الله ودورهم في تأليه الحاكم.

«فحمزة بن علي بن أحمد الزوزني أصله من زوزن بالقرب من نيسابور،

---

(١) وفيات الأعيان، لابن خلكان، ٥/ ٢٩٣، ٢٩٤، تحقيق: الدكتور إحسان عباس.

ويقال : إنه وفد إلى مصر عام ٤٠٥هـ، وانتظم في سلك دعاة الفرس الذين كانوا يختلفون إلى دار الحكمة التاويلية، وما لبث أن أصبح ممثلا لدعاة الفرس، وصلة وصل بينهم وبين الحاكم بأمر الله، الذي ضمه إلى حاشيته وأسكنه في قصره»[١].

هذا ويرجح الدكتور محمد كامل حسين «أن حمزة كان أحد الخدم الخصوصيين للحاكم وكان خادمًا ذكيا لبقًا ذا حيلة ودهاء وخيال خصب، وكان بحكم عمله في القصر يستمع إلى مجالس الحكمة التأويلية فوعاها وحفظ منها كثيرًا، وربما قرأ كتب الدعوة التي كانت بالقصر فأفادته في تلوين عقليته وتوجيه فكره إلى ما يرضى طموحه ويحقق آماله»[٢].

وصار حمزة هذا وراء آراء الحاكم وادعائه الألوهية، كما يقول الدكتور محمد كامل حسين: «وربما كان حمزة هو الذي أوصى إلى الحاكم بكل ما قام به من أعمال ومن ادعاء الألوهية»[٣].

وأما محمد بن إسماعيل الدرزي الذي ينتسب إليه الدروز - وإن لم ترتضوا بهذا الانتساب - فكان من الدعاة الذين التفوا حول حمزة «ويقال: إنه تركي، أصله من فارس، ويدعى بنشتكين، كان أحد أركان القوة الخفية اليهودية التي تعمل للكيد للنصرانية والإسلام، جاء إلى مصر عام ٤٠٧هـ، أو قبلها بقليل واتصل بحمزة وعمل معه على رسم خطط الدعوة، وكان حمزة قد اتفق مع دعاته بما فيهم محمد بن إسماعيل ألا يجهر أحد بالدعوة أو يكشف مضمون المذهب إلا بعد الإذن في ذلك منه، ولكن يبدو أن الداعي نشتكين بادر

---

(١) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، للدكتور أحمد محمد جلى ص ٣٣٦ نقلا عن الحركات الباطنية في الإسلام (مصطفى غالب) ص ٢٤١، ٢٤٢.

(٢) طائفة الدروز، للدكتور محمد كامل حسين ص ٧٣.

(٣) المرجع السابق ص ٧٢، ٧٣.

إلى الكشف عن أسرار الدعوة واتصل بالحاكم، وحسن له فكرة ادعاء الألوهية»[١].

يقول شيخ الإسلام في محمد بن إسماعيل: «وكان من موالي الحاكم أرسله إلى أهل وادي تيم اللّه بن ثعلبة، فدعاهم إلى إلهية الحاكم»[٢].

هذا الاكتشاف والظهور للدعوة قد أثار الناس وحمل حمزة أيضًا على الكشف عن الدعوة، حيث يقول موضحا هذه النقطة: «وغطريس هو نشتكين الدرزي الذي تغطرس على الكشف بلا علم ولا يقين، وهذا الضد الذي سمعتم بأنه يظهر من تحت ثوب الإمام، ويدعي منزلته . . . إلى أن يقول: وكذلك الدرزي كان من جملة المستجيبين حتى تغطرس وتجبر وخرج من تحت الثوب، والثوب هو الداعي، والسترة التي أمره بها إمامه حمزة بن علي بن أحمد الهادي إلى توحيد مولانا جل ذكره»[٣].

ولما كان حمزة يحتل عند الدروز أسمى مكانة دينية فنتيجة لهذا الخلاف بين الدرزي وحمزة، الدروز «يستنكرون أن ينسبهم أحد إلى الداعي نوشتكين الدرزي . . . ويطلقون على أنفسهم اسم الموحدين»[٤]، ومهما يكن الخلاف بينهما فلم يكن خلافا جوهريا في صميم العقيدة، وإنما كان الخلاف خلاف السيادة[٥].

وأما الداعي الثالث: وهو الحسن بن حيدرة الفرغاني، فلم يعرف عنه إلا قليل، وقد كان من الدعاة الأساسيين للدعوة الدرزية، ومن الذين ساعدوا

---

(١) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، للدكتور أحمد جلي ص ٣٣٧، نقلا عن كتاب طائفة الدروز (محمد كامل حسين) ص ٧٧.

(٢) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٥/ ١٦١.

(٣) عقيدة الدروز، لمحمد أحمد الخطيب ص ١٠٢، نقلا عن رسالة الغاية والنصيحة: حمزة علي.

(٤) طائفة الدروز، محمد كامل حسين ص ٦.

(٥) انظر المرجع السابق ص ٧٥.

الحاكم بأمر الله على ادعاء الألوهية، وكان يدعو الناس إلى الدعوة الجديدة، ويبعث إليهم الرقاع، ويطلب الجواب من العلماء ورجال الدعوة على الرقاع، يحدث الأتابكي عن صلته بالحاكم ونشاطاته في الدعوة، يقول بعد ذكر صفات الحاكم الشاذة: «ثم عنّ له أن يدعي الربوبية، وقرب رجلا يعرف بالأخرم ساعده على ذلك وضم إليه طائفة بسطهم للأفعال الخارجة عن الديانة. فلما كان في بعض الأيام خرج الأخرم من القاهرة راكبا في خمسين رجلا من أصحابه، وقصد مصر ودخل الجامع راكبا دابته، ومعه أصحابه على دوابهم وقاضي القضاة ابن أبي العوام جالس فيه ينظر في الحكم، فنهبوا الناس وسلبوا ثيابهم وسلموا للقاضي رقعة فيها فتوى، وقد صدرت باسم الحاكم الرحمن الرحيم. فلما قرأها القاضي رفع صوته منكرًا، واسترجع وثار الناس بالأخرم وقتلوا أصحابه وهرب هو، وشاع الحديث في دعواه الربوبية، وتقرب إليه جماعة من الجهال فكانوا إذا لقوه قالوا: السلام عليك يا واحد يا أحد يا محيي يا مميت، وصارت له دعاة يدعون أوباش الناس ومن سخف عقله إلى اعتقاد ذلك»[1].

فالأخرم «قد دعا إلى مثل ما دعا إليه حمزة من التناسخ والحلول، وألوهية الحاكم، وذاعت دعوته بسرعة في جماعة من المغامرين والمرتزقة، فاستدعاه الحاكم وخلع عليه وأركبه فرسانا مطهما، وسيره في موكبه»[2].

وكل ذلك قد أثار المسلمين «فوثب عليه رجل من أهل السنة وقتله وقتل معه ثلاثة رجال من أتباعه، فغضب الحاكم وأمر بإعدام قاتله، ودفن الأخرم على نفقة القصر في حفل رسمي»[3].

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ٤/ ١٨٣، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب.

(٢) عقيدة الدروز، لمحمد أحمد الخطيب ص ١٠٨، نقلا عن: الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، لمحمد عبد الله عنان ص ١١٥.

(٣) طائفة الدروز للدكتور محمد كامل حسين ص ٧٥.

أهم عقائد الدروز:

تأليه الحاكم بأمر الله:

إن من أهم عقائد الدروز هو تأليه الحاكم بأمر الله، فهو الإله المعبود عندهم، يقول الدكتور محمد كامل حسين: «لعل أهم عقيدة نراها في كتب حمزة بن علي أن للحاكم بأمر الله حقيقة لاهوتية لا تدرك بالحواس ولا بالأوهام، ولا تعرف بالرأى ولا بالقياس، ومهما حاول الإنسان أن يفكر فيه لمعرفة كنهه فهو يحاول محاولة فاشلة؛ لأن لاهوته ليس له مكان، ولكن لايخلو منه مكان، وليس بظاهر كما أنه ليس بباطن، ولا يوجد اسم من الأسماء يمكن أن يطلق عليه؛ لأنه لا يدخل تحت الأسماء»[(١)].

وبناء على ذلك قالوا: «من أقر أن ليس في السماء إله معبود، ولا في الأرض إمام موجود، إلا مولانا الحاكم جل ذكره كان من الموحدين الفائزين»[(٢)].

وحيث أنهم جعلوا الحاكم بأمر الله معبودا مطلقًا، فمذهبهم في تصور المعبود لا يختلف عن مذهب الإسماعيليين في المعبود، فالذي صوره كتاب راحة العقل لحميد الدين الكرماني - أحد دعاة الإسماعيلية- «نجد سورا كاملا ذا سبعة مشارع في التوحيد والتقديس . . . فقد جعل الكرماني المشرع الأول من كتابه في بطلان كونه تعالى ليسا، والمشرع الثاني في بطلان كونه تعالى أيسا . . . إلى أن ختم السور بالمشرع السابع الذي جعله في أن أصدق قول في التوحيد والتسبيح والتمجيد والإثبات ما يكون من قبيل نفي الصفات الموجودة في الموجودات وسلبها عنه تعالى»[(٣)].

---

(١) طائفة الدروز للدكتور محمد كامل حسين ص ١٠١.

(٢) عقيدة الدروز للدكتور محمد أحمد الخطيب ص ١١٨.

(٣) طائفة الدروز ص ١٠٢.

ومن هنا اتضح أن العقيدة الدرزية قامت على التعطيل والتشبيه الذي دعا إليه سلفهم من الإسماعيلية والخطابية .

الحدود الخمسة:

آمن الدروز بحدود دينية روحانية وجسمانية ، الذين هم بمثابة الأئمة والدعاة عنهم . كما كان في العقيدة الإسماعيلية حدود روحانية وجسمانية إلا أن الدروز يختلفون عن الإسماعيليين الذين فرقوا بين الحدود الروحانية التي هي مثل ، والحدود الجسمانية التي هي ممثولات ، فالدروز ذهبوا إلى أن الروحانيين والجسمانيين كلهم واحد لا فرق بينهما(١) .

وهذه الحدود الدينية التي قال بها الدروز هي خمسة :

« **أولا :** النفس ، وهو ذومصة ، علة العلل ، والآمر قائم الزمان ، وهو الإرادة ، وهو الإمام الأعظم حمزة بن علي بن أحمد هادي المستجيبين .

ثانيا : النفس ، وهو ذو مصة ، وهو المشيئة ، إدريس زمانه ، وأخنوخ أوانه ، هرمس الهرامسة ، الحجة الصفية الرضية ، الشيخ المجتبى ، أبو إبراهيم إسماعيل بن محمد بن حامد التميمي ، صهر حمزة بن علي .

ثالثًا : الكلمة ، وهو سفير القدرة ، ذو مصة ، فخر الموحدين ، وبشير المؤمنين وعماد المستجبين ، الشيخ الرضى ، أبو عبد الله محمد بن وهب القرشي .(٢)

رابعًا : السابق ، وهو الجناح الأيمن ، نظام المستجيبين وعز الموحدين ، أبو الخير(٣)

---

(١) انظر المرجع السابق ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٢) من ناشري دعوة الحاكم بأمر الله ، له مقام كبير عند الدروز ، يكنون عنه بالكلمة ، ويلقبونه الرضى سفير القدرة . كان متصلا بحمزة بن علي وساعده على استمرار الدعوة . مات نحو ٤٢٠هـ ، و١٠٣٠م . انظر الأعلام للزركلي ٧/ ١٣٤ .

(٣) من أركان الدعوة الباطنية الدرزية ، كان في أيام الحاكم بأمر الله ومن رجاله ، واتصل بحمزة بن علي وساعده على استمرار نشر الدعوة بعد ما يسمونه غيبة الحاكم . مات نحو ٤٢٥هـ ، و ١٠٣٤م . انظر الأعلام للزركلي ٣/١٠٧ .

سلامة بن عبد الوهاب السامري.

خامسا : التالي، وهو الجناح الأيسر، لسان المؤمنين وسند الموحدين، ومعدن العلوم الذي يقوم بالأفعال الصحيحة المعلومة، والناصح لكافة الخلق أجمعين، الشيخ المقتنى بهاء الدين[١] أبو الحسن علي بن أحمد السموقي، المعروف بـ " الضيف " »[٢].

وقد جعلوا الشرف والاحترام لهؤلاء الحدود ما فوق مراتب الأنبياء والرسل، وفي ذلك يقول الدكتور محمد أحمد الخطيب وهو ينقل كل ذلك من رسائلهم: «واحترام الحدود عندهم معتقد أكيد؛ لأنهم وسائط الله تعالى وأبوابه وسفراؤه، ومنهم الوصول إليه، ولا مطمع لأحد من الخلق في الوصول إلى الخالق أبداً إلا بهم ومنهم، وعلى يدهم وبتعليمهم وإرشادهم، فهم أشرف خلق الله تعالى بعد سيدهم الإمام الأعظم، وهم معصومون عن الزواج والخطايا»[٣].

ولما لم يكن بعد إلههم الحاكم بأمر الله مكان سوى الحدود الخمسة لهم فلا تصور عندهم للأنبياء والرسل، ومن ثم يصح القول: بأن «الدروز ينكرون جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وينسبونهم إلى الجهل، ذلك أنهم كانوا يشيرون إلى توحيد العدم وما عرفوا المولى - أي الحاكم-»[٤].

---

(١) من أركان الدعوة الباطنية الدرزية وأحد الحدود الخمسة عند الدروز، يقول فؤاد سليم فيه (أحد مثقفي الدروز): إن معظم رسائل الدروز من وضع السموقي، ويحسب هو واضع أسس الديانة وناشرها ومؤيدها، ومنزلته في الدرزية كمنزلة بولس في النصرانية. مات نحو ٤٢٠هـ، و ١٠٣٠م. انظر الأعلام للزركلي ٤/ ٢٥٤.

(٢) عقيدة الدروز ص ١٤٥، ١٤٦، وانظر كذلك طائفة الدروز للدكتور محمد كامل حسين ص١١٠.

(٣) المرجع السابق ص ١٤٩.

(٤) المرجع السابق ص ١٥٩

ومن هنا «حمزة يرى وجوب محاربة جميع الأنبياء، أصحاب الشرائع الظاهرة آدم و نوح وإبراهيم وعيسى وموسى ومحمد - عليهم السلام - ووجوب البراءة من شرائعهم وعقائدهم الفاسدة وأديانهم المضللة؛ إذ هي النار والهاوية»[١].

والدروز كسائر الفرق الباطنية يحرصون أشد الحرص على كتمان سر عقائدهم ومذاهبهم، وعدم إظهارها للآخرين، وهذا جزء من دينهم، يقول حمزة: «إن أكبر الآثام وأعظمها إظهار سر الديانة وإظهار كتب الحكمة، والذي يظهر شيئًا من ذلك يقتل حالا اتجاه الموحدين ولا أحد يرحمه . . . ويقول: عليكم أيها الإخوان الموحدون في دفن هذه الأسرار، ولا يقرأها إلا الإمام على الموحدين في مكان خفي، ولا يجوز أن تظهر كتب الحكمة الذي كلها رسم ناسوت مولانا سبحانه، وإن وجد شيء من هذه الأسرار في يد كافر فيقطع إربا إربا، فأوصيكم أيها الموحدون بكنة الأسرار»[٢].

وحيث أن الدروز رفضوا الإيمان بالله الواحد القهار، بل جعلوا إنسانًا وهو الحاكم بأمر الله إلها معبودًا، ثم أنكروا الأنبياء والرسل كذلك فلم يبق عندهم أساس للإيمان باليوم الآخر وما يتعلق به من البعث والثواب والعقاب، وبالتالي أدى الأمر بهم إلى الإيمان بالتناسخ وتاويل جميع النصوص التي أقرت اليوم الآخر والبعث والثواب والعقاب.

وسنتناول عقيدتهم بالتناسخ بالبيان على وجه خاص إن شاء الله.

---

(١) عقيدة الدروز ص ١٦٠.

(٢) عقيدة الدروز ص ١٦٤، ١٦٥ نقلا عن مخطوط "لبعضهم قول وجيز" مكتبة القديس بوليس في الجامعة الأمريكية ببيروت رقم ٢٠٦، ويوجد شريط عنه في الجامعة الأردنية رقم ٧١٥.

التناسخ في الدروز:

الدروز يؤمنون بالتناسخ كما عرف أن الغلاة من خصائصهم اعتقاد الحلول والتناسخ، إلا أن مفهوم التناسخ عند الدروز يختلف عن التناسخيين الآخرين، فهولاء لا يؤمنون إلا بالنسخ فقط، أي انتقال النفس من جسم بشري إلى جسم بشري آخر.

«وهذا خلاف التناسخ الذي تعتقده فرق أخرى - كالنصيرية- والذين لاينحصر عندهم التناسخ بين الناس، بل يكون أحيانًا بينهم وبين البهائم، أي بمعنى المسخ»[1].

«وعقيدة الدروز تنكر المسخ في التناسخ إنكاراً صريحا، وتنفيه نفيا قاطعًا حتى إنها استبدلت لفظة التناسخ بـ(التقمص)؛ لأن في انتقال النفس إلى جسم حيوان ظلم له؛ ولأن العقاب والثواب مبني - حسب ما يزعمون - على قاعدة العدل الإلهي في محاسبة الأرواح بعد مرورها في الدهر الطويل، لا في مدى حياة واحدة، بخيرها وشرها، وقصرها أو طولها، بحيث يمنحها الدهر الطويل فرض الاكتساب والتطور، والامتحان والتبدل، لكي تحاسب حسابًا عادلا على مجموع ما كتب، فلا تكون الأرواح كيانات مبهمة غير واعية»[2].

والتقمص عند الدروز يكون بانتقال الروح إلى نفس الوضع الذي كان عليه الإنسان في الماضي « ففي عقيدتهم أن الذين تقبلوا الدعوة وتعرفوا إلى الحقيقة في الماضي لا يزالون يولدون عند من تقبل الدعوة، كذلك فإن التقمص في معتقد التوحيد ليس تطورا للروح في هذا الدور، بل هو تقلب الروح في

---

(١) عقيدة الدروز، لمحمد أحمد الخطيب ص ١٣٦، نقلا عن مخطوطة في تقسيم جبل لبنان، مخطوط في الجامعة الأمريكية بيروت، رقم ٣١، ويوجد شريط عنه في الجامعة الأردنية رقم٦٩٩.

(٢) المرجع السابق ص ١٣٦، نقلا عن مذهب الدروز والتوحيد، لعبد الله النجار ص ٦٢.

شتى الأحوال، لكي يتسنى لها أن تختبر هذه الأحوال، فمن لم يتقبل نداء الحق، حسب معتقد التوحيد، لا يمكنه إلا أن يحصد نتيجة أعماله في حيواته التالية، وكذلك هي الحال بالنسبة لمن تقبل هذا النداء وتعرّف إلى الحقيقة»[١].

وإذا كان هذا اعتقادهم في التناسخ نجدهم قد أولوا العقائد المرتبطة بالجزاء فقالوا في يوم القيامة: «غاب المعبود (الحاكم بأمر اللّه) سنة ٤١١هـ، ولن يعود إلى الظهور في الصور الناسوتية إلا يوم القيامة، وهو اليوم الذي يظهر فيه مذهب عقيدة التوحيد على كل المذاهب والأديان»[٢].

وأما الثواب والعقاب فيكون في هذا التناسخ. يقول الدكتور محمد كامل حسين: «أما العذاب والجزاء فيفهم من كتابات حمزة أن العذاب الواقع بالإنسان نقلته من درجة عالية إلى درجة دونها من درجات الدين، وقلة معيشة وعمى قلبه في دينه ودنياه، ويستمر تنقله من جسد إلى جسد بتناسخ روحه في الأجساد وهو كلما تنتقل روحه من جسد إلى جسد تقل منزلته الدينية، أما الجزاء في الثواب مادام يتكرر في الأجساد، فهو زيادة درجته في العلوم الدينية وارتفاعه من درجة إلى درجة إلى أن تبلغ إلى حد "المكاسرة" وهو حد من حدود الدين، فيزيد في ماله وينبسط في الدين من درجة إلى درجة إلى أن يبلغ إلى أرقى حد من حدوده»[٣].

إذا فالثواب عبارة عن ارتقاء المعرفة والعقاب الحرمان منها.

وما كل ذلك إلا خروج بالنص القرآني عن مضمونه وتفريغ له عن محتواه، فهم مبطلون حاقدون على الإسلام وإن انتسبوا إليه ظاهراً، فتأويلاتهم تنفي مزاعمهم الإيمان بالإسلام ونصوصه.

---

(١) أضواء على مسلك التوحيد، للدكتور سامي مكارم ص ١٢١.

(٢) طائفة الدروز، للدكتور محمد كامل حسين ص ١٢١.

(٣) المرجع السابق ص ١٢٢، ١٢٣.

المبحث الثالث: أثر التناسخ في النصيرية:

النصيرية:

ومن الفرق الغالية التي انتقل إليها أثر التناسخ من الغلاة الأوائل، وهي قائمة ومصرة على الاعتقاد بالتناسخ إلى العصر الحاضر فرقة النصيرية.

والنصيرية نسبة إلى محمد بن نصير النميري، وقد أشار إلى هذه الفرقة الشهرستاني يقول: «النصيرية والإسحاقية[١] من غلاة الشيعة، ولهم جماعة ينصرون مذهبهم وينوبون عن أصحاب مقالاتهم»[٢].

وقد أطلق الأشعري على هذه الطائفة اسم "النميرية" قال: «وحكى أن فرقة من الرافضة يقال لهم: "النميرية" أصحاب "النميري"»[٣]. وهي نسبة إلى محمد بن نصير النميري.

أما البغدادي فيرى أن النميرية امتداد من الطائفة الشريعية «أتباع رجل كان يعرف بالشريعي، وهو زعم أن الله حل في خمسة أشخاص: في النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وزعموا أن هؤلاء الخمسة آلهة، ولها أضداد خمسة ... وحكى عن الشريعي أنه أدعى يوما أن الإله حل فيه، وكان بعده من أتباعه رجل يعرف بالنميري، حكى عنه أنه ادعى في نفسه أن الله تعالى حل فيه»[٤].

ومحمد بن نصير صاحب الفرقة النصيرية «كان من أصحاب الحسن بن علي - الإمام الحادي عشر عند الشيعة الإمامية - فلما مات الحسن ادعى وكالة

---

(١) الإسحاقية: وهي التي أحدثها إسحاق بن زيد بن الحرث، وكان من أصحاب عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وكان يقول بالإباحة وإسقاط التكليف، ويثبت لعلي شركة مع رسول الله ﷺ، ثم صارت الإسحاقية مثل النصيرية، فقالوا: إن الله حل في علي. انظر هامش الملل والنحل ١/ ١٩٢.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٩٢.

(٣) مقالات الإسلاميين، للأشعري ص ٨٦.

(٤) الفرق بين الفرق، للبغدادي ص ٢٥٢.

لابن الحسن الذي تقول الإمامية بإمامته، ففضحه اللّه تعالى بما أظهره من الإلحاد والغلو والقول بتناسخ الأرواح، ثم ادعى أنه رسول اللّه ونبي من قبل اللّه، وأنه أرسله علي بن محمد، وجحد إمامة الحسن العسكري، وإمامة ابنه، وادعى بعد ذلك الربوبية، وقال بإباحة المحارم»[١].

ويحدث النوبختي والقمي عن هذه الفرقة، قالا: «وشذت فرقة من القائلين بإمامة علي بن محمد في حياته، فقالت بنبوة رجل يقال له: محمد بن نصير النميري، كان يدعي أنه نبي بعثه أبو الحسن العسكري عليه السلام، وكان يقول بالتناسخ ويغلو في أبي الحسن، ويقول فيه بالربوبية»[٢].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في النصيرية: «فأما النصيرية فهم أتباع أبي شعيب محمد بن نصير، وكان من الغلاة الذين يقولون: إن عليا إله، وهم ينشدون:

أشهد أن لا إله إلا	حيدرة الأنزع البطين
ولا حجاب عليه إلا	محمد الصادق الأمين
ولا طريق إليه إلا	سلمان ذوا القوة المتين»[٣].

فنرى من خلال هذه الأقوال أن محمد بن نصير هو شخصية أساسية، والمرجع الأول لنشأة النصيرية.

«ثم تولى المذهب بعد ابن نصير، أبو محمد عبد اللّه بن محمد الحنان الجنبلاني، الذي عاش في القرن الثالث الهجري في جنبلا بإيران، وكان عالم

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٨/ ١٢٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٦٠م.

(٢) فرق الشيعة للنوبختي والقمي ص ٩٥.

(٣) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد العاصمي النجدي ٣٥/ ١٦١، تصوير الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

المذهب، ورئيس النصيرية وداعيتهم، وله طريقة صوفية بين النصيرية تعرف باسمه "الطريقة الجنبلانية"، ثم رحل الجنبلاني إلى مصر، فتبعه جماعة من بينهم الحسين بن حمدان الخصيبي (٢٦٠-٣٤٦هـ)، وبعد وفاة الجنبلاني سنة ٢٨٧هـ أصبح الخصيبي المرجع الأعلى للمذهب النصيري، وقد اتخذ مقره في بغداد، ثم أخذ يتنقل بين الأتباع، وأخيرا استقر به المقام في مدينة حلب بسوريا. ويعتبر الخصيبي المؤسس الحقيقي للفكر النصيري، وأشهر من صنف في عقائدهم، وبعد وفاة الخصيبي أصبح للنصيرية مركزان: الأول والأعظم في حلب، ويرأسه الشيخ محمد بن علي الجلي الذي خلف الخصيبي، والثاني في بغداد، ويرأسه الشيخ علي بن الجسري، ثم انتقل مركز ثقلهم إلى جهات اللاذقية والجبال المسماة الآن باسمهم»[1].

وحيث كان محمد بن نصير تلميذاً للمفضل الجعفي الذي كان تلميذاً لأبي الخطاب الأسدي، فقد دخلت الأفكار والعقائد الغالية في هذا المذهب أيضًا عن طريق أبي الخطاب الذي سبق أن ذكرنا دوره في الإسماعيلية، ومن هنا دخل الغلو السبائي في النصيرية.

عقائد النصيرية:

سبق في تعريف النصيرية أقوال كل من الأشعري والبغدادي وشيخ الإسلام ابن تيمية والنوبختي والقمي، التي تبين أن محمد بن نصير مؤسس الطائفة غلا في علي رضي الله عنه، فقال بحلول روح الله فيه، ثم انتقالها في الأئمة بعده، ومن ثم ادعت النصيرية هذه المقولة الغالية، ثم قالت أيضًا بتناسخ الأرواح عامة، وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله.

---

(١) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، للدكتور أحمد محمد جلي ص ٣١٣، نقلا عن الحركات الباطنية في الإسلام لمصطفى غالب ٢٧٢، ومجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد ٤، ج١، (١٣٧٥هـ = ١٩٥٦م) ص ٦١٨-٦٢٩.

وبعد ما جعلوا عليا رضي اللّه عنه إلها وعبدوه ذهبوا إلى القول بآلهة أخرى من البشر، وهو ما يشبه التثليث عند النصارى. «وهذا الثالوث يفسر عندهم المعنى والاسم والباب، فالمعنى هو الغيب المطلق، أي اللّه الذي يرمز إليه بحرف (ع)، والاسم هو صورة المعنى الظاهر، ويرمز إليه بحرف (م)، والباب هو طريق الوصول للمعنى، ويرمز إليه بحرف (س)»[١].

ويدل على هذه العقيدة ما جاء في السورة السابعة لهم، واسمها السلام: «. . . بدء السلام من المعنى القديم على الاسم العظيم وسلم الاسم العظيم على الباب الكريم . . .»[٢].

ولما ثبت عندهم ألوهية علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه، فالمراد بالمعنى أو "ع" هو علي رضي اللّه عنه، وبالاسم أو "م" محمد صلى اللّه عليه وسلم، وبالباب أو "س" سلمان رضي اللّه عنه.

وهذا التصريح جاء في سورة أخرى لهم: «بسر العين العلوية الذاتية الطاهرة الأنزعية، بسر الميم المحمدية الهاشمية الملكوتية الحجابية القرصية النورانية، بسر السين السلسلية الجبرائيلية السلمانية البابية البكرية النميرية النصيرية، بسر ع م س»[٣].

كما يشير إلى ذلك ما سبق من نقل شيخ الإسلام ابن تيمية نشيدهم.

وللباب الذي هو سلمان أسماء مختلفة على مر العصور والأدوار، والظهور الأخير هو بشخص محمد بن نصير «فإنه الظهور الذي ليس بعده ظهور؛ لأن محمد بن نصير أصبح ابن نصير هو باب اللّه الذي لا يتخذ بعده

---

(١) إسلام بلا مذاهب، للدكتور مصطفى الشكعة، ص ٢٧٣، الطبعة الخامسة، ١٣٩٦هـ= ١٩٧٦م، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

(٢) الباكورة السليمانية، لسليمان آفندي الأذني، ص ٣٢، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ= ١٩٩٠م، دار الصحوة للنشر والتوزيع - القاهرة.

(٣) المرجع السابق ص ٣٥.

بابًا، ولكن بعد غياب الاسم (محمد بن الحسن العسكري) بصفته الباب هو الحجاب، والاسم والنبي الناطق المتصل بالمعنى (أي: الذات الإلهية)، ولم يزل ولا يزال هذا الأمر حتى ظهور القائم»[١].

ويظهر من ذلك أن النصيرية تؤله عليا ومحمدا صلى الله عليه وسلم وسلمان وابن نصير.

كما أن النصيرية تقسم العالم إلى قسمين: العالم العلوي، والعالم السفلي، «والعالم العلوي هو العالم النوراني الذي تعيش فيه الرتب النورانية التي تنتهي برتبة البابية، وتفيض بالنور على العالم السفلي، الذي لا يزال ينتقل في الصور البشرية، ولم يصل إلى مستوى الإيمان الكامل.

والعالمان العلوي والسفلي في نظرهم، هم النصيريون عاقلهم وجاهلهم، فغير النصيري لا يكون في الصورة البشرية؛ لأنه ممسوخ بالصور الأخرى، مثل صورة المرأة والحيوان والجماد»[٢].

وأما الخمر والمرأة فأمران هامان في النصيرية، ويقدمان لمن يدخل فيها وفي أسرار الديانة النصيرية. وسموا الخمر عبد النور؛ لأنه مخلوق من شجرة النور، وهي العنب، ويظهر أهمية الخمر عندهم فيما يقولون: «أنه إذا حضر بين يديه (عبد النور) يأخذ القداح في يمينه، وينهل منه ثلاث نهلات، ويترنم عليه في هذا القداس المبارك، ويقول: الحمد لله العلي وحده الذي أنجز وعده، ونصر عبيده، وأعز جنده، وأهلك ضده، وهزم الأحزاب وحده، فلا إله مثله ولا إله بعده، مفزع الطالبين، وغاية العارفين، إله الأولين وإله الآخرين، له الدين الخالص، وإنما تدعون من دونه الباطل، وأن الله هو العلي الكبير أمير

---

(١) الحركات الباطنية، للدكتور محمد أحمد الخطيب، ص ٣٦٣، نقلا عن مناظرة الشيخ يوسف الحلبي، مخطوطة، ورقة ١١٩ أ - ١٢١ ب.

(٢) المرجع السابق ص ٣٦٦.

المؤمنين، والملك الحق المبين . . . اللهم إن هذا عبدك عبد النور شخص النار، حللته وكرمته وفضلته لأوليائك العارفين بك حلالا طلقا، وحرمته على أعدائك الجاحدين المنكرين لك حرامًا نصا»[١] .

ومن هذا يتضح أن الخمر حلال ونعمة من الله عندهم.

وأما المرأة في نظرهم فليس لها مكانة مثل الرجل، ولا لها وجود كالرجل بل هي «في نظرهم نوع من أنواع المسخ الذي يصيب غير المؤمن، فهي كالحيوان؛ لأنها مجردة عن وجود النفس الناطقة؛ لذلك فهم يعتقدون أن نفوس النساء تموت بموت أجسادهن لعدم وجود أرواح خاصة بهن، ولهذا السبب فهم يستبيحون الزنا بنساء بعضهم بعضًا؛ لأن المرأة لا يكمل إيمانها إلا بإباحة فرجها إلى أخيها المؤمن، وفي ذلك اشترطوا أن لا يباح ذلك للأجنبي ولا لمن هو ليس داخلا في دينهم»[٢] .

ولما كان منهج الغلاة بعد إنكار أركان الإسلام التحلل من الشريعة، وتأويل ما ورد في ذلك تاويلا باطنيا فعليه رفضت النصيرية الأحكام الشرعية والشعائر الإسلامية من الصلاة والصوم والحج وغير ذلك، حيث يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن جنس قولهم: إن الصلوات الخمس معرفة أسرارهم، والصيام المفترض كتمان أسرارهم، وحج البيت العتيق زيارة شيوخهم، وأن يدا أبي لهب هما أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - وأن النبأ العظيم والإمام المبين هو علي بن أبي طالب»[٣] .

وحتى العصر الحاضر النصيريون قائمون على هذا الاعتقاد، وفي ذلك

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٧٠، نقلا عن قسم (التوجيه لتعليم الديانة النصيرية) - القداس الثاني- مخطوطة، ورقة ٢٥ أ، ب، وكذلك مخطوطة كتاب تعليم الديانة النصيرية، ورقة ١٨ أ، ب.

(٢) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، للدكتور محمد أحمد الخطيب ص ٣٧٠، نقلا عن مخطوطة في تقسيم جبل لبنان - قسم في مذهب النصيرية.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٥/ ١٥٠.

أنقل ما حدث من المجادلة بين سليمان الأذني - صاحب كتاب " الباكورة السليمانية " والذي كان من أتباع النصيرية إلى ذلك الوقت، ثم تنصر وكشف عن عقائدهم- بينه وبين رجال النصيرية، حيث قال لهم: « . . . ثم إن القرآن يأمر بصيام شهر رمضان وأنتم فضلا عن مخالفتكم له تشتمون كل من يصوم، وقد اختلفت علماؤكم في ذلك الصيام، فمنهم من قال: إن شهر رمضان هو محمد، وصيامه كتم معرفته، ومنهم من قال: إنه الصلاة، وصيامها هو كتمها، ومنهم من قال: إن صيامه لا يكون إلا عن الفحش والمنكر، فينتج من ذلك أن الفحش والمنكر حلال فعله في غيره من الشهور . . . ثم إن القرآن يأمر بحج البيت وأنتم قصرتم عنه، بل تشتمون كل من يسعى إليه . . »[1].

من خلال مرورنا سريعًا على عقائدهم الباطلة، وتحللهم من الشريعة وتاويلاتهم الباطنية نقول: إنهم من الباطنية الذي هو لقب عام على الغلاة «ظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر المحض، وحقيقة أمرهم أنهم لا يؤمنون بنبي من الأنبياء والمرسلين، لا بنوح ولا إبراهيم ولا موسى ولا عيسى ولا محمد صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين، ولا بشيء من كتب اللّه المنزلة، لا التوراة، ولا الإنجيل ولا القرآن، ولا يقرون بأن للعالم خالقًا خلقه، ولا بأن له دينًا أمر به، ولا أن له دارا يجزى الناس فيها على أعمالهم غير هذه الدار»[2]. بل آمنوا بعقائد تضاد هذه الأركان الإسلامية، مثل عقيدة الحلول والتناسخ.

---

(١) الباكورة السليمانية، لسليمان الأذني ص ١١١.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٥/ ١٥٢.

التناسخ في النصيرية:

اعتقدت النصيرية بإلهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وحلول روح الإله فيه، وقالت: «ظهور الروحاني بالجسد الجسماني أمر لا ينكره عاقل، أما في جانب الخير كظهور جبريل عليه السلام ببعض الأشخاص، والتصور بصورة أعرابي، والتمثل بصورة البشر، وأما في جانب الشر كظهور الشيطان بصورة الإنسان، حتى يعمل الشر بصورته، وظهور الجن بصورة بشر، حتى يتكلم بلسانه، فلذلك نقول: إن الله تعالى ظهر بصورة أشخاص، ولما لم يكن بعد رسول الله ﷺ شخص أفضل من علي عليه السلام، وبعده أولاده المخصوصون هم خير البرية، فظهر الحق بصورتهم، ونطق بلسانهم، وأخذ بأيديهم فعن هذا أطلقنا اسم الإلهية عليهم»[1].

من هذا النص يظهر أن النصيرية يؤلهون عليا رضي الله عنه ومن بعده أولاده المخصوصين، ويدل استدلالهم بما سبق على رسوخ عقيدتهم بالحلول، شأنهم في ذلك شأن سائر فرق الغلاة.

ومن الحلول قالت النصيرية بالتناسخ «فهناك سبعة أدوار للظهورات الإلهية اتخذت في كل دور وظهور رسولا ناطقًا، (فالظهور الأول كان في هابيل، ثم في شيث وكان آدم هو الرسول الناطق، ثم انتقلت الألوهية إلى سام والنبوة إلى نوح، وبعدها انتقلت الألوهية إلى إسماعيل والنبوة إلى إبراهيم، ثم انتقلت الألوهية إلى هارون والنبوة إلى موسى، ثم انتقلت الألوهية إلى شمعون الصفا، المعروف عند النصارى ببطرس، والنبوة إلى عيسى، وظهر للمرة الأخيرة في علي بن أبي طالب والنبوة في محمد ﷺ»[2].

---

(١) الملل والنحل، للشهرستاني ١/ ١٩٢، ١٩٣.

(٢) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، للدكتور محمد أحمد الخطيب، نقلا عن مخطوطة في تقسيم جبل لبنان/ مخطوط في الجامعة الأمريكية، ببيروت، رقم ٣١، ويوجد شريط عنه في الجامعة الأردنية رقم ٦٩٩، ومخطوطة: تعليم الديانة النصيرية بالمكتبة الأهلية بباريس رقم ٦١٨٢، عربي، ورقة ٤ أ.

فالألوهية حلت في هابيل ثم انتقلت وتناسخت فيمن جاؤوا بعده. وهذا يدل وضوحًا على إيمانهم بالحلول والتناسخ. وأما التناسخ الذي دل عليه هذا النص فهو تناسخ الروح الإلهية في الأئمة، وهو نوع من التناسخ.

ومما يدل على عقيدتهم بالتناسخ ما جاء في كتاب الباكورة السليمانية: «الفصل الرابع في الهبطة: إن كل طوائف النصيرية يعتقدون بأنهم كانوا في البدء قبل كون العالم أنوار مضيئة وكواكب نورانية، وكانوا يفصلون بين الطاعة والمعصية لا يأكلون ولا يشربون ولا يغيطون وكانوا يشاهدون علي بن أبي طالب بالنظرة الصفراء فداوموا على هذا الحال سبعة آلاف وسبعة وسبعين سنة وسبع ساعات . . .

وجاء الفصل السادس في بعض عقائد النصيرية: إن النصيرية كافة تعتقد بأن شرفاء المسلمين الراسخين في العلم إذا ماتوا تحل أرواحهم في هياكل الحمير، وعلماء النصارى في أجسام الخنازير، وعلماء اليهود في هياكل القرود، وأما الأشرار من طائفتهم تحل أرواحهم في المواشي التي تؤكل، ولكن الخاصة المشكون في الديانة فبعد موتهم يصيرون قرودًا والممتزجون، أما ذوالخير والشر يتقمصون إلى هياكل بشرية عند الطوائف الخارجة عنهم الخ.

وجاء الفصل السابع في كشف أسرار الخاصة في النصيرية:

قال أحد شيوخهم: . . . ولكن متى خلصنا من هذا الكثايف البشرية ترتفع أرواحنا إلى بين تلك الكواكب المتلاصقة في بعضها التي هي درب التبان ونلبس هياكل نورانية، وحينئذ نرى السماء صفراء، وإن شككنا فيها في هذه الحياة الفانية تحل أرواحنا في أجسام المسوخية وليس لنا نجاة إلى أبد الآبدين، وأما باقي الطوائف الخارجة عن هذا الاعتقاد فمنهم الغنم والوحوش وسائر المسوخات، وليس لهم خلاص أبدًا»[1].

---

(١) الباكورة السليمانية، لسليمان الأذني، ص ٦٩، ٧٠، ٩٦، ١٠٠.

يتضح من النص أن أرواحهم - حسب زعمهم- كانت قبل العالم الجسداني في الكواكب والأنوار المضيئة، ثم تناسخت في الأجساد الإنسية، ثم بعد موتهم تتناسخ أرواحهم في الكواكب النورانية، وأما الطوائف المخالفة لهم فتتناسخ أرواحهم في الحيوانات المختلفة.

وقد ورد نص يحض على الذكر، ويبدأ برواية عن وصاية الله لموسى بضرورة ذكر الله وأهميته، ثم عن جعفر الصادق الذي يقول: «كثروا من ذكر الله عز وجل، واذكروا اسمه وبابه وأهل مراتب قدسه، يستخلصكم من قبوركم وقمصانكم اللحمية الدموية»[١]. والمراد بالقمصان اللحمية تقلبهم في دورات التناسخ.[٢]

ويظهر من كل ذلك أن عقيدة التناسخ راسخة في قلوب النصيريين منذ بداية نشأة الفرقة، واستمرت إلى العصر الحاضر، فهذا هو نص رسالة لأحد شيوخهم المعاصرين يوضح إيمانهم بالتناسخ: «يقول الشيخ وهيب: فسأورد لك من التوراة أيضًا من تطوع من الأنبياء للصيام فاقرأوا صموئيل الثاني الاصحاح الأول، جاء فيه: فأمسك داود ثيابه ومرقها، وكذا جميع الرجال الذين معه، وندبوا وبكوا وصاموا إلى المساء على شاول وعلى يوراثان ابنه وعلى شعب الرب وعلى بيت إسرائيل؛ لأنهم قطعوا بالسيف، انظر يا أخي واعتبر فما داود سوى محمد . . .»[٣].

فنلاحظ أن النص يعتبر محمداً هو داود عليهما السلام.

يقول أبو الهيثم بعد ذكر النص السابق: «وأما مزجهم بين النبيين عليهم

---

(١) الإسلام في مواجهة الباطنية، لأبي الهيثم، ص ١٣٩، نقلا عن مخطوطة خبرنده النذر ص٤٥.

(٢) هامش المرجع السابق ص ١٣٩.

(٣) الإسلام في مواجهة الباطنية، لأبي الهيثم ص ١٨٤، ١٨٥، نقلا عن كتاب الطاعة والإيمان في صيام شهر رمضان، للشيخ النصيري وهيب بن الشيخ بدر غزال ص ٩.

الصلاة والسلام فنابع من عقيدة التناسخ التي تجعل الشخص الواحد مجموعة أجيال من الخلق، ربما كان بعضها حيوانًا أو نباتًا أو إنسانًا»[١].

هذا وقد نقل أبو الهيثم الحوار بينه وبين تلميذه المثقف حول بعض العقائد حتى وصلا إلى قضية البعث، وقال ذلك التلميذ: «ومن زعم أننا ننكر البعث؟ يقول أبو الهيثم: قلت: إيمانك بالتقمص هو الذي زعم ذلك، قال: وهل بقي مسوغ للشك في حقيقة التقمص . . . بعد أن قال به أرسطو وأفلاطون وو . . . ثم شرع يعد طائفة من أسماء الفلاسفة وكبار الأدباء حاشداً إياهم جميعًا في صف التناسخيين، ليستخرج من ذلك في زعمه البرهان الذي لا يدفع على صدق عقيدته . . . »[٢].

ويحكي لنا أبو الهيثم حديث مدرس معه، حيث أرجع المدرس هذه العقيدة إلى أصول الأفكار الأجنبية الدخيلة في الإسلام فواجهه التناسخيون باحتجاج وتهديد، وقال كبيرهم: «إن التقمص من عقائدنا الأساسية، ولن نسمح لأحد بالتعرض لها . . . » ومع ذلك أصر المدرس على تقرير أن عقيدة التناسخ يعتبرها الإسلام كفراً بدين اللّه، فسكت الطلاب أمامه مكرهين، إلا أن طالبا بلغه الجنون إلى حد أنه جاء في يوم تال بمسدس غير أن الإدارة اكتشفت أمره وفصلته من المدرسة[٣].

ويظهر من هذا كله أن النصيرية في العصر الحاضر ما زالوا مصرين ومتمسكين بعقيدة التناسخ بكل قوة، وما ذلك إلا لاعتقادهم بأنها جزء أساسي وركن هام من أركان دينهم؛ ولذلك يدافعون عنها بكل شيء.

---

(١) الإسلام في مواجهة الباطنية، لأبي الهيثم ص ١٨٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٦١.

(٣) المرجع السابق ص ٦٣ بتصرف.

والخلاصة : أن الإسماعيلية والدروز والنصيرية من الشيعة الغالية المعاصرة، ومعنى ذلك أنها لم تحدث في العصر الحاضر بل نشأت قديمًا، إلا أنها موجودة إلى وقتنا هذا، وقائمة على الاعتقاد بالتناسخ.

وعلى ذلك يتجلى خطورة عقيدة التناسخ حيث انتقلت من الأمم القديمة إلى السبئية والكسيانية، ثم تأثرت الإسماعيلية والدروز والنصيرية المعاصرة غير يسير بهذا المعتقد وآمنت به إيما قويًا.

وذلك لأن المنهج الذي ساروا عليه واحد مشترك بينهم، وهو إعمال العقل في الغيبيات، وعدم الالتزام بالنصوص الدينية.

ومن هنا تأتي شبهاتهم اعتمادا على الظن والهوى، وتأويلا للنصوص تأويلا باطنيا، وسأتناول شبهاتهم بالبيان والرد في المباحث الآتية إن شاء الله.

الباب الثالث

شبه القائلين بالتناسخ والرد عليها

وفيه فصلان

تمهيد:

نشأت عقيدة التناسخ نتيجة تحريف عقيدة اليوم الآخر وحتمية الجزاء، التي تواترت في كل الأديان، والخوض بالعقل في الغيبيات، وعدم التحاكم في ذلك إلى الوحي الرباني الذي هو المصدر الوحيد لمعرفة الغيبيات، فاعتمد القائلون بالتناسخ على شبهات في إثبات هذا المعتقد، وهي لا تكون بمثابة الدلائل؛ لأن الشبهة هي «ما ثبت بظن غير الدليل دليلاً»[١]. وعلى ذلك قامت شبهاتهم على الظن والهوى.

«وإنما دخلت الشبه من ثلاث طرق ترجع إلى طريق واحد، وذلك أن قوما نظروا إلى أن العقل هو الأصل في النظر والاستدلال»[٢] فخاضوا بعقولهم في كل ما أرادوا معرفته.

ومن هنا سار التناسخيون في شبهاتهم على الظن وادعاء العلم بدون سند، فالظن لا يغني عن الحق شيئا، وسموا ذلك علما وعقلا، فقياسهم فاسد حيث قاسوا الأمور الغيبية على ما شاهدوه بحواسهم في الدنيا.

يقول ابن القيم عن منشأ الشبهة: «وهذه الفتنة تنشأ تارة من فهم فاسد، وتارة من نقل كاذب، وتارة من حق ثابت خفي على الرجل فلم يظفر به، وتارة من غرض فاسد وهوى متبع، فهي من عمى في البصيرة، وفساد في الإرادة»[٣].

فمن هذه الطرق نشأت شبه القائلين بالتناسخ، التي تخالف صحيح المنقول وصريح المعقول، والتي تعتمد على إقرار جزء من الحق حيث أن عقيدة

---

(١) التعريفات، للجرجاني ص ١٢٤.

(٢) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية ٨/ ٤٩، ٥٠.

(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم الجوزية ٢/ ١٧٧، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٢هـ= ١٩٩٢م.

الجزاء من أهم عقائد الديانات الصحيحة إلا أن معرفة كيفيتها لا يمكن إلا بالوحي. وعلى مقتضى الشبهات ينتحل التناسخيون الحق ظاهراً ويدعون التزام النصوص مع أنهم يخرجون بها عن معناها بالتأويل الباطني أو التوجيه الفلسفي.

ومن هنا حملوا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي وردت في بيان البعث بعد الموت، حملوها على معنى التناسخ، ثم أولوا ما جاء من النصوص لبيان الثواب والعقاب الأخرويين، وكل ذلك لا يتعلق بالتناسخ لا من قريب ولا من بعيد.

وعلى تنوع شبهاتهم قسمتها إلى قسمين: أولهما من قبيل الأمثلة التي استدلوا بها على عقيدة التناسخ، وهي من جهة قياسهم الغائب على الشاهد، ونتيجة عقولهم البليدة. كما أنهم نهجوا في بعض شبهاتهم منهج الفلاسفة، وعلى ذلك سميتها الشبه العقلية.

وأما القسم الثاني: فهو جاء على طريق لي النصوص الدينية ثم استخدامها لإثبات عقيدة التناسخ، فهو شبه نقلية بتأويل هذه النصوص الدينية كيفما اتفقوا.

الفصل الأول شبه عقلية والرد عليها.

اعتمد التناسخيون شبها عقلية ظنوها دليلا على صدق ما ذهبوا إليه، وهي في الحقيقة جهل وظن ووهم، وهذه الشبه منها :-

أولا - قولهم بقدم النفس والروح وبقائهما:

الذين قالوا بالنسخ والمسخ قالوا: «إن النفس لا تتناهى والعالم لا يتناهى لأمده فالنفس متنقلة أبدًا، وليس انتقالها إلى نوعها بأولى من انتقالها إلى غير نوعها . . .

والذين قالوا بالنسخ فقط هم الدهرية، ودليلهم هو ما سبق في الأول، وزادوا «قالوا: ولا يجوز أن تنتقل إلى غير النوع الذي أوجب لها طبعها الإشراف عليه وتعلقها به»[١].

كما أنهم قالوا إيمانا بأزلية الروح: لزم للأزلي أن تكون صفته وعادته أزلية، ولا يكون معطلا لكونه شعوريا، ومن صفات الروح الفعل، ومن عاداتها التقمص، وعلى ذلك لزم للروح أن تتناسخ.[٢]

الرد:

هذه الشبهة مبنية على القول بقدم العالم والروح، وأنهما لا تنتهيان «وهذا قول فقد كل وزن منذ كشف الإنسان أسرار الذرة . . . لقد أثبت العلم أن المادة مركب صائر إلى الفناء، فإذا انفجرت الذرة من المادة استحالت طاقة كهربية هي غير المادة فعلا وطبيعة . . . وعلى هذا فالأرض والكواكب وما بينهما وما حولهما كل أولئك متحولات قريبًا أو بعيدًا عن أعيانها إلى حالات لا بقاء معها لشيء اسمه الحياة»[٣].

---

(١) الفصل لابن حزم ١/ ١٦٦.

(٢) انظر كليات آرية مسافر، لبندت ليك رام، بلغة اردو، الجزء الأول، ص ٩١.

(٣) الإسلام في مواجهة الباطنية لأبي الهيثم ص ٥٦، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م، دار الصحوة للنشر.

كما جاء القرآن يقرر حدوث العالم وفناءه يقول تعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾[١] ويقول أيضًا: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾[٢] كما يدل على حدوث العالم «أنه لا يخلو من الحوادث، وكل ما لا ينفك عن الحوادث حادث...»[٣].

وأما الروح فهي أيضًا ليست موجودة من الأزل، فقد خلقها الله تعالى، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية «روح الآدمي مخلوقة، مبدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة»[٤]. ويقول ابن القيم في هذا الشأن: «فهذه مسألة زل فيها عالم، وضل فيها طوائف من بني آدم، وهدى الله أتباع رسوله فيها للحق المبين والصواب المستبين، فأجمعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم على أنها محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة، هذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، كما يعلم بالاضطرار من دينهم أن العالم حادث، وأن معاد الأبدان واقع وأن الله وحده الخالق وكل ما سواه مخلوق به، وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم وهي القرون الفضيلة على ذلك من غير اختلاف بينهم في حدوثها وأنها مخلوقة...»[٥].

فثبت بذلك كله حدوث العالم والروح، ودليلهم قائم على قدمهما فبطل أساس الدليل.

وأما القول بأن الفعل صفة الروح والتقمص عادتها قول باطل؛ لأنه يلزم على ذلك أن الروح تخلق الأجسام وتتقمص بنفسها، فلماذا تحتاج الروح في الخلق والموت إلى الله تعالى.[٦]

(١) الرحمن، الآية: ٢٦، ٢٧.

(٢) القصص، الآية: ٨٨.

(٣) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٥٣.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤/٢١٦.

(٥) الروح، لابن قيم الجوزية ص ٣١٩، ٣٢٠، تقديم وتحقيق: الشيخ محمد شريف سكر، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ = ١٩٩١م، دار إحياء العلوم، بيروت.

(٦) انظر آواگمن كا تحقيقي جائزه (التناسخ) أبو محمد إمام الدين، ص ٤٨، بلغة اردو.

ويمكن أن نلخص الرد فيما يأتي :

١- شبهة القائلين بالتناسخ قائمة على الإيمان بقدم العالم والروح .

٢- ثبت عقلا ونقلا حدوثهما ، وعدم قدمهما ، كما أنه تقرر علميا حدوث العالم وفناؤه .

٣- وبذلك بطل استدلال التناسخيين على ثبوت التناسخ ، بثبوت بطلان ما اعتمدوا عليه .

ثانيا : قولهم : تباين المتولدات بين الصحة والمرض دليل على أجزية مستحقة لأعمال سابقة (للعدل الإلهي) .

قال أصحاب التناسخ : تحمل الأرواح في الأجسام شتى أنواع الراحة والمشقة يدل على أنها ليست إلا أجزية على الأعمال السابقة ، وإلا فالنتائج كلها كانت على منوال واحد ؛ لأن اللّه عادل ، نرى أن طفلا يتولد على الصحة بينما الآخر يتولد أعمى وأعرج وأجذم ، فكل ذلك يدل على التناسخ .[١]

الــــرد:

إن هذا الدليل قائم على أن الإنسان الأول كان على منهج واحد في الأخلاق والعادات والسلوك ، ولم يكن يختلف فيها من إنسان إلى إنسان آخر ، كما قال العالم الهندوسي "سوامي ديانند"[٢] في خطبته التي ألقاها في

---

(١) انظر كليات آريه مسافر لبندت ليك رام ، الجزء الأول ، ص ٩٠ ، وانظر قريبا من هذه الشبهة في كتاب الفصل لابن حزم ١/ ١٦٨ .

(٢) هو مؤسس منظمة "آريه سماج" (المجتمع الآري) ولد في منطقة سوراشترا من ولاية غوجرات الهندية سنة ١٨٢٤م ، وينتمي إلى أسرة برهمية ، كان اسمه مول شنكر ، ولكن اشتهر بـ ديانند سرسوتي ، بعد تجواله المستمر في أرجاء الهند اتصل بعالم هندوسي "ورجانند" في مدينة متهرا ، وتلمذ عليه ، وتأثر كثيرا بأفكاره الدينية ، وقد رفض الاهتمام بطقوس الاغتسال في نهر كنگا والحج إلى الأماكن المقدسة في الهندوسية ، ويرى أن الويد هو الوحيد كمصدر ديني ، وأما الكتب الدينية الأخرى مثل "بهاگوَتْ" و "پورانا" فهي ليست مصدر ثقة ، كما ينكر على عبادة التماثيل . وأسس منظمة باسم "آريه سماج" سنة ١٨٧٥هـ ، في مدينة بومبائي ، ومات في مدينة أجمير سنة ١٨٨٣م . انظر : هندو دهرم كي جديد شخصيتين (اردو) لمحمد فاروق خان من ص ١٢ إلى ص ١٥ .

مدينة "بونا"[١] في يوليـو سنة ١٨٧٥م، قـال: خلق اللّه في بداية العـالم مجموعة من الإنسان والحيوان . . . ولم يكن بينهم اختلاف كما حدث فيما بعد بسبب العلم والأعمال. . . »[٢].

والظاهر أن هذا خطأ كما ورد في قصة ابني آدم عليه السلام قال تعالى:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَآؤُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٣]

فهذه القصة القرآنية تخبر ما حدث بين هابيل وقابيل ابني آدم عليه السلام من خلاف، وذلك لأن هابيل كان على التقوى والعمل الصالح بينما كان قابيل على الظلم والحسد والبغي والفساد، يقول ابن كثير في تفسير هذه الآيات: «يقول تعالى مبينا وخيم عاقبة البغي والحسد والظلم في خبر ابني آدم، لصلبه في قول الجمهور، وهما قابيل وهابيل كيف عدا أحدهما على الآخر فقتله بغيا عليه وحسدا له، فيما وهبه اللّه من النعمة وتقبل القربان الذي أخلص فيه للّه عزوجل، ففاز المقتول بوضع الآثام والدخول إلى الجنة، وخاب القاتل ورجع بالصفقة الخاسرة في الدارين»[٤].

---

(١) مدينة "پونا" (بونا) مدينة ومركز مديرية تقع في ولاية مهاراشترا من الهند، وهي المركز الثقافي لغرب الهند، ويطلق على سكان تلك المنطقة "**المرائها**". انظر دائرة المعارف الإسلامية (أردو) ٥/ ٧٢٨، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ=١٩٧١م، دانشگاه پنجاب لاهور، وانظر الهند القديمة، للدكتور محمد إسماعيل الندوي ص ١٧.

(٢) انظر كتاب آواگمن كا تحقيقي جائزة (التناسخ) أبو محمد إمام الدين ص ٣١ وما بعدها.

(٣) المائدة، الآيات: ٢٧-٣٠.

(٤) تفسير ابن كثير ٢/ ٦٦.

وبذلك بطل القول بأن الإنسان الأول كان على نسق واحد في الطبائع؛ لأن هذا القول دعوى بغير دليل، فهم لم يشاهدوا الإنسان الأول، وليس من يقين عنه إلا ما أخبر به الوحي الإلهي، ونزلت به الكتب، وجاءت به الرسل، أما سائر الناس فهم يقينا على ما كان عليه سلفهم من بني الإنسان، فالإنسان من حيث هو قابل للخير والشر صالح لاكتساب أيهما، قال تعالى: **﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾**[١].

أما اختلاف الناس في الطبائع والأخلاق وتمتع بعضهم بالراحة والعيشة الطيبة، وانغماس بعضهم في المصائب والشقاوة والتعب فليس لأجل أعمالهم السابقة في حياتهم السابقة، وإنما ذلك الاختلاف لحكمة شاءت قدرة اللّه أن يسير عليها العالم، فمن سنة اللّه في العالم أن الصالحين الذين قضوا حياتهم في عبادة اللّه وتقواه يبتلون بالمصائب والغم والهم؛ لأن الدنيا دار ابتلاء وامتحان، يقول عزوجل: **﴿ ا لم أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾**[٢]

يقول الحافظ ابن كثير: «ومعناه أن اللّه سبحانه وتعالى لابد أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان، كما جاء في الحديث الصحيح: **«أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على**

---

(١) الشمس، الآيات: ٧-١٠.

(٢) العنكبوت، الآيات: ١-٣.

حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء»[١].

وعلى ذلك فالأنبياء كلهم من أولهم إلى آخرهم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليهم كانت حياتهم جهادًا ومشقة، ثم الصحابة والتابعون والأئمة رضي الله عنهم، منهم من سجنوا وحبسوا، ومنهم من أوذوا في الله إيذاء، وكل هذا ليرفع الله درجاتهم ويزيدهم في إيمانهم.

وبالعكس كثير من الفساق والعصاة الذين انغمسوا في معصية الله والكفر به يعيشون في الدنيا على النعم المتنوعة والأموال الطائلة، ويتملكون السلطات والمناصب المفتخرة. وهذا أيضًا ابتلاء من الله وإمهال لهم منه، فإن لهم وبالا وعقوبة أغلظ من وبال الدنيا، يقول تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾[٢].

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: «أي لا يحسبن الذين لم يدخلوا في الإيمان أنهم يتخلصون من هذه الفتنة والامتحان، فإن من ورائهم من العقوبة والنكال ما هو أغلظ من هذا وأطم»[٣]، فهذا اختلاف الأحوال على سبيل الابتلاء، ليس على سبيل التناسخ.

ويضاف أنه إذا كان الاختلاف على ما قال أصحاب التناسخ فالأنبياء

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٦٤٤، والحديث رواه الإمام أحمد في مسنده عن سعد عن أبيه، مسند الإمام أحمد ١/ ١٧٢، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٥، ورواه الترمذي عن سعد عن أبيه بألفاظ متقاربة، وقال: هذا حديث حسن صحيح، سنن الترمذي، ج ٤، باب في الصبر على البلاء ٤٥، رقم الحديث: ٢٥٠٩، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م، ورواه ابن ماجه عن سعد مثله ٢/ ٣٨٦، باب الصبر على البلاء (٢٣)، رقم الحديث ٤٠٧٢، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض، والدارمي في سننه عن سعد مثله ٢/ ٣٢٠ كتاب الرقائق، باب في أشد الناس بلاء، دار إحياء السنة النبوية.

(٢) العنكبوت، الآية: ٤.

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٦٤٥.

والصالحون نالوا درجة النبوة والصلاح حسب أعمال صالحة سلفت في الحياة السابقة، فلماذا لحقت بهم المصائب والبلايا في نفس الوقت أكثر من غيرهم؟ أليس هذا تعارضا؟.

وأما الاختلاف في الخلقة والأشكال والولادة المشوهة فيحدث كثيراً ما بسبب غفلة الوالدين، ويبين سوامي ديانند التعاليم الضرورية للوالدين بهذا الصدد فيقول: «يجب على الوالدين أن يتجنبا قبل الحمل وأثناءه وبعده عن المخدرات والخمر وأشياء ذي رائحة كريهة، وكل ما يخرب العقل، وأن يستعملا من الغذاء ما يؤدي إلى الصحة والطمأنينة والقوة والعقل والأخلاق الفاضلة، مثل: السمن والحليب والحلاوى لتكون بويضة المرأة ومني الرجل نقيا وصافيا من كل عيوب وفساد، ومتميزاً بالصفات الحسنة... على المرأة أن تستعمل قبل الحمل الأشياء التي تورث الطمأنينة والهمة والصحة والجمال والقوة والعقل»[١].

فشهد شاهد من أهله أن الاختلاف في الخلقة والأشكال ليس على سبيل التناسخ، وبذلك «أقلع توجيه سوامي أساس التناسخ وأكبر دليل عليه، فالحالات المختلفة للإنسان ليست بسبب التناسخ، بل الأخلاق والأعمال والأحوال للوالدين هي سببها»[٢].

وعلى ذلك «كثيرا ما يكمن خلف التشوه أسباب وراثية تقع تبعتها على أشخاص أسرفوا في الرذائل فجنوا بذلك على ذرياتهم... وقد أجرت بعض المؤسسات العلمية في فرنسا وألمانيا إحصاء دقيقًا لأسرتين، تحدرت إحديهما من سكير والأخرى من سكيرة، فكان حصاد كل منهما مئات المشوهين خلقا

---

(١) كتاب "آواگمن لأبي محمد إمام الدين ص ٤٩، نقلا عن ستيارتهـ پركاش، لسوامي ديانند، الباب الثاني ص ١٥.

(٢) المرجع السابق ص ٤٩.

وخلقًا»[١].

وكثيراً من الأمور نراها شرا في الظاهر وهي خير من ناحية أخرى، فنشاهد الطبيب قد يجري عملية الجراحة على المريض، فيصيبه الألم، ولكنه بعد فترة يتنعم بالصحة لأجل هذه العملية، فالألم أصبح خيراً له.

وكذلك أحد ولدين لشخص يعيش في اللهو واللعب بينما الآخر يجتهد ليلا ونهاراً، ويشتغل في تحصيل العلم، فلو قال قائل إن أباه قد ظلمه حيث قيّد حياته في الجهد والتعب، وأطلق الآخر حرّاً يلعب ويتفرج، فهذا الحكم ليس إلا على الظاهر، ولم يراع المآل الذي يترتب على عملهما في المستقبل»[٢].

فالأول على هامش الحياة ساقط في الرذائل والإجرام بينما الآخر صار له شأن ورفعة بما حصل من علم ومعرفة فهل يستويان؟

فاختلاف الناس بين الصحة والمرض والسعادة والشقاء لا ينافي عدل الله عزوجل، بل هو عين عدله سبحانه وتعالى؛ إذ مقتضى العدل المؤاخذة على أساس المعطى للإنسان من الله وهو كذلك فلا يستوي العالم والجاهل والقادر والعاجز، والمكره والمريد. . . الخ. فبطل الأساس والزعم، وصدق الله إذ يقول: ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ، مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ**﴾[٣]، ويقول: ﴿**لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ**﴾[٤].

ثالثا: قولهم: الجزاء بالجنة والنار على عموم الأعمال يتنافى مع العدل الإلهي.

---

(١) الإسلام في مواجهة الباطنية، لأبي الهيثم ص ٥٢.

(٢) انظر كتاب رد تناسخ (باللغة الاردية) لمولانا سيد مرتضى حسن ص ٢٤، ٢٥، مطبعة أفضل المطابع، مراد آباد - الهند.

(٣) القصص، الآية: ٦٨.

(٤) الشورى، الآية: ٤٩.

قالوا: إن منكري التناسخ يؤمنون بالجنة والنار جزاء على أعمال الحياة الدنيا، وهذا خطأ؛ لأن اللّه عادل وجزاء الأعمال المحددة بالجنة والنار الخالدين يتنافى مع عدله؛ لأن العدل يقتضي أن يجزى على عمل محدد جزاء محددا. فنضطر إلى الإيمان بالتناسخ لدفع توهم الظلم عن اللّه.[1]

الـــرد:

أصحاب التناسخ يزنون الأعمال بالميزان المادي وعلى هذا لا يصح التوافق بين العمل والجزاء عندهم، والحقيقة أن هذا الأصل لا يوافق نظام الجزاء الدنيوي أيضًا، فلو سب أحد إنسانا فماذا يكون معيار الجزاء على هذا الأصل؟

لذلك يقال: إن قانون الجزاء لا يقوم على أن العمل كم استغرق من الزمن، وإنما الجزاء يترتب على حسب قيمة العمل، نرى إنسانا بذل جهده وخدمته لصالح حكومة فينال الجزاء مثلا بشكل راتب دائم طول حياته، أو يحصل على منصب وتقدير، وقد صرف في جهده يومًا أو أسبوعًا أو شهرًا مثلا.

ورجل آخر بغى على الحكومة، قد يعاقب بالسجن المؤبد ولو كان تحقق بغيه في يوم أو عدة أيام، فهل هذا الجزاء مناف للعدل؟.

لا يقول أحد: إن الجزاء ومنح بعض الجوائز بهذا الشكل هو خلاف العدل؛ لأن الأصل الذي هو معيار الجزاء قيمة العمل والإخلاص فيه أو العكس.

هكذا رجل تقي صالح قد مات وقضى حياته في عبادة اللّه وإطاعته، وصار قدوة لآلاف الناس في عبادة اللّه، فكم يستحق من الجزاء على هذا العمل؟ هل على قدر حياته في الدنيا فقط؟

---

(١) انظر كليات آريه مسافر لبندت ليك رام، ص ٩٠ (باللغة الأردية).

وشخص آخر هو كافر كان يعصي اللّه مدى حياته فأفسد آلاف الناس فصاروا في معصية اللّه له تبع، فكم يستحق هذا من الجزاء؟ هل بقدر حياته الفاسدة كما وقدرا، أم بقدر ما أفسد في نفسه وفي الآخرين فتضم أعمار الآخرين لعمره باعتباره إماما لهم في الفساد؟

والحق أن الناس توزن أعمالهم بقدر ما أخلصوا فيها فمن طبيعة الأول الإخلاص والإطاعة، ومن طبيعة الثاني الطغيان والعصيان، فلا يحدد صلاح الأول بعمره فحسب، والثاني كذلك. ولذلك يجزي اللّه الأول الجنة والثاني النار خالداً أبدا إلا أن يشاء اللّه[١]. وهذا لا ينافي عدله.

ولو حاسب اللّه الإنسان على ما من عليه من النعم التي لا تحصى، وتفضل عليه من الكرم والعطايا، لو حاسبه حسابا دقيقًا، ثم يعد المعاصي والخطايا التي انغمس فيها الإنسان لا يمكن دخوله في الجنة، لذلك من إكرام اللّه الإنسان أنه يدخله الجنة بفضله وكرمه لا بعوض الأعمال.

وقد ورد عن النبي صلى اللّه عليه وسلم أنه قال: «**سددوا وقاربوا وأبشروا فإنه لا يدخل أحدا الجنة عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول اللّه؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني اللّه بمغفرة ورحمة**»[٢].

يقول ابن القيم: «فأخبر أن دخول الجنة ليس في مقابلة عمل أحد، وأنه لولا رحمة اللّه لعبده لما أدخله الجنة؛ لأن العمل بمجرده ولو تناهى لا يوجب

---

(١) انظر كتاب آواكمن لأبي محمد إمام الدين ص ٤٩، ٥٠.

(٢) رواه البخاري بسنده عن عائشة رضي اللّه عنها، صحيح البخاري بشرح فتح الباري ١١/ ٢٩٤، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، رقم الحديث ٦٤٦٧، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر. ورواه مسلم أيضًا بلفظ «فإنه لن يدخل الجنة أحداً عمله» صحيح مسلم ٤/ ٢١٧١، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لن يدخل أحد الجنة بعلمه بل برحمة اللّه تعالى، رقم الحديث ٢٨١٨، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ط: ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

بمجرده دخول الجنة، ولا أن يكون عوضًا لها؛ لأنه ولو وقع على الوجه الذي يحبه اللّه لا يقاوم نعمة اللّه، بل جميع العمل لا يوازي نعمة واحدة، فتبقى سائر نعمه مقتضية لشكرها، وهو لم يوفها حق شكرها، فلو عذبه في هذه الحالة لعذبه وهو غير ظالم، وإذا رحمه في هذه الحالة كانت رحمته خيرا من عمله»[١].

فالمقارنة بين الأعمال والجزاء الأخروي بالكم لا يصح أبدًا، ومن ثم يبطل بناء عقيدة التناسخ على هذا الأساس.

رابعا: قولهم: قصر عمر الإنسان يتنافي مع صفة الرحمة الإلهية، حيث إنه لا يكفي لإصلاح ما أفسد من قبل، (فرحمة اللّه سبقت غضبه).

قالوا: لا تثبت صفة الرحمة المبالغة للّه تعالى ما دام لا تمنح الفرصة للعاصي؛ لأن يعمل أعمالا حسنة.[٢] وفصّل هذه الشبهة محمد[٣] عبدالوهاب حيث قال: «إن المدة القصيرة مثل: خمسين أو أربعين سنة لا تكفي للارتقاء الإنساني إلى الدرجة الملكوتية، وكثير من الناس ماتوا قبل

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢٩٦/١١.

(٢) انظر كليات آريه مسافر ص ٩٠.

(٣) محمد عبد الوهاب: بحثت عن ترجمة له في الكتب المختلفة، ولم أعثر عليه، فسافرت إلى مدينة حيدرآباد حيث ألف فيها المذكور كتابه "حقيقة التناسخ" وراجعت المكتبات فلم أنجح بعد، ففزت في الاتصال بأحد أقربائه، وهو الأستاذ الكاتب الإسلامي الدكتور حسن الدين أحمد، وهو الذي أملأ على ترجمة له، وهي فيما يلي:

محمد بن عبد الوهاب بن محمد عبد العلي مؤلف كتاب "حقيقة التناسخ" ينتمي إلى أسرة نائطية، وكان أحد أقرباء جدي شمس العلماء نواب عزيز جنك ولا (المتوفى ١٩٢٤م) وكان بيته في حي سلطان فوره، وتحقق لقائي معه في الصغر حيث كان نحيفًا قليل السماع، كان من باحثي القرآن، لا أستطيع تحديد زمن وفاته، لعله توفى فيما بين سنتي ١٩٣١و ١٩٣٦م، واللّه أعلم. الدكتور حسن الدين أحمد †IAS (Retd) عزيز باغ، نور خان بازار، حيدرآباد - الهند.

بلوغهم سن التمييز ولم يعرفوا الرب والدين، ومنهم من ورث دين أبويه ومات فهل يخلد هذا في جهنم؟ هذا ينافي صفة الرحمة الإلهية»[١].

الـــــرد:

إن المعترض يعلق ثبوت الرحمة للّه تعالى على إثبات التناسخ، وذلك لإعطاء العاصي الفرصة لأن يحقق من أعمال صالحة من خلال تردد روحه في قوالب مختلفة، فنسئل المعترض ما هي المدة المطلوبة لأن يصير العاصي صالحاً؟ هل الحياة الدنيا ليست كافية له؟ بل يوم واحد قد يكفي لهداية الإنسان لو تدبر في نفسه وعجائب صنع اللّه تعالى، فالآيات الباهرة والدلائل البينة موجودة أمام الإنسان لمعرفة الحق وقبوله وطاعة اللّه والامتثال بأوامره والاجتناب عن نواهيه، ومن رحمة اللّه على الإنسان أنه وفر الحياة الدنيا كلها لعمله حتى لو اهتدى انسان في آخر حياته وتاب مما سلف من السيئات يقبل عند اللّه؛ لأن العبرة في الأعمال بالخواتيم.

ورد في الحديث عن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال: «**إن العبد ليعمل -فيما يرى الناس- عمل أهل الجنة، وإنه لمن أهل النار، ويعمل - فيما يرى الناس - عمل أهل النار وهو من أهل الجنة، وإنما الأعمال بخواتيمها**»[٢].

ثم إن اللّه عزوجل زاد في تكرمه وامتنانه على الإنسان أنه أرسل إليه الأنبياء والرسل مع الكتب والصحف التي توضح طريق الحق والهداية، يقول تعالى: ﴿ **وَرُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾[٣]،

---

(١) حقيقة التناسخ، لمحمد عبد الوهاب، ص ٢٣، باللغة الأردية.

(٢) صحيح البخاري بشرح فتح الباري، ١١/ ٤٠١، كتاب الرقاق، باب الأعمال بالخواتيم ومايخاف منها (٣٣).

(٣) النساء، الآية: ١٦٥.

فكل هذا فرصة تحقق ما يحتاج الإنسان إليه، ودليل على غاية رحمة اللّه وشفقته بعباده، والذي يتمرد بعد ذلك ويستمر في معصية اللّه حتى وافته المنية ثم يتمنى ويتحسر أن يرجع إلى الحياة مرة ثانية لكى يصلح حاله، يحسن أعماله صار كما قال تعالى: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ**﴾[(١)].

ويجيب اللّه على هؤلاء الكفرة بقوله: ﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ**﴾[(٢)] «فهنا كفرة تنكشف لهم عاقبة غيهم فيودون لو يرجعون كرة أخرى إلى الدنيا ليستأنفوا حياة جديدة يكفرون بها عن آثامهم الأولى، ولكن اللّه الذي جعل الدنيا ممرا إلى الآخرة سرعان ما يخيب آمالهم، ويذكرهم بأنه كان عليهم أن يستفيدوا من وجودهم الأول، فيستجيبوا لدعوة اللّه . . . أما الآن فلا رجعة . . . وليس بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار . . . »[(٣)].

فثبت بذلك أنه لا حاجة أبدًا لامتداد الفرصة إلى تكرار الولادة، إذ الحياة الدنيوية مع توفر الأجواء لهداية الإنسان أكثر بكثير مما يقتضيه طبعه، وبطل ادعاء أن صفة الرحمة للّه تقتضي ثبوت التناسخ. «بل العكس هو الصحيح حيث لا يتصور من رحمة اللّه أن ينقل روح الإنسان في أجساد الكلاب والخنازير وحشرات الأرض؛ لأن هذا ينافي رحمته»[(٤)].

ثم إن طبيعة الإنسان وغرائزه تتنافى مع هذا الادعاء فمن ألف شيئًا واعتاده التزمه إلا من رحم اللّه فحتى لو عادوا للدنيا مرة أخرى لوقعوا فيما

---

(١) السجدة، الآية: ١٢.

(٢) فاطر، الآية: ٣٧.

(٣) الإسلام في مواجهة الباطنية، لأبي الهيثم ص ٥٩.

(٤) آواگمن كا تحقيقي جائزه (التناسخ) لأبي محمد إمام الدين ص ٥١، بلغة اردو.

التزموه من قبل يقول تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[١]

ويقول ابن كثير في تفسير الآية «أي في طلبهم الرجعة، رغبة ومحبة في الإيمان، ثم قال مخبرا عنهم: أنهم لو ردوا إلى الدار الدنيا لعادوا لما نهو عنه، من الكفر والمخالفة، ﴿وَإِنَّهُم لَكَاذِبُونَ﴾ أي في قولهم: يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا، ونكون من المؤمنين»[٢].

خامسا: قياسهم الأرواح على الكواكب السيارة ظهوراً وتحولا.

استدل التناسخيون على دعواهم بمثال قالوا: كما أن الشمس والقمر والكواكب تظهر في أوقات مختلفة تطوف وتتناسخ وتطلع وتغرب، كذلك الأرواح تطلع وتغرب متناسخة.[٣]

الـــرد:

إن هذا الدليل يشعر بأن صاحبه لم يفهم معنى التناسخ فهو أن يتكرر الولادة والموت وأن يتغير الجسم على كل ولادة، أما الشمس والقمر والكواكب فلا تتكرر ولادتها وموتها ولا تتغير أجسامها، بل هي تطلع وتغرب وتكون على حالة واحدة، فلا تظهر أمامنا بتغير الأجسام.[٤]

فلا علاقة لهذا المثال بالتناسخ.

سادسا: قولهم: الخوف من الموت دليل على تذوقه ومعرفته من قبل.

قالوا: من الإنسان إلى الحيوان كل الأرواح تخاف من الموت، ويظهر من ذلك أنها نالت الجزاء في الأجسام سابقًا.[٥]

---

(١) الأنعام، الآية: ٢٨.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/٢٠٦.

(٣) انظر كليات آريه مسافر، لبندت ليك رام ١/٩٠.

(٤) انظر كتاب آواگمن، لأبي محمد إمام الدين ص ٤٧.

(٥) انظر كليات آريه مسافر، لبندت ليك رام ١/ ٩٠، بلغة اردو.

ثم قالوا: «أما ترى الصبيان والأحداث يرتاحون للدعاء لهم بطول البقاء ويحزنون للدعاء عليهم بعاجل الفناء، وماذا لهم وعليهم فيهما لولا أنهم ذاقوا حلاوة الحياة وعرفوا مرارة الوفاة في مواضي الأدورار التي تناسخوا فيها لوجود المكافاة»[١].

الـــــرد:

إن اللّه تعالى خلق جميع المخلوقات ووهبها الشعور والعقل حسب الدرجات، وكلها تحب الحياة وتخاف من الموت، بل تخاف من إصابة أي أذى، ويحذر نفسه، و أما الإنسان فهو عاقل يرى موت الإنسان كل يوم وموت الأقرباء والجيران، ويرى أنه لا يرجع أحد منهم بعد الموت. . . فاعتبار أن خوفه من الموت نتيجة لكرور روحه في أجسام سابقة حمق وسفه.[٢]

ومن العجب أن أصحاب التناسخ يستدلون بشعور الخوف من الموت على التناسخ ولكنهم إذا سئلوا عن تذكر الإنسان عن الحياة السابقة فيجيبون بأن الإنسان عقله محدود ولذلك ينسى كثيراً من الأمور والأحداث. صحيح هذا، ولكن الذي يتكرر من الأعمال كيف ينساها، ولا ينسى الموت الذي لا يحدث إلا مرة في الحياة.

ولو قيل: إن الإنسان مر بمراحل الموت مراراً في قوالب مختلفة، يقال: وكذلك إنه مارس آلاف الأعمال في كل قالب حسب زعمهم فتذكره تلك الأعمال أولى من تذكره الموت.

فإذاً لا يصح الاستدلال بشعور الخوف من الموت على ثبوت التناسخ، وبالعكس يمكن أن ينقلب الدليل ردا على القائلين بالتناسخ، وذلك لأن الخوف من الموت يدل على أنه سيقع مرة واحدة.

---

(١) تحقيق ما للهند، للبيروني ٤٣.

(٢) انظر كتاب آواگمن، لأبي محمد إمام الدين ص ٥٥.

ولو سلمنا وقوع الموت عدة مرات في السابق لما خاف الإنسان منه، بل استأنس منه، وعلى ذلك أمثلة كثيرة من الواقع، فالذي يمر على ملك أول مرة يفزع ويخاف، ولكنه لو كثرت اللقاءات والتوارد على الملك ذهب خوفه واستأنس منه.

فشعور الإنسان بالخوف من الموت يدل على عدم تكراره سابقًا، وهذا يدل على أن روحه لم تتناسخ في قوالب مختلفة.[١]

ونستطيع القول بأن هذه الشبهة إن وجدت فلا تصح دليلا على التناسخ؛ لأن الخوف ناتج من صفة لازمة للكائن الحي، وهي الحرص ... ثم إن الجزاء ثوابا وعقابا إن لم يتذكر معه الإنسان سالف عمله الذي استحق الثواب أو العقاب فما جدوى الجزاء.

إن الثواب لا يكون كذلك إلا إذا كان من جنس ما يحبه الإنسان ويحرص عليه، وبتذكره صالح عمله يكون ذلك مدعاة لعدم تركه العمل الصالح.

والعقاب لا يكون إلا بفوات مغنم أو حصول مغرم مما يحبه الإنسان ويدرك معناه، وبتذكره أن هذا العقاب جزاء عمله هذا يكون ذلك داعية لعدم فعله أو الاقتراب منه، وبذلك يتحقق معنى الثواب والعقاب لا في غفلة ونسيان وعدم تذكر ما سلف. إذًا فلا مجال لادعاء أن الخوف من الموت دليل على التناسخ وتكرار الولادة، وإنما الخوف أو كراهية الموت ناتجة من تصادم وقوعه مع غريزة حب البقاء التي استودعها الله الإنسان فحسب.

والحقيقة أن الإنسان يعيش في عالم مادي محسوس بين المال والأولاد والأقرباء والأصدقاء فهو حريص على بقاء الحياة بينها والتمتع بها، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ

---

(١) انظر كتاب "رد تناسخ" لمولانا سيد مرتضى حسن ص ١٠، ١١، ١٢، بتصرف بلغة اردو.

الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[١]

وموت الإنسان هو انقطاعه عن هذا المتاع فلذلك يخاف من وقوعه، والصالحون الذين زهدوا في الدنيا وعرفوا أنها ليست إلا محطة مرور للرحلة إلى الحياة الأبدية، وداوموا على أعمال صالحة ترضى اللّه وتقرب إلى الجنة فلا يمسهم خوف من الموت، بل الذين يجاهدون في سبيل اللّه لتكون كلمة اللّه هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى، هم دائما في شوق ورغبة في الاستشهاد، والموت في سبيل اللّه، وها هو خالد بن الوليد سيف اللّه وبطل الإسلام رضي اللّه عنه يتحسر - وهو على فراش الموت- لأنه لم يستشهد في ميدان المعركة، مع أن جسده ليس منه موضع شبر إلا وفيه طعنة بسيف أو رمية برمح.

جاء في أسد الغابة قوله: «فلما حضرت خالد بن الوليد الوفاة قال: لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما في بدني موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية، وها أنا أموت على فراشي كما يموت العير، فلا نامت أعين الجبناء، وما من عمل أرجى من لا إله إلا اللّه وأنا متترس بها»[٢].

كما ورد الحديث في فضل تمني الشهادة، عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال: «**والذي نفسي بيده، وددت أني أقاتل في**

---

(١) آل عمران، الآية: ١٤.

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري ١/ ٥٨٨، دار الفكر.

سبيل الله فأقتل، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل»[١] .

كما ورد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول : **«لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي يا جابر مالي أراك منكسرًا؟ قلت: يا رسول الله استشهد أبي وترك عيالا ودينا، قال: قال: ألا أبشرك بما لقي الله به أباك؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجابه وأحيى أباك فكلمه كفاحًا، فقال: تمن عليّ أعطيك، قال: يا رب تحيين فأقتل فيك ثانية، قال الرب تبارك وتعالى: إنه قد سبق مني أنهم لا يرجعون، قال: وأنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾**[٢]

وفيه دلالة على أن أباه تمنى بعد استشهاده يوم أحد العودة للدنيا والقتال ثانية لما رأى من عطاء الله وجزائه ونعيمه للشهداء .

سابعًا : قولهم : النفوس متناهية والأبدان غير متناهية .

«القائلون بالتناسخ يحتجون لصحة دعواهم بقولهم : إن النفوس قد صح

---

(١) رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب التمني، باب ما جاء في التمني ومن تمنى الشهادة ١٣/ ٢١٧، رقم الحديث ٧٢٢٦، وفي كتاب الإيمان باب الجهاد من الإيمان ١/ ٩٢، رقم الحديث ٣٦، وكذلك في كتاب الجهاد، باب تمني الشهادة ٦/ ١٦، رقم الحديث ٢٧٩٧ .

وكذلك رواه النسائي بسنده عن أبي هريرة مرفوعًا بزيادة في بداية الحديث : «والذي نفسي بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم بأن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سيرة تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده . . . الخ . سنن النسائي بشرح السيوطي ٥/ ٣٢، كتاب الجهاد، باب تمنى الموت في سبيل الله، دار إحياء التراث العربي بيروت .

(٢) رواه الترمذي بسنده عن جابر بن عبد الله، وقال : هذا حديث حسن غريب . سنن الترمذي ٤/ ٢٩٨، أبواب تفسير القرآن، رقم الحديث ٤٠٩٧، ورواه الحاكم بسنده عن عائشة رضي الله عنها، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد، المستدرك للحاكم النيسابوري ٣/ ٢٠٣، كتاب المغازي والسير، ذكر مناقب عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م . والآية ١٦٩، من سورة آل عمران .

من أمرها أنها جواهر مفارقة للمادة، وصح من أمرها أنها تفارق الأبدان بعد الموت، وصح أن الأبدان المادية غير متناهية، فلا يخلوا إما أن تكون النفوس متناهية أو غير متناهية.

فإن كانت النفوس الموجودة الآن، المفارقة للأبدان المادية غير متناهية وجد ما لا يتناهي بالفعل، وهذا محال.

وإن كانت متناهية، وأبدانها غير متناهية، لم يكن بد من التناسخ وكرورها في الأبدان»[١].

الـــــرد:

نقول: ما المراد بقول: إن الأبدان المادية غير متناهية؟

إن كانوا يقصدون بذلك أن الأبدان المادية غير متناهية بحيث لا تعد ولا تحصى، فما المانع من القول بأن النفوس أيضًا غير متناهية، حيث هي لا تعد ولا تحصى، ولو كان المراد بعدم التناهي أن الأبدان المادية لا تقف عند حد بل يسري وجودها إلى ما لا نهاية له، فهذا باطل، حيث أن العالم يفنى في وقت من الأوقات حين يأتي يوم القيامة، قال تعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُوا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾[٢].

فعلى الأول بطل القول: بأن النفوس متناهية، وعلى الثاني بطل القول: بأن الأبدان المادية غير متناهية، وإذا بطلت المقدمات بطل الاستدلال.

والصحيح أن الأرواح محدودة حسب الأجسام ينفخها الله تعالى في الأجسام بعد أن مرت الأجسام في بطون الأمهات بثلاث مراحل: النطفة، ثم العلقة، ثم المضغة، وذلك بعد مرور ثلاثة أشهر، جاء في الحديث عن عبدالله

---

(١) الأضحوية في المعاد، لابن سينا، ص ١١٤، ١١٥، تحقيق: د/ حسن عاصي، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

(٢) الرحمن، الآية: ٢٦، ٢٧.

بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله إليه الملك، فينفخ فيه الروح ... الخ.**»[١].

فينفخ الروح في كل جسم في الرحم بعد مضى أربعة أشهر. وعلى ذلك كل جسم قد خلق الله له روحا خاصة، وإذًا لا يمكن دخول روح أخرى في الجسم الجديد.

وابن سينا رد على شبهة القائلين بالتناسخ، يقول بعد ذكر شبههم: «وإذ قد حكينا حجج القائلين بالتناسخ، وفي اختلافهم فيما بينهم، فإنا موقفون على موضع التدليس من كلامهم، وهو في فرضهم النفوس موجودة قبل الأبدان، ثم في احتجاجهم لذلك بأن ما يحدث بحدوث المزاج فهو صورة مادية، وهذا غير أولى، ولا ذائع على الإطلاق.

وإن كان ذائعًا فعساه يكون ذائعًا عند قوم مخصوصين، ثم ليس بواجب أن يكون وجود النفس بعد مفارقة البدن كوجوده قبله، فعساه قبله لم يعرض له علة من علل منع الدخول في الأبدان، وعرض له ذلك عند وجوده في البدن، فإذا فسدت هذه المقدمات لم تصح القياسات التي بنوها على تسليمها»[٢].

ثم أورد ابن سينا دليلا لإبطال التناسخ، يقول:

«قد أوضحنا أن النفس إنما حدثت وتكثرت مع تهيؤ الأبدان، على أن

---

(١) صحيح البخاري بشرح فتح الباري ٦/ ٣٠٣، كتاب بدء الخلق، باب (٦)، و١١/ ٤٧٧، كتاب القدر، باب (١)، و٦/ ٣٦٣، كتاب الأنبياء، باب (١). وصحيح مسلم ٤/ ٢٠٣٦، كتاب القدر، باب (١). وسنن الترمذي ٣/ ٣٠٢، أبواب القدر، ٤- باب ما جاء أن الأعمال بالخواتيم.

(٢) الأضحوية لابن سينا، ص ١٢١، ١٢٢، تحقيق: د/ حسن عاصي.

تهيؤ الأبدان يوجب أن يفيض وجود النفس لها من العلل المفارقة لها، وظهر من ذلك أن هذا يكون لا على سبيل الاتفاق والبخت، حتى يكون ليس وجود النفس الحادثة لاستحقاق هذا المزاج نفسا مدبرة حادثة، ولكن كان يوجد نفس واتفق أن يكون وجد معها بدن، فحينئذ لا يكون للتكثر علة ذاتية ألبتة، بل عرضية، وقد عرفنا أن العلل الذاتية هي أولا، ثم العرضية.

فإذا كان كذلك فكل بدن يستحق مع حدوث مزاجه حدوث نفس له، وليس بدن يستحقه وبدن لا يستحقه، إذ أشخاص الأنواع لا تختلف في الأمور التي بها تتقوم، فإذا فرضنا أن نفسا تناسختها أبدان، وكل بدن فإنه بذاته يستحق نفسا تحدث له وتتعلق به، فيكون البدن الواحد فيه نفسان معًا. ثم العلاقة بين النفس والبدن ليس هي على سبيل الانطباع فيه - كما قلنا - بل علاقة الاشتغال به حتى تشعر النفس بذلك البدن، وينفعل البدن عن تلك النفس، وكل حيوان فإنه يستشعر نفسه نفسًا واحدة هي المصرفة والمدبرة، فإن كان هناك نفس أخرى لا يشعر الحيوان بها، ولا هي بنفسها، ولا تشتغل بالبدن، فليس لها علاقة مع البدن، لأن العلاقة لم تكن إلا بهذا النحو، فلا يكون تناسخ بوجه من الوجوه»[1].

وخلاصة ما قال: إن لكل بدن نفسا واحدة هي المتصرفة فيه، وعلى القول بالتناسخ يلزم أن يكون لكل بدن نفسان وهذا باطل، لذلك القول بالتناسخ باطل.

ثامنا: تعلق النفوس بالأبدان لتستكمل بها ولا تتدنس.

قال أصحاب التناسخ: إن النفوس إنما تعلقت بالأبدان لتستكمل بها فإذا انقطع تعلقها عن البدن ولم تبلغ إلى حد الكمال كانت متدنسة بالمعتقدات

---

(١) أحوال النفس، لابن سينا، ص١٠٦، ١٠٧، تحقيق: د/ أحمد فؤاد الأهواني، الطبعة الأولى، ١٣٧١هـ = ١٩٥٢م، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

الفاسدة، والأخلاق الذميمة، فتقضى العناية الأزلية أن يتعلق ببدن آخر، ولايزال كذلك إلى أن يحصل لها الاستكمال التام»[١].

الــــرد:

إن الله خلق الإنسان ومهد أمامه طريقين: طريق الخير، وطريق الشر. يقول تعالى: ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾[٢] ومعناه: «قال المفسرون: بينا له طريق الخير وطريق الشر»[٣].

كما قال تعالى: ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾[٤]، ثم منح الله عزوجل الإنسان الفرصة للعمل وحرضه على الإتيان بالحسنات، وحذره من ارتكاب السيئات والمنكرات، فالنفوس التي لم تبلغ إلى الكمال وتدنست بالمعتقدات الفاسدة والأخلاق الذميمة، فهذا النقص والتدنس بسبب تقصير النفوس فهي تتحمل مسؤوليتها، وعلى هذا تجزى في اليوم الآخر، وليس على الله إبلاغ كل نفس إلى الكمال وإلا فما الحكمة من خلق الإنسان، وما فائدة الجزاء المترتب على حسب الأعمال.

هذا وهناك بعض الردود التي رد بها بعض العلماء على المنهج الفلسفي منها:

أ - النفس إذا فارقت البدن فإما أن يصح أن تبقى مجردة حينا من الأحيان بعد ذلك أو لا يصح. فإن صح ذلك مع أنه يصح تعلقها ببدن آخر على وجه التناسخ كانت فيما بين البدنين معطلة، ولا تعطل في الطبيعة.

وإن لم يصح ذلك لزم أن يكون عدد الهالكين مساويا لعدد الكائنين،

---

(١) الرسالة في التناسخ (مخطوطة) ص ٣.

(٢) البلد، الآية: ١٠.

(٣) تفسير فتح القدير، لمحمد علي الشوكاني ٥/٦٢٩.

(٤) الكهف، الآية: ٢٩.

حتى إنه متى فسد بدن وفارقته نفسه ففي تلك الحالة يتكون بدن آخر تتعلق به تلك النفس وليس الأمر كذلك[١].

ب - والدليل الثاني الذي رد به بعض العلماء على القائلين بالتناسخ «ماذكره المتكلمون من أن النفس لو كانت قبل ذلك في بدن آخر لكانت تذكر الآن أنها كانت قبل ذلك في بدن آخر؛ لأنه قد ثبت أن جوهرها هو محل العلم والحفظ والتذكر، والصفات القائمة بذاتها لا تختلف باختلاف أحوال البدن، فإن النفس في صفاتها وذاتها مجردة عن البدن، وكان يجب أن تبقى علومها بعد مفارقة ذلك البدن حتى نتذكر في هذا البدن كيفية أحوالها في ذلك البدن، فلما لم نتذكر شيئًا من ذلك علمنا أنها ما كانت موجودة في بدن آخر»[٢].

---

(١) المباحث المشرقية، للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي، المتوفى ٦٠٦هـ، ٢/ ٣٩٧، ٣٩٨، مكتبة الأسدي، بطهران، ١٩٦٦م.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٩٨.

الفصل الثاني: شبه نقلية والرد عليها:

الاستدلال بآيات المسخ على التناسخ:

ذكر القائلون بالتناسخ آيات قرآنية وأحاديث نبوية توهموها دليلا على التناسخ. ومن ذلك ما ورد في شأن بني إسرائيل مثل:

قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِيْنَ اعْتَدَوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾[١]

وقوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُوْنُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾[٢]

وقوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ**﴾[٣]

وقالوا: قد وردت أحاديث توثق أن المسخ هذا كان حقيقيا، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصدق بالمسخ، ومما ما ورد في السنة المطهرة من ذلك:

ما جاء في البخاري بسنده عن عبد الرحمن بن غنم الأشعري، قال: حدثني أبو عامر - أو أبو مالك- الأشعري: والله ما كذبني: سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير، والخمر والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جنب علم، يروح عليهم بسارحة لهم، يأتيهم - يعني الفقير - لحاجة فيقولوا: ارجع إلينا غداً، فيبيتهم الله ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة**»[٤].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦٦.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٠.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه، ص٢١٢٣.

وكذلك روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام يرى أباه يوم القيامة عليه الغبرة القترة**»[١].

ذهب القائلون بالتناسخ إلى أن هذه الآيات والأحاديث أدلة على صدق معتقدهم في التناسخ، فقالوا: يستنتج من الآيات والأحاديث السابقة أن الإنسان ينال جزاء أعماله السيئة في هذه الدنيا، فالذين مسخهم الله وقع مسخهم في هذه الدنيا»[٢].

الــــــرد:

المسخ الذي ورد ذكره في القرآن وحدث في بني إسرائيل ليس له علاقة بالتناسخ، وذلك لأن المفسرين اختلفوا في المراد بالمسخ أكان معنويا أم حقيقيا إلى رأيين:

١- المسخ المعنوي:

ذهب إلى هذا الرأي مجاهد فيرى أن معنى الآية: «مسخت قلوبهم، ولم يمسخوا قردة، وإنما هو مثل ضربه الله ﴿**كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً**﴾[٣].

والشيخ محمد رشيد رضا يذهب إلى هذا الرأى يقول: «ولو صح المسخ الحقيقي لما كان في الآية عبرة ولا موعظة للعصاة؛ لأنهم يعلمون بالمشاهدة أن الله لا يمسخ كل عاص فيخرجه عن نوع الإنسان، إذ ليس ذلك من سننه في خلقه، وإنما العبرة الكبرى في العلم بأن من سنن الله تعالى في الذين خلوا من قبل، أن من يفسق عن أمر ربه، ويتنكب الصراط الذي شرعه له، ينزل عن

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ٢٥٩، لا تخزني يوم يبعثون، ص ١٧٨٧.

(٢) انظر كتاب حقيقة التناسخ، لمحمد عبد الوهاب، ص ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، وكتاب كليات آريه مسافر، لبندت ليك رام، ص ١٢٠، ١٢١.

(٣) تفسير ابن كثير ١/١٥٨، ١٥٩.

مرتبة الإنسان ويلتحق بعجماوات الحيوان»[١].

وعلى كون مسخ عصاة بني إسرائيل مسخا معنويا لا يتعلق المسخ هذا بالتناسخ.

٢- المسخ الحقيقي:

وهذا رأي الجمهور، جاء في تفسير روح المعاني: «وظاهر القرآن أنهم مسخوا قردة على الحقيقة، وعلى ذلك جمهور المفسرين»[٢].

فعلى هذا المعنى أيضًا المسخ لا يكون من التناسخ، وذلك لما يأتي:

« ١- أنهم بعد أن مسخوا لم يأكلوا ولم يشربوا ولم يتناسلوا، والرواية عن ابن عباس أنهم ما مكثوا إلا ثلاثة أيام ثم هلكوا، وذلك على عكس رأي التناسخية بأن الأرواح تتقلب في الأجساد دائما ثوابا وعقابا، وقد سئل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم عن القردة والخنازير أهي مما مسخ؟ فقال: «**إن اللّه تعالى لم يهلك قوما أو يعذب قوما فيجعل لهم نسلا، وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك**»[٣].

٢- إن ذلك لم يكن عاما في جميع البشر، وإنما هو خاص بطائفة معينة أعرضت عن الحق واستمرأت الباطل، وذلك بخلاف قول التناسخية بعموم تنقل الأرواح.

٣- إن من مسخ قردًا تحولت بنيته الإنسانية إلى هيكل القرد فقط، وبقيت

---

(١) تفسير المنار، للسيد محمد رشيد رضا، ١/ ٣٤٤، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية.

(٢) تفسير روح المعاني، للآلوسي ١/ ٢٨٣.

(٣) رواه مسلم بسنده عن عبد اللّه بن مسعود، صحيح مسلم، كتاب القدر، باب (٦)، ٤/ ٢٠٥١، ٢٠٥٢، ورواه الإمام أحمد بسنده عن عبد اللّه بن مسعود بألفاظ متقاربة، مسند أحمد بن حنبل ١/ ٣٩٠، ٤١٣، ٤٣٣، ٤٤٥، ٤٦٦.

الروح فيه، بخلاف رأى التناسخية بأن الروح تفارق بدنها الأول وتنقل إلى بدن آخر قد يكون إنسانا وقد يكون حيواناً»[١].

وبذلك كله تبين بطلان استدلالهم بالمسخ وزعم أنه هو تناسخ.

الاستدلال بالآيات التي تدل على الولادة الثانية (الحياة بعد الممات)

قالوا: لما نظرنا في القرآن عرفنا أن الإنسان يولد في الدنيا أكثر من مرة واحدة، وتوضح الآيات التالية هذا المعنى، منها:[٢]

قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ**﴾[٣]

الـــرد:

اختلف المفسرون في الموت والحياة المذكورة في الآية، هل هما حقيقيان أم معنويان، فذهب ابن كثير إلى أن الموت ثم الحياة وقعتا حقيقية جسمانية يقول:

«وذكر غير واحد من السلف أن هؤلاء القوم، كانوا أهل بلدة في زمان بني إسرائيل استوخموا أرضهم، وأصابهم بها وباء شديد، فخرجوا فراراً من الموت، هاربين إلى البرية، فنزلوا وادياً أفيح، فملأوا ما بين عدوتيه، فأرسل الله إليهم ملكين، أحدهما من أسفل الوادي والآخر من أعلاه، فصاحا بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم موتة رجل واحد، فحيزوا إلى حظائر، وبنى عليه جدران، وفنوا وتمزقوا وتفرقوا، فلما كان بعد دهر مر بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له: حزقيل، فسأل الله أن يحييهم على يديه فأجابه إلى

---

(١) كتاب الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة، للدكتور محمد سيد أحمد المسير ص ٢١٣، ٢١٥، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م، دار المعارف، القاهرة.

(٢) انظر كتاب حقيقة التناسخ، لمحمد عبد الوهاب ص ٥٧ - ٦٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٤٣.

ذلك، وأمره أن يقول: أيتها العظام البالية، إن الله يأمرك أن تجتمعي، فاجتمع عظام كل جسد بعضها إلى بعض، ثم أمره فنادى: أيتها العظام إن الله يأمرك أن تكتسي لحما وعصبا وجلدًا، فكان ذلك وهو يشاهده ثم أمره فنادى: أيتها الأرواح، إن الله يأمرك أن ترجع كل روح إلى الجسد الذي كانت تعمره، فقاموا أحياء ينظرون قد أحياهم الله بعد رقدتهم الطويلة، وهم يقولون: سبحانك لا إله إلا أنت، وكان في إحيائهم عبرة ودليل قاطع على وقوع المعاد الجسماني يوم القيامة»[١].

وبناء على هذا القول والحياة الثانية لهؤلاء القوم لا يلزم القول بالتناسخ؛ وذلك لأن الإحياء كان في نفس الجسد، ولم يتحقق في جسد آخر، ومن المعلوم أن التناسخ هو انتقال الروح من جسد إلى جسد آخر، كما أن الحياة عادت في أجسادهم بعدزمن طويل، ولم يتحقق تسلسل التناقل، ثم إن هذا كله ليس من سنن الله، فقد حدث في قوم خاص، وزمن خاص عبرة لأولي الأبصار، وكدليل على وقوع البعث يوم القيامة، فإذًا لا يصح الاستدلال بالآية على صحة التناسخ بوجه من الوجوه.

هذا وقد رأى بعض المفسرين أن المراد بالموت والحياة في الآية هو المعنوي «فمعنى حياة الأمم وموتها في عرف الناس جميعهم معروف، فمعنى موت أولئك القوم هو أن العدو نكل بهم فأفنى قوتهم، وأزال استقلال أمتهم حتى صارت لا تعد أمة . . . ومعنى حياتهم هو عود الاستقلال إليهم»[٢].

كما استدل[٣] أصحاب التناسخ أيضًا بقوله تعالى: ﴿ **أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة**

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٤٤٦.

(٢) تفسير المنار، للسيد محمد رشيد رضا ٢/ ٤٥٨.

(٣) انظر كتاب حقيقة التناسخ، لمحمد عبد الوهاب ص ٥٧.

عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحمًا فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾[١] .

الـــــرد:

الرد على هذه الشبهة كالرد على الشبهة السابقة في الآية المذكورة، فإن في الحياة الجديدة في نفس الجسد بعد مائة عام لا يتحقق معنى التناسخ، بل هذه من عجائب الله قد يحدثها ليكون ردًا على منكري البعث، ولذلك قال تعالى في هذه الآية: ﴿ **ولنجعلك آية للناس**﴾[٢]

واستدل أصحاب التناسخ على تكرار الولادة بقوله تعالى:

﴿**كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون**﴾[٣] .

وكذلك قوله تعالى: ﴿**قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل**﴾[٤] .

الـــــرد:

تكرار الموت والولادة ثابت متحقق بالآيتين، ولكن هذا التكرار لا يعني التناسخ، فقد نقل ابن كثير في تفسير الآية رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما: «كنتم أمواتًا فأحياكم: أمواتًا في أصلاب آبائكم لم تكونوا شيئًا حتى خلقكم ثم يميتكم موتة الحق ثم يحييكم حين يبعثكم، قال وهي مثل قوله

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨.

(٤) سورة غافر، الآية: ١١.

تعالى: ﴿**أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين**﴾، وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ **أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين**﴾، قال: كنتم ترابًا قبل أن يخلقكم، فهذه ميتة، ثم أحياكم فخلقكم، فهذه حياة، ثم يميتكم فترجعون إلى القبور، فهذه ميتة أخرى، ثم يبعثكم يوم القيامة فهذه حياة أخرى فهذه ميتتان وحياتان»[١].

فالحياة الثانية تكون البعث يوم القيامة، لا يتكرر في هذه الحياة الدنيوية، ومن أكبر المشاكل أن التناسخيين لا يؤمنون بالبعث؛ ولذلك يحملون الآيات التي تصرح بالحياة الثانية التي هي البعث بعد الموت، على معنى التناسخ.

واستدل[٢] أصحاب التناسخ على تكرار الولادة، ومن ثم ثبوت التناسخ بقوله تعالى: ﴿**ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما، فآواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً، ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أ إذا كنا عظامًا ورفاتا أ إنا لمبعوثون خلقًا جديداً، أو لم يروا أن اللّه الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفوراً**﴾[٣].

الـــرد:

إن الآيات السابقة ليس فيها أمر يوهم ثبوت التناسخ، فما أدري بأي جزء منها يستدل المعترض على التناسخ؟ فإن تشابه عليه الأمر من قوله تعالى: ﴿**ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما**﴾، فأين هو ذلك، وقد قال ابن كثير في بيان معنى الآية: «وقوله: ﴿**عميا**﴾ أي: لا يبصرون، ﴿**وبكما**﴾ يعني لا ينطقون، ﴿**وصما**﴾ لا يسمعون، وهذا يكون في حال دون

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ١٠٣.

(٢) انظر كتاب حقيقة التناسخ، لمحمد عبد الوهاب ص ٥٧، ٥٨، بلغة اردو.

(٣) سورة الإسراء، الآيات ٩٧، ٩٨، ٩٩.

حال جزاء لهم، كما كانوا في الدنيا بكما وعميا وصما عن الحق، فجوزوا في محشرهم بذلك أحوج ما يحتاجون إليه»[١].

فجزاؤهم بهذا يكون في المحشر لا في الدنيا.

وبالعكس يرد اللّه عـز وجل على منكري البعث، وعلى أن الإيمان بالتناسخ يؤدي إنكار البعث فتعين الرد على القائلين بالتناسخ، فيقول تعالى: **﴿ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أ إذا كنا عظامًا ورفاتا أ إنا لمبعوثون خلقًا جديداً﴾**.

يقول ابن كثير: «يقول تعالى: هذا الذي جازيناهم به من البعث على العمي والبكم والصم جزاؤهم الذي يستحقونه، لأنهم كذبوا **﴿بآياتنا﴾** أي بأدلتنا وحججنا، واستبعدوا وقوع البعث **﴿ وقالوا أ إذا كنا عظاما ورفاتا}** **أي بالية نخرة {أإنا لمبعوثون خلقًا جديداً﴾** أي: بعد ما صرنا إليه من البلى والهلاك والتفرق والذهاب في الأرض نعاد مرة ثانية؟ فاحتج تعالى عليهم ونبههم على قدرته على ذلك بأنه خلق السماوات والأرض فقدرته على إعادتهم أسهل من ذلك»[٢].

وبهذا كله اتضح أن الآية القرآنية لا تثبت التناسخ، وإنما ترد على هذه العقيدة الخرافية.

واستدل أصحاب[٣] التناسخ على تكرار الولادة بقوله تعالى:

﴿اللّه الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم، هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون﴾[٤]

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ١٠٧.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ١٠٨.

(٣) انظر كتاب حقيقة التناسخ، لمحمد عبد الوهاب ص ٥٨.

(٤) سورة الروم، الآية ٤٠.

الـــــرد:

هذه الآية تدل دلالة واضحة على البعث بعد الموت بعد نهاية هذه الدنيا، وليس فيها شيء يدل على تكرار الولادة في الدنيا، يقول الفخر الرازي في تفسير هذه الآية:

«جمع في هذه الآية بين إثبات الأصلين: الحشر والتوحيد، أما الحشر: فبقوله: ﴿**ثم يحييكم**﴾، والدليل قدرته على الخلق ابتداء، وأما التوحيد فبقوله: ﴿**هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء**﴾»[(١)].

واستدل[(٢)] أصحاب التناسخ على تكرار الولادة بقوله تعالى:

﴿ **والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجًا**﴾[(٣)].

الـــرد:

قال الشوكاني في معنى قوله تعالى: ﴿**والله أنبتكم من الأرض نباتًا**﴾: «يعني آدم خلق الله من أديم الأرض، والمعنى: أنشأكم منها إنشاء . . . وقيل المعنى: والله أنبت لكم من الأرض النبات ﴿**ثم يعيدكم فيها**﴾ أي: في الأرض ﴿**ويخرجكم إخراجًا**﴾ يعني يخرجكم منها بالبعث يوم القيامة»[(٤)].

فالإخراج الذي هو الحياة الثانية يكون بالبعث، فإذًا لا علاقة للآية بالتناسخ.

واستدل أصحاب[(٥)] التناسخ بقوله تعالى:

﴿**وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر، وما لهم**

---

(١) تفسير الفخر الرازي ١٣/ ١٢٨.

(٢) انظر كتاب حقيقة التناسخ، لمحمد عبد الوهاب ص ٥٨، بلغة اردو.

(٣) سورة نوح، الآية: ١٧، ١٨.

(٤) تفسير فتح القدير للشوكاني، ٥/ ٤١٨، ٤١٩.

(٥) انظر الملل والنحل للشهرستاني ٢/ ٣٦٠.

بذلك من علم إن هم إلا يظنون، وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين، قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[١] .

قالوا : إن السؤال الواقع في الآية يدل على ثبوت التناسخ .[٢]

الـــــرد:

قامت شبهات التناسخيين على قدم العالم وعدم فنائه[٣]، ومن ثم أنكروا البعث والحشر، يصور الله عزوجل مزاعمهم قائلا : **﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا﴾**، يقول ابن كثير في تفسير الآية :

«أي ماثم إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون، وما ثم معاد ولا قيامة، وهذا يقوله مشركوا العرب المنكرون المعاد، وتقوله الفلاسفة الإلهيون منهم، وهم ينكرون البداءة والرجعة، وتقوله الفلاسفة الدهرية الذرية المنكرون للصانع، المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه، وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهي، فكابروا العقول وكذبوا المنقول، ولهذا قالوا : **﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾**[٤] .

فرد الله على زعمهم وجهلهم وقال : **﴿وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون﴾**، فالآية ترد على الدهرية والقائلين بالتناسخ .

وأما المشكك محمد عبد الوهاب إن أراد بالسؤال الموجود في الآية من قبل الدهريين قوله تعالى : **﴿ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين﴾**، فالآية بعدها التي توضح الحياة والموت ثم الجمع يوم الحشر ترد على

---

(١) سورة الجاثية، الآيات : ٢٤، ٢٥، ٢٦ .

(٢) انظر كتاب حقيقة التناسخ، لمحمد عبد الوهاب ص ٥٩، بلغة اردو.

(٣) انظر المبحث من هذا الفصل للردود على شبهاتهم العقلية، قد رددنا على زعمهم بقدم العالم وعدم فنائه، (الرد الأول).

(٤) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٣٠ .

حجتهم المزعومة ردا مسكتا، وتقدم حجة دامغة، فاللّه الخالق العليم بكل شيء، هو الذي سيحييهم ثم يميتهم ثم يجمعهم إلى يوم القيامة، ذلك اليوم الذي لا ريب فيه ولكن أكثرهم لا يعلمون. فهذه الآيات كيف يستدل بها على التناسخ، بل هي ردود عليه.

يقول المعترض[١]: هناك آيات أخرى من القرآن تدل على تكرار الولادة في الدنيا، مثل قوله تعالى:

﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق، ثم اللّه ينشئ النشأة الآخرة، إن اللّه على كل شيء قدير﴾[٢].

الــــــــرد:

إن المعترض أراد من القرآن المعاني التي لم يردها اللّه عزوجل، ولذلك كل الآيات التي سيقت لبيان البعث والحشر تأول فيها لغرض فاسد، ومثل ذلك هذه الآية، فإنها بما قبلها وردت لتأكيد المعاد. «يقول تعالى مخبرا عن الخليل عليه السلام أنه أرشدهم إلى إثبات المعاد الذي ينكرونه بما يشاهدونه في أنفسهم من خلق اللّه إياهم بعد أن لم يكونوا شيئًا مذكورًا، ثم وجدوا وصاروا أناسا سامعين مبصرين، فالذي بدأ هذا قادر على إعادته، فإنه سهل يسير لديه، ثم أرشدهم إلى الاعتبار بما في الآفاق من الآيات المشاهدة من خلق اللّه الأشياء: السماوات وما فيها من الكواكب النيرة الثوابت والسيارات، والأرضين وما فيها من مهاد وجبال، وأودية وبراري وقفار، وأشجار وأنهار وثمار وبحار، كل ذلك دال على حدوثها في أنفسها، وعلى وجود صانعها الفاعل المختار الذي يقول للشيء كن فيكون»[٣].

---

(١) حقيقة التناسخ، لمحمد عبد الوهاب ص ٦٨.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٦٥١.

فهذا كله يدل على البعث وإبطال التناسخ .

واستدلوا كذلك بقوله تعالى :

﴿ أ فعيينا بالخلق الأول، بل هم في لبس من خلق جديد﴾[١] .

الـــــرد:

هذه الآية أيضا رد الله عزوجل فيها على منكري البعث، فمعنى الآية، كما قال ابن كثير : «أي أ فأعجزنا ابتداء الخلق حتى هم في شك من الإعادة **﴿بل هم في لبس من خلق جديد﴾**، والمعنى أن ابتداء الخلق لم يعجزنا، والإعادة أسهل منه»[٢] . والبعث بعد الموت يتنافي مع عقيدة التناسخ، ومن هنا يعتبر هذا ردا على التناسخ على خلاف ما شاء المعترض .

---

(١) سورة ق، الآية: ١٥ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٤٤.

الاستدلال بآيات تبديل الجلود يوم العذاب:

استدل أصحاب التناسخ بقوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾[1].

وقالوا: إن معنى قوله تعالى: **﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها﴾**: أي كلما نضجت أبدانهم بدلناهم أبدانًا غير أبدانهم السابقة.[2]

الـــــرد:

نضج الجلود إما أن يكون على الحقيقة، أو يكون على المجاز بأن يكون المراد بتبديل الجلود دوام العذاب، وعلى كلا التقديرين لا يتقرر معنى التناسخ.

جاء في تفسير المنار: نضج الجلود هو نحو نضج الثمار والطعام، وهو عبارة عن فقد التماسك الحيوي والبعد عن الحياة، وإنما تتبدل لأن النضج يذهب القوة الحيوية التي بها الإحساس، فإذا بقيت ناضجة يقل الإحساس بما يمسها أو يزول؛ لذلك تتبدل بها جلود حية غيرها . . .

وقال بعض المفسرين: أن المراد بتبديل الجلود دوام العذاب . . . ثم قال: والظاهر أن نضج الجلود من العذاب إن كان حقيقة لا مجازًا يكون هو أثر لفح النار بسمومها لأهل تلك الدار، كما قال تعالى: ﴿تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون﴾، ومتى لفح الجلد مراراً يبطل إحساسه وينفصل عن البشرة ويتربى تحته جلد آخر كما هو مشاهد في الدنيا»[3].

وعلى تقدير نضج الجلود وتغييرها بجلود أخرى حقيقة لا علاقة له

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٦.

(٢) انظر كليات آريه مسافر، لبندت ليك رام، ص ١٢٢.

(٣) تفسير المنار، للسيد محمد رشيد رضا ٥/ ١٦٧، ١٦٨.

بالتناسخ؛ لأن الجلود مهما تتبدل فالجسم هو باق على حاله مع الروح، وأما التناسخ فهو انتقال الروح من جسم إلى جسم آخر.

هذا ومن المعلوم أن الآية صريحة في عذاب النار الذي يقع في العالم الآخر لا في الدنيا، والتناسخ على القائلين به تكرار الولادة في هذا العالم، فإذًا لا علاقة للآية بالتناسخ بوجه من الوجوه.

اعتبار شتى الأمم مثل بني البشر:

استدل كذلك أصحاب[1] التناسخ بقوله تعالى:

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾[2].

فقالوا: «صريح هذه الآية يدل على أنه لا دابة ولا طائر إلا وهي أمثالنا، ولفظ المماثلة يقتضي حصول المساواة في جميع الصفات الذاتية»[3].

الـــــرد:

قد بين الفخر الرازي وجه المماثلة بين الإنسان، والدواب والطيور هو وصول العناية الإلهية إلى كلها.[4]

وقد نقل صاحب تفسير المنار عن الدر المنثور «عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿إلا أمم أمثالكم﴾ قال: أصنافا مصنفة تعرف بأسمائها - وعن قتادة: الطير أمة والإنس أمة والجن أمة - وعن السدى: خلق أمثالكم، فالأولان على أن المماثلة بالصفات المشتركة التي يتميز به بعض الأنواع والأصناف عن بعض، وهي التي نسميها المقومات والمشخصات، والثالث: على أن المماثلة في أصل

---

(١) انظر كتاب كليات آريه مسافر لبندت ليك رام، ص ١٢٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٨،

(٣) تفسير الفخر الرازي ٦/ ٢٢٥.

(٤) انظر المرجع السابق ص ٢٢٤.

الخلق، أي كونها مخلوقة مثلنا، ويتبع ذلك ما يلازمه من حكمة الله وتدبيره فينا وفيها»[١].

فحصول المماثلة بين الإنسان والحيوان في بعض الأمور والصفات المذكورة لا يقتضي التناسخ، إذ كل منهما أمم على حدة لا تداخل بينها ولا تناسخ.

الاستدلال بالآيات التي تبين تمني بعض النفوس الرجوع إلى الدنيا.

قالوا[٢]: من خصائص أحوال النفس أنه لو حدثت حادثة تشتاق النفس إلى ظهورها مراراً، وقد ثبت من الآيات القرآنية ميل النفس إلى الحياة بعد الموت، فلولا أن صح تكرار ولادة الإنسان في الدنيا لما كانت نفسه تميل إلى الرجوع، ومما يدل على ميل النفس إلى الرجوع،

قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴾[٣].

الـــــرد:

إن شوق النفس إلى الرجوع للحياة لا يلزم به تحقق أمنيتها، فإن كثيراً من الرغبات والميول الإنسانية في الدنيا ليست إلا مجرد هوى ورؤيا لا تتحقق في الواقع؛ لأن نظام العالم لا يسير وفق الرغبات والأماني التي لا تجدي منفعة ولا تحقق فائدة. وإنما يسير وفق مشيئة الله الذي خلق العالم وسير قوانينه بحكمة لا يعرفها إلا هو.

ثم لا يصح تعميم الحكم على الإنسان، فإن الذي يتمنى الرجوع إلى الدنيا لا يكون إلا عاصياً وكافراً، يقول ابن كثير في تفسير الآية: «يخبر تعالى عن حال المحتضر عند الموت من الكافرين أو المفرطين في أمر الله، وقيلهم عند

---

(١) تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا ٧/ ٣٩٢، ٣٩٣.

(٢) انظر حقيقة التناسخ، لمحمد عبد الوهاب ص ٦٧.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٩٩.

ذلك وسؤالهم الرجعة إلى الدنيا ليصلح ما كان أفسده في مدة حياته»[١].

وإذا كانت مشيئة الله تنفي هذه الرغبة السخيفة فقال تعالى في نفس الآية ردا على هؤلاء العصاة الكفرة: ﴿كلا، إنها كلمة هو قائلها﴾ «أي لا نجيبه إلى ما طلب ولا نقبل منه»[٢].

كما يرد الله تعالى على هؤلاء الكفرة الذين يتمنون الرجوع إلى الدنيا في قوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾[٣].

«فهنا كفرة تنكشف لهم عاقبة غيهم فيودون لو يرجعون كرة أخرى إلى الدنيا ليستأنفوا حياة جديدة، يكفرون بها عن آثامهم الأولى، ولكن الله الذي جعل الدنيا ممرا إلى الآخرة سرعان ما يخيب آمالهم، ويذكرهم بأنه كان عليهم أن يستفيدوا من وجودهم الأول، فيستجيبوا لدعوة الله . . . أما الآن فلا رجعة . . . وليس بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار»[٤].

فلو ثبت وجود شوق الإنسان إلى الرجعة فثبت بطلان تحقق شوقه من الآية فبطل الاستدلال إذًا، لأن الله عزوجل قرر في سنته أن الموتى لا يرجعون إلى الدنيا[٥].

هذا موجز عن شبهات التناسخيين التي استنتجوها بليّ النصوص الدينية؛ ولذلك كل الآيات التي تنص على وقوع البعث حملوها على معنى التناسخ ومن ثم تأولوا معاني الجنة والنار والقيامة تأويلات فاسدة.

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٠٨.

(٢) المرجع السابق ٣/ ٤٠٩.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٣٧.

(٤) الإسلام في مواجهة الباطنية، لأبي الهيثم ص ٥٩.

(٥) راجع في ذلك المبحث الأول من هذا الفصل.

وبعد ذكر الردود العقلية والنقلية يمكن أن نعلق على شبهاتهم بما يلي :

أولا :

إن الآيات القرآنية ركزت على الإيمان بالبعث، ذلك لأن كثيرا من الأمم كفرت به واستبعدت وقوعه بعد ما مات الإنسان وبلى جسده، فجاء القرآن يرد على مزاعم هؤلاء ويثبت البعث بالحجج العقلية القوية، وبالتالي يكون ردًا على العقائد التي تتنافي مع عقيدة البعث؛

«لأن روح القرآن العامة تركز مفاهيم البعث على أنه عملية إحياء لا موت بعدها، يحشر فيها الناس إلى ربهم لأداء حسابهم، ثم يساق هؤلاء إلى نعيم، وأولئك إلى جحيم . . . وأنها تأتي عقيب عملية تدمير عام تتغير فيها معالم الكون، ففيها ترج الأرض رجا، وتبس الجبال بسا، وتشتعل البحار حتى تستحيل لهبا مسجورا، . . . وفيها تنشق السماء وتطوى كالسجل، وتكشط النجوم وتكون كالمهل . . .

والتقمص يناقض هذا كله إذ هو في مفهوم أصحابه عملية تحويل وانتقال مستمرة أبدًا لا يتصور لها نهاية، وهي بذلك تستتبع الحكم بسرمدية الأرض والأفلاك، فلا يعتريها فناء ولا اضمحلال»[1].

فإذًا يعتبر القرآن ردا عنيفا وحجة دامغة على منكري البعث، والقائلين بالتناسخ. واستنتاج هذا المعتقد من الآيات القرآنية مكابرة ودعاوي واهية. وإنما لجأ هؤلاء المنتحلون المبطلون إلى هذا التأويل الفاسد مسايرة لمن يبثوا بينهم دعوتهم؛ لأنهم لو صرحوا بكفرهم ما استجابوا لهم، فعملوا على إفساد الدين من داخله – قاتلهم اللّه أنى يؤفكون– .

---

(١) الإسلام في مواجهة الباطنية، لأبي الهيثم، ص ٤٧، ٤٨ .

ثانيــا:

إن الشرع قد حدد لنا مجالا للبحث والخوض فيه في إطار التعليم والتعلم ولا يجوز لنا أن نتعدى هذا المجال وندخل في مجالات أخرى ليس بوسعنا أن نصل فيها إلى غاية مطلوبة، وهدف مقصود. فإن الله عزوجل قد خص تلك المجالات لنفسه.

والغيبيات التي لا تدركها حواسنا من هذه المجالات التي لا يجوز للإنسان أن يخوض فيها بظنه وخياله. بل يجب أن يعتمد في ذلك على الوحي الرباني الذي يكشف أستار الغيبيات، يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي:

«وإن تصور التناسخ إنما هو شيء يتعلق بالمغيبات، كما هو معلوم. والأمور الغيبية لا سلطان للعقل عليها مادام بينه وبينها حجاب لا ينفذ منه أي برهان من البراهين التجريبية والمشاهدة أو اللزوم البين أو القياس الأولى القائمين على الاستقراء التام، فالخيال قد يذهب في تصور هذه المغيبات كل مذهب، ولكن العقل لا يصدق أي مذهب منها ما لم يقم عليه البرهان السليم...»[1].

ثالــثا:

إذا كان الإيمان بالتناسخ نتيجة لخوض العقل فيما لا مجال له، وبعيداً عن منهج الوحي الذي يحق له وحده أن يسيطر على مثل هذا المجال، فليس الإيمان بالتناسخ إلا اتباع الظن والهوى، يقول تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾[2].

---

(١) كبرى اليقينيات الكونية، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، ص ٣٣٦. الطبعة الخامسة، ١٣٩٧هـ، دار الفكر.

(٢) سورة النجم، الآية: ٢٣.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

«وكل من خالف الرسول لا يخرج عن الظن وما تهوى الأنفس ، فإن كان ممن يعتقد ما قاله وله فيه حجة يستدل بها كان غايته الظن الذي لا يغني من الحق شيئًا ، كاحتجاجهم بقياس فاسد أو نقل كاذب ، أو خطاب ألقى إليهم اعتقدوا أنه من اللّه وكان من إلقاء الشيطان .

وهذه الثلاثة هي عمدة من يخالف السنة بما يراه حجة ودليلا ، إما أن يحتج بأدلة عقلية ويظنها برهانا وأدلة قطعية ، وتكون شبهات فاسدة مركبة من ألفاظ مجملة ومعان متشابهة ، لم يميز بين حقها وباطلها كما يوجد مثل ذلك في جميع ما يحتج به من خالف الكتاب والسنة ، إنما يركب حججه من ألفاظ متشابهة ، فإذا وقع الاستفسار والتفصيل تبين الحق من الباطل ، وهذه هي الحجج العقلية .

وإن تمسك المبطل بحجج سمعية فإما أن تكون كذبًا على الرسول ، أو تكون غير دالة على ما احتج بها أهل البطول»[١] .

وكما عرفنا في شبهات أصحاب التناسخ أنها قائمة على القياس الفاسد والأمثلة المتناقضة ، وسلكوا في الشبهات النقلية ومحاولة الاستدلال بالآيات القرآنية مسلكا بعيدًا عن المدلولات الصحيحة الواقعية كما بينتها الأحاديث النبوية . وعلى هذا ليس التناسخ إلا الظن وما تهوى الأنفس .

رابعــــا:

كما ثبت أن التناسخ عقيدة يرفضها الوحي الرباني ، والعقل الإنساني فهي لا تتمشى كذلك مع التحضر والمدنية ، «وتجر الإنسان جرا إلى الرهبانية وترك الدينا ، إنه لما يعتقده القائلون بهذه العقيدة أن الشهوة هي أصل كل فساد في

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣/ ٦٧ ، ٦٨ .

الأرض، وهي التي تلوث الروح بالذنوب والآثام؛ ولأجلها تنتقل الروح من قالب إلى قالب، وتذوق وبال أعمالها مرة بعد مرة، فالإنسان إذا أودى بها وقضى عليها ولم يشغل نفسه بمشاغل الدنيا وشواغبها، فلروحه أن تنال الخلاص من دورة التناسخ، ويقولون: ليست هناك سبيل أخرى للخلاص من دورة التناسخ غير هذه؛ لأنه من المحال إذا انشغل الإنسان بمشاغل الدنيا وشواغبها وشؤونها الخلابة أن يأمن على نفسه الافتتان بالدنيا، والاسترسال وراء شهواتها وملاهيها، والنتيجة اللازمة لذلك (يقولون) أن من أراد لنفسه الخلاص من دورة التناسخ فعليه أن ينعزل عن الدنيا، ولا يسكن إلا في الغابات، ورؤوس الجبال وكهوفها . . .

فهل لهذه الفكرة أن تكون مساعدة للإنسان على ترقية المدنية والحضارة بحال؟ وهل لأمة أن تنال الرقى والتقدم في الدنيا إذا آمنت بهذه العقيدة؟»[١] .

فمن خلال هذا الاستعراض نصل إلى نتيجة أن التناسخ لا حقيقة له، لافي النصوص الدينية، ولا في العقل والفهم الصحيح، كما أنه لا مجال له في الحضارة والمدنية الإنسانية، فهو ليس إلا وليد الخيال الواهي والطغيان العقدي نتيجة للانحراف عن المنهج الإسلامي القويم .

---

(١) الإسلام، لسعيد حوى، الجزء الرابع، ص ١١٧، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة ١٣٩٧هـ= ١٩٧٧م.

المبحث الثالث: موقف الإسلام من عقيدة التناسخ:

إن الإيمان بالبعث واليوم الآخر ركن هام من أركان الإيمان بالله، فلا يكمل الإيمان بدون الإيمان باليوم الآخر والبعث بعد الموت، وعلى ذلك فمن أنكر البعث فقد كفر بدين الله، يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

«والذي ينكر البعث كافر، والدليل: قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾»[١].

[التغابن، الآية: ٧].

ويبين الشيخ أبو عثمان الصابوني عقيدة السلف في البعث يقول: «ويؤمن أهل الدين والسنة بالبعث بعد الموت يوم القيامة، وبكل ما أخبر الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم من أهل ذلك اليوم الحق، واختلاف أحوال العباد فيه والخلق فيما يرونه ويلقونه هنالك في ذلك اليوم الهائل من أخذ الكتب بالأيمان والشمائل، والإجابة عن المسائل إلى سائر الزلازل والبلابل الموعودة في ذلك اليوم العظيم، والمقام الهائل من الصراط والميزان ونشر الصحف التي فيها مثاقيل الذر من الخير وغيرها»[٢].

ويؤكد أهمية الإيمان بالبعث شارح العقيدة الطحاوية حيث يقول: «الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة، والعقل والفطرة السليمة، فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز، وأقام الدليل عليه، وردّ على منكريه في غالب سور القرآن، وذلك: أن الأنبياء عليهم السلام كلهم متفقون على الإيمان بالله، فإن الإقرار بالرب عام في بني آدم، وهو فطري، كلهم يقر بالرب، إلا

---

(١) مجموعة التوحيد، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب رحمهما الله، ص٧٨، مكتبة دار حراء للنشر والتوزيع.

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث، تأليف شيخ الإسلام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني (٣٧٣ - ٤٤٩هـ) ص ٧٥، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ= ١٩٩٤م، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة.

من عاند كفرعون، بخلاف الإيمان باليوم الآخر، فإن منكريه كثيرون، ومحمد صلى الله عليه وسلم لما كان خاتم الأنبياء، وكان قد بعث هو والساعة كهاتين، وكان هو الحاشر المقفّى، بيّن تفضيل الآخرة بيانًا لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء»[١].

وبعد هذه الأهمية والمكانة الحساسة لعقيدة البعث في الدين الإسلامي نأتي إلى عقيدة التناسخ، وهل لها تدخل في عقيدة البعث يوم القيامة؟

إن عقيدة التناسخ مبنية على أساس فكرة الجزاء، فتقلب الأرواح في الأجساد المختلفة في الدينا - حسب عقيدة التناسخيين - ليس إلا جزاء على ما عمل الإنسان في الحياة السابقة. فإذًا على أساس هذه العقيدة، الدنيا هي دار عمل ودار جزاء كذلك، ولذلك تهدم هذه العقيدة وجود اليوم الآخر وضرورة البعث فيه، كما أنه لا حاجة إذًا لوجود الجنة والنار اللذين قد خلقهما الله تعالى جزاءً لأهل الخير وأهل الشر.

ومن هنا نستطيع أن نقول: إن عقيدة التناسخ تهدم أساسا الإيمان باليوم الآخر وما يتعلق به من البعث والجنة والنار.

ولما دخل هذا المعتقد في غلاة الشيعة من أصحاب الديانات والفلسفات القديمة فدخل بهذا الخداع والمكر ضد أركان الإسلام، فنادوا جهارًا بإنكار البعث والجنة والنار، وتأولوا الآيات القرآنية التي دلت عليها صراحة خداعًا لعامة المسلمين بأنهم من أهل الإسلام يؤمنون بالقرآن والسنة تسترًا بالحقد ومحاولة الإفساد في الإسلام وعقائده.

ولم يكتف الغلاة التناسخيون بهذا، فقد تجاوزوا هذا الحد وهاجموا

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ص ٤٠٤، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثامنة، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م، المكتب الإسلامي، بيروت.

الأركان الأخرى للإسلام، وقالوا بحلول الروح الإلهية في النبي وتناسخها في الأنبياء والأئمة.

وبهذا أبطلوا التوحيد وأشركوا بالله شركا لا يغفر، وهدموا مقام النبوة كما قرره الإسلام.

وهدف الغلاة التناسخيين لم يستقر إلى هذا الحد، بل حاول أن يصل إلى الغاية النهائية، فأعلنوا التحرر من الشريعة بعد ما تحرروا من العقيدة، فأحلوا ما حرم الله من المحرمات والفواحش.

وبذلك عرفنا أن عقيدة التناسخ صارت مدخلا لدخول الجيوش الماكرة في الصرح الإسلامي.

ومن بعد هذا الذكر الموجز تبين خروج التناسخيين من الإسلام، وأنه ليس لهم حظ فيه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في هؤلاء مثل: الدروز والنصيرية: «هؤلاء "الدرزية والنصيرية" كفار باتفاق المسلمين، لا يحل أكل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم، بل ولا يقرون بالجزية، فإنهم مرتدون عن دين الإسلام، ليسوا مسلمين، ولا يهود، ولا نصارى، لا يقرون بوجوب الصلوات الخمس، ولا وجوب صوم رمضان، ولا وجوب الحج، ولا تحريم ما حرم الله ورسوله من الميتة والخمر وغيرهما. وإن أظهروا الشهادتين مع هذه العقائد فهم كفار باتفاق المسلمين. . . . كفر هؤلاء مما لا يختلف فيه المسلمون؛ بل من شك في كفرهم فهو كافر مثلهم؛ لا هم بمنزلة أهل الكتاب ولا المشركين؛ بل هم الكفرة الضالون، فلا يباح أكل طعامهم، وتسبى نساؤهم، وتؤخذ أموالهم، فإنهم زنادقة مرتدون، لا تقبل توبتهم، بل يقتلون أينما ثقفوا، ويلعنون كما وصفوا؛ ولا يجوز استخدامهم للحراسة والبوابة والحفاظ، ويجب قتل علمائهم وصلحائهم لئلا يضلوا غيرهم، ويحرم النوم

معهم في بيوتهم، ورفقتهم، والمشي معهم، وتشييع جنائزهم إذا علم موتها، ويحرم على ولاة أمور المسلمين إضاعة ما أمر الله من إقامة الحدود عليهم بأي شيء يراه المقيم لا المقام عليه»[١].

ويقول البغدادي عن فرقتي البيانية والحربية: «وكلتا الفرقتين كافرة بربها، وليست من فرق الإسلام، كما أن سائر الحلولية خارجة عن فرق الإسلام»[٢].

وفي ضوء أقوال العلماء في منكري البعث والجنة والنار، والقول بالتناسخ يصح القول بأن اعتقاد التناسخ حرام، والقائل به كافر وخارج عن دين الإسلام؛ ولذلك يقول ابن حزم عن القائلين بالتناسخ: «فيكفي من الرد عليهم إجماع جميع أهل الإسلام على تكفيرهم، وعلى أن من قال بقولهم فإنه على غير الإسلام، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بغير هذا، وبما المسلمون مجمعون عليه من أن الجزاء لا يقع إلا بعد فراق الأجسادللأرواح بالنكر أو التنعم قبل يوم القيامة، ثم بالجنة أو بالنار في موقف الحشر فقط، إذا جمعت أجسادها مع أرواحها التي كانت فيها»[٣].

والحقيقة أن التناسخ معتقد نشأ بسبب الانحراف عن المنهج الصحيح في الإيمان بالجزاء والجنة والنار، فالقائلون بالتناسخ آمنوا بالجزاء، ولكن من خلال عقولهم، دون الاعتماد على النصوص الدينية، فضلوا وأضلوا وانحرفوا عن الصواب.

وحيث أن المبطلين والجاهلين قد قضوا شوطًا كبيرا في التشكيك في العقائد الإسلامية الصافية، وإدخال بعض العقائد الهدامة في صفوف المسلمين، فالحذر أشد الحذر من هؤلاء، واليقظة من دسائسهم، فلا نتأثر

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ٣٥/ ١٦١، ١٦٢.

(٢) الفرق بين الفرق، ص ٢٤٣.

(٣) الفصل لابن حزم ١/ ١٦٦.

بتخطيهم المنهج العقلي والفلسفي فإنه قائم على الظن والهوى، كما يجب أن لا نندهش باتخاذهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية شبهات يثبتون بها التناسخ؛ لأنه ليس إلا تحريفاً وإلحاداً في النصوص الدينية، فإن وقع الالتباس والاشتباه عند بعض العوام لقلة العلم فليراجعوا في ذلك إلى علماء المسلمين، فإنهم أعلم بمعاني النصوص، وأدرى بمكايد المبطلين الضالين.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ...﴾[1].

والله الهادي إلى سواء السبيل...

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٣.

الخاتمة :

من خلال دراستنا لعقيدة التناسخ وتسربها من سلف إلى خلف في المبطلين الضالين المضلين وبقائها إلى العصر الحاضر بشكل حي وخطورتها على الإسلام ، وصلت إلى نتائج ألخصها في نقاط محددة فيما يلي :

١- تحديد مفهوم التناسخ كمعتقد لدى بعض الطوائف في أن الروح تنتقل من جسم إلى جسم آخر في هذا العالم . وينقسم أولا إلى تناسخ الأرواح ، وتناسخ الأكوار والأدوار ، وتناسخ الروح قد يكون بتناسخ الروح الإلهية في الأئمة .

٢- امتداد جذور عقيدة التناسخ إلى أمم وديانات قديمة ، من الصائبة ، والمصريين القدماء ، والديانات الهندية الكبرى من الهندوسية والجينية والبوذية ، ووجود هذا المعتقد في الديانات الهندية إلى الوقت الحاضر . وكان وراء شيوع هذا المعتقد عامل أساسي هو إعمال العقل في الغيبيات واتحاد هذه العلة في الكل ومن ثم اشتراكهم في الحكم .

٣- تسرب هذا المعتقد في صفوف المتسبين إلى الإسلام ، وهم غلاة الشيعة الذين اتخذوا مناصرة علي رضي اللّه عنه وبنيه ظاهرًا ستارًا لأغراضهم ومحاولة نيلهم من الإسلام وأهله ، فقاموا على عقائد تتنافى مع الإسلام حتى قالوا في أئمتهم بالألوهية ، ثم تناسخها إلى الأئمة بعدهم .

٤- دور عبد اللّه بن سبأ اليهودي الماكر في فرق غلاة الشيعة ، فهو أول من غلا في الإسلام ، وقال بألوهية علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه ، وأحدث عقائد هدامة منها الرجعة والوصاية والحلول والتناسخ . وكان هدفه هدم الصرح الإسلامي من الداخل فصارت أقواله كالبذور لمن أتى بعده .

٥- غلاة الشيعة الذين قالوا بالحلول والتناسخ ، هي السبئية والكيسانية والخطابية ، والكاملية ، وغلاة الاثنى عشرية ، وهذه الفرق كلها تخطت أثر عبداللّه بن سبأ وقالت بالحلول والتناسخ .

٦- يتمثل هدف الغلاة من الشيعة في عقيدتهم بالحلول والتناسخ في إنكارهم

للعقائد الإسلامية الأساسية، مثل: التوحيد، والنبوة، والوحي، والبعث بعد الموت، والتأويلات الباطنية في الآيات القرآنية، إنما كانت لإيهام العوام اعتقادهم في الوحي والقرآن، وهم يبطلونه وينكرونه بتأويلاتهم واقعًا وحقيقة.

٧- تسرب عقيدة التناسخ من الغلاة القدامى إلى الغلاة المعاصرين، وهي الإسماعيلية والدروز والنصيرية، وبقاء هذا المعتقد في هذه الفرق إلى الوقت الراهن، وذلك لاشتراكهم جميعًا في الطغيان العقدي واتباع الظن والهوى وإعمال العقل في مجالات الغيب.

٨- قامت عقيدة التناسخ على الظن والهوى وسوء التفكير في قضية الجزاء فلم يتحقق لهم دلائل فصاغوا في إثبات هذا المعتقد شبهات واهية بليدة، وهي إما من جهة قياس الغائب على الشاهد، أو ليّ النصوص الدينية لأغراضهم الدنيئة، وحمل آيات البعث على ثبوت التناسخ.

٩- تظهر خطورة مبدأ التناسخ من حيث تناقضه مع أركان الإسلام ويترتب على ذلك إنكار البعث ويوم القيامة والثواب والعقاب في اليوم الآخر وما يستلزمه.

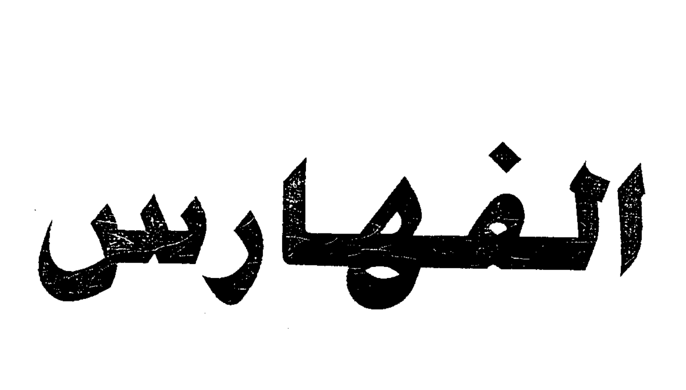
وعلى ذلك فالقائلون بالتناسخ كافرون وإن انتسبت هذه الفرق للإسلام ظاهراً فهي في الحقيقة فرق كافرة، خارجة عنه، ولا علاقة لها به إلا من حيث دعواها الانتساب إليه، فقد أنكروا المعلوم من الدين بالضرورة، وجحدوا آيات الله وخرجوا بها عن المراد منها وادعوا ذلك علمًا وتأويلا، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إلا كَذِبًا﴾.

١٠- خطورة هذه المعتقدات على البيئة الإسلامية، ووجوب التصدي لها وبيان زيفها وتفنيد شبهاتها على المستوى العلمي والأكاديمي.

١١- على الأمة الإسلامية التصدي لانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين وتحريف الغالين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.


الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام

العلـــــم	الصفحـــــــة
حرف الهمزة:	
آدم عليه السلام	١٠٩، ١٣١، ١٤٧، ١٥٠، ١٧٨، ١٩٨، ٢٠٨، ٢١٩، ٢٥٩
آل كاشف الغطاء (محمد الحسين)	٩٦، ٩٧
إبراهيم (عليه السلام)	٢٦، ٣٢، ٨٩، ١٧٦، ١٧٨، ١٩٨، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٤٠
إبراهيم الإمام	١٤٩
إبراهيم بن الأشتر	١٣٧
إبراهيم بن محمد بن عبد اللّه بن عباس	٢١
ابن أبي الحديد	١٢٣
ابن أبي العوام	١٩٤
ابن الأثير (عزالدين)	١٢٤
ابن تيمية (أبو العباس أحمد بن عبد الحليم)	٢٩، ٩٨، ١٠٠، ١٠١، ١٠٤، ١٥٨، ١٨٨، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢١٧، ٢٥٧، ٢٦١
ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي، أبو الفرج)	٣٠، ٣٤
ابن حبان (محمد بن حبان)	١٣٠، ١٣٣
ابن حجر (الحافظ العسقلاني)	١٢٩، ١٣٣
ابن حزم (أبو محمد الظاهري)	٢٧، ٢٩، ١٠٧، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٦، ١٤٦، ١٥٠، ٢٦٢
ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون)	٩٤، ١٠٢، ١٠٩، ١٥٠، ١٦٤
ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد	١٣٣
ابن دهن الهندي	١١٤
ابن زياد	٩٩
ابن سينا أبو علي	٨٢، ٨٤، ٢٣٥

العلـــــم	الصفحـــــــة
أبو مسلم الخراساني	٢٠، ٢١، ١٠٩، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١
أبو مسلم السراج	١٠٨
أبو منصور العجلي	٢٠
أبو النضر، محمد بن السائب الكلبي	١٢٨، ١٣٤
أبو هاشم، عبد اللّه بن محمد	١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٤٩، ١٥١
أبو هريرة (رضي اللّه عنه)	٢٣٢، ٢٤٠
أبو الهيثم	٢١٠، ٢١١
أبو يعقوب السجستاني	١٧٤، ١٨٦
أحمد أمين	٩٨، ١٠٦، ١٠٨
أحمد الشلبي	٦٧
أحمد بن الطيب	٣٠
أحمد عبد الغفور العطار	٣٦
أحمد بن عبد اللّه	١٦٧، ١٦٨
أخنوخ	١٩٦
إدريس (عليه السلام)	١٩٦
أرجن	٤٥
أرسطو	٧٨، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٢١١
الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد	١٣
استايين	١٠٧
استيندرف الألماني	٣٩
إسحاق بن سليمان الهاشمي	١١٤
الأسفرائني ، أبو المظفر	١٠٤، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٥
إسماعيل (عليه السلام)	١٧٨، ٢٠٨
إسماعيل بن جعفر	١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٧٨

العلـــــم	الصفحـــــــة

العلـــــم	الصفحــــــــة
عثمان بن عفان (رضي اللّه عنه)	٩٣، ٩٥، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٧، ١١٦، ١٢٠، ١٢١، ١٢٣، ١٢٤ ١٢٥، ١٢٦، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٥
عثمان بن نهيك	١٠٩، ١٥٠
العجاج	١٣
عرفان عبد الحميد	٧٦
العزيز باللّه (الفاطمي)	١٨٨
العقاد، عباس محمود	٢٦، ٢٧، ٣٦
عقيل بن أبي طالب (رضي اللّه عنه)	١٦٨، ١٦٩
العقيلي، أبو جعفر محمد بن عمرو	١٣١، ١٣٣٤
علاؤالدين الهندي	٩٧
علي بن أبي طالب (رضي اللّه عنه)	١٩، ٢٠، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٨، ١١٦، ١١٩، ١٢٠، ١٢١ ١٢٢، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨ ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٦ ١٣٧، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥ ١٤٦، ١٤٧، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤ ١٥٧، ١٥٨، ١٦١، ١٦٤، ١٧٠، ١٧٨ ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦ ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٦٤
علي بن الجسري	٢٠٣
علي بن الحسين (زين العابدين)	١٥٨، ١٦٧
علي حسين الخربوطلي	١٠٠
علي بن عبد اللّه	١٤٩
علي عبد الواحد وافي	٦٠
علي بن محمد	١٥٨، ٢٠٢
علي بن موسى بن جعفر	١٥٨

العلـــــم	الصفحـــــــة

حرف الكاف:

حرف اللام:

حرف الميم:

حرف النون:

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس المصادر والمراجع

أولا : المراجع العربية:

١- القرآن الكريم:

٢- إبراهيم أبو الأنبياء:
عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت.

٣- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا:
تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: د/ جمال الدين الشيال. لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط: ١٣٨٧هـ= ١٩٦٧م.

٤- آثار البلاد وأخبار العباد:
زكريا بن محمد بن محمود القزويني. دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ط: ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م.

٥- أحزاب المعارضة السياسية الدينية:
فلهوزن. ترجمه إلى العربية: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ط: ١٩٥٨م.

٦- أحوال النفس:
ابن سينا. تحقيق: د/ أحمد فؤاد الأهواني، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى ١٣٧١هـ=١٩٥٢م.

٧- الأخبار الطوال:
أبو حنيفة الدينوري. تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م.

٨- أديان الهند الكبرى:
الدكتور أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الخامسة، ١٩٧٩م.

٩- أساس البلاغة:
جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري. دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م.

١٠- أسد الغابة في معرفة الصحابة:

عز الدين بن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الجزري. دار الفكر.

١١- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام:

د/ علي عبد الواحد وافي. دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة.

١٢- الإسلام:

سعيد حوى. الناشر: مكتبة وهبة، ط: ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م

١٣- إسلام بلا مذاهب:

الدكتور مصطفى الشكعة. شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. الطبعة الخامسة، ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م.

١٤- الإسلام في عصر العلم:

محمد فريد وجدي. دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ=١٩٦٧م.

١٥- الإسلام في مواجهة الباطنية:

أبو الهيثم. دار الصحوة للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م.

١٦- الإصابة في تمييز الصحابة:

الحافظ ابن حجر العسقلاني. دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ= ١٩٧٨م.

١٧- أصل الشيعة وأصولها:

محمد الحسين آل كاشف الغطاء. تحقيق ومقارنة: محمد جعفر شمس الدين، ترجمة الأعلام: الأستاذ حسن إسماعيل، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ=١٩٩٣.

١٨- أصول الإسماعيلية:

الدكتور برنارد لويس، تعريب: خليل أحمد جلو، جاسم محمد الرجب، دارالكتاب العربي، بمصر.

١٩- الأضحوية في المعاد:

ابن سينا. تحقيق: د/ حسن عاصي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م.

٢٠- أضواء على مسالك التوحيد:

د/ سامي نسيب مكارم. دار صادر، بيروت، ط: ١٩٦٦م.

٢١- الأعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين:

خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠م.

٢٢- أعلام الفلاسفة:

الدكتور هنري توماس. ترجمة متري أمين، دار النهضة العربية، القاهرة.

٢٣- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان:

شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، المتوفى ٧٥١ هـ، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م.

٢٤- الأغاني:

أبو الفرج الأصبهاني. مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت.

٢٥- الافتخار:

الداعي الإسماعيلي أبو يعقوب السجستاني. تحقيق: د/ مصطفى غالب، دارالأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٨٠م.

٢٦- الله:

عباس محمود العقاد. دار المعارف بمصر، الطبعة السادسة.

٢٧- الباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية "العلوية":

سليمان آفندي الأذني، دار الصحوة للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م.

٢٨- البداية والنهاية:

الحافظ ابن كثير. دقق أصوله وحققه: د/ أحمد أبو ملحم، د/ علي نجيب عطوي، الأستاذ فؤاد السيد، الأستاذ مهدي ناصر الدين، الأستاذ علي عبد الساتر، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م، دار الريان للتراث، القاهرة.

٢٩- البدء والتاريخ:

مطهر بن طاهر المقدسي. طبع في مدينة شالون على نهرسون بمطبع برطرند.

٣٠- تاج العروس:

السيد محمد مرتضى الزبيدي. دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، ط: ١٣٨٦هـ.

٣١- تاريخ الأدب العربي "العصر الإسلامي":

الدكتور شوقي ضيف. دار المعارف بمصر، الطبعة السابعة.

٣٢- تاريخ الإسلام:

حسن إبراهيم حسن. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط: ١٩٦٤م.

٣٣- تاريخ الإسلام:

شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د/ عمر تدمري، دارالكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ= ١٩٩١م.

٣٤- تاريخ الأمم الإسلامية:

محمد خضري بك. مطبعة الاستقامة، بالقاهرة، الطبعة التاسعة. ١٩٥٩م.

٣٥- تاريخ الأمم والملوك:

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت.

٣٦- تاريخ الحضارات العام:

تاليف: اندريه إيمار - جانين أوبوايه. تعريب: فريد م داغر - فؤاد ج، أبو ريحان، منشورات عويدات، بيروت، باريس، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

٣٧- تاريخ الشعوب الإسلامية:

كارل بروكلمان. تعريب: نبيه أمين فارس، منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٦٥م.

٣٨- تاريخ الفكر العربي:

عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٢م.

٣٩- تاريخ الفلسفة اليونانية:

يوسف كرم. مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٣٨٩هـ= ١٩٧٠م.

٤٠- تاريخ المذاهب الإسلامية:

محمد أبو زهرة. دار الفكر العربي.

٤١- تاريخ هيرو دوتس:

هيرو دوتس. تعريب: حبيب آفندي، مطبعة القديس جاور جيوس، ١٨٨٦-١٨٨٧م.

٤٢- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين:

أبو المظفر الأسفرائيني، المتوفى سنة ٤٧١ هـ. عرف الكتاب، وترجم للمؤلف، وخرج آحاديثه، وعلق حواشيه: محمد زاهد الكوثري، الناشر: السيد عزت العطار الحسيني، مؤسس ومدير مكتب نشر الثقافة الإسلامية. الطبعة الأولى، ١٣٥٩هـ= ١٩٤٠م.

٤٣- تجديد ذكرى أبي العلاء:

طه حسين. دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة، ١٣٧٧هـ= ١٩٥٨م.

٤٤- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة:

أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، المتوفى سنة ٤٤٠هـ= ١٠٤٩م. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد، الدكن - الهند. ط: ١٣٧٧هـ= ١٩٥٨م.

٤٥- التعريفات:

الشريف علي بن محمد الجرجاني. المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.

٤٦- تفسير القرآن العظيم:

أبو الفداء الحافظ ابن كثير، المتوفى سنة ٧٧٤هـ. كتب هوامشه وضبطه: حسين بن إبراهيم زهران، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م.

٤٧- التفسير الكبير:

أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي، الملقب بفخر الدين، المتوفى ٦٠٦هـ. دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ= ١٩٨١م.

٤٨- تفسير المنار:

السيد محمد رشيد رضا. دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ= ١٩٧٣م.

٤٩- تلبيس إبليس:

الحافظ الإمام جمال الدين، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي، المتوفى سنة ٥٩٧هـ. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ= ١٩٩٤م.

٥٠- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع:
أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي، المتوفى سنة ٣٧٧هـ.
تحقيق وتعليق: يمان بن سعد الدين المياديني، الناشر: رمادي للنشر، الدمام - المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ= ١٩٩٤م.

٥١- تهذيب التهذيب:
الحافظ ابن حجر العسقلاني. دائرة المعارف النظامية، حيدرآباد - الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٥هـ.

٥٢- تهذيب سير أعلام النبلاء:
للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى ٧٤٨هـ= ١٣٧٤م.
هذبه أحمد فايز الحمصي، أشرف على تحقيق الكتاب: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ=١٩٩٢م.

٥٣- تهذيب اللغة:
أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري. تحقيق: د/ عبد السلام سرحان، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٥٤- ثلاث رسائل إسماعيلية:
تحقيق: عارف تامر. دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م.

٥٥- الجرح والتعديل:
أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، المتوفى ٣٢٧هـ، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد - الهند، الطبعة الأولى، ١٣٧٢هـ= ١٩٥٢م.

٥٦- جمهورية أفلاطون:
نظلة الحكيم - محمد مظهر سعيد، دار المعارف ١٩٦٣م.

٥٧- الحركات الباطنية في العالم الإسلامي:
د/ محمد أحمد الخطيب. مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

٥٨- الحضارة المصرية:

غوستاف لوبون. تعريب: م - صادق رستم. المطبعة العصرية بمصر.

٥٩- الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والاثنى عشرية:

محمد حسن الأعظمي. الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر، ١٩٧٠م.

٦٠- الخليفة الفاطمي الخامس: العزيز بالله:

عارف تامر. دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.

٦١- الخوارج في العصر الأموي:

د/ نايف محمود معروف. دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م.

٦٢- دائرة المعارف:

بطرس البستاني، مؤسسة مطبوعاتى إسماعيليان، تهران.

٦٣- دائرة المعارف الإسلامية:

أئمة المستشرقين. إعداد وتحرير: إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، د/ عبدالحميد يونس، دار الشعب، القاهرة.

٦٤- دائرة معارف القرن العشرون:

محمد فريد وجدي. دار الفكر.

٦٥- دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين "الخوارج والشيعة":

د/ أحمد محمد أحمد جلي. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

٦٦- درء تعارض العقل والنقل:

شيخ الإسلام ابن تيمية، المتوفى سنة ٧٢٨هـ، تحقيق: د/ رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م.

٦٧- ديانة قدماء المصريين:

الأستاذ استيندرف الألماني. تعريب: سليم حسن، مطبعة المعارف بشارع الفجالة بمصر، الطبعة الأولى، ١٩٢٣م.

٦٨- الديانات القديمة:
محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.

٦٩- الديانات والعقائد في مختلف العصور:
أحمد عبد الغفور عطار. مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.

٧٠- الدين والفلسفة والعلم:
السيد محمود أبو الفيض المنوفي. دار الكتب الحديثة، ١٤ شارع الجمهورية.

٧١- الرسالة في التناسخ:
مخطوطة توجد في مكتبة رضا، رام فور - الهند، وتشتمل على تسع صفحات غير مكتوب عليها اسم المؤلف.

٧٢- الرسالة المستطرفة:
السيد محمد بن جعفر الكتاني. ط: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

٧٣- الروح:
ابن قيم الجوزية. تقديم وتحقيق: الشيخ محمد شريف سكر، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ = ١٩٩١م.

٧٤- الروح:
محمد فريد وجدي. تقديم: د/ علي عبد الجليل راضي، مطبعة الحضارة العربية، القاهرة.

٧٥- الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة:
د/ محمد سيد أحمد المسير، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.

٧٦- روح المعاني:
أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي، المتوفى سنة ١٢٧٠هـ. دار الفكر، بيروت، ط: ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م.

٧٧- سنن الترمذي - وهو الجامع الصحيح:
الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، المتوفى ٢٧٩هـ. تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف. دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

٧٨- سنن النسائي بشرح السيوطي:
دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٧٩- سير أعلام النبلاء:
الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى ٧٤٨هـ. تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي - مامون صاغرجي. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.
٨٠- شرح العقيدة الطحاوية:
ابن أبي العز الحنفي، المتوفى ٧٩٢هـ. تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية. ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م.
٨١- شرح نهج البلاغة:
ابن أبي الحديد. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٠م.
٨٢- الشيعة في التاريخ:
محمد حسين الزين. دار الآثار للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م.
٨٣- الصابئة المندائيون:
الليدي دراودر. تعريب: نعيم بدوي - غضبان رومي، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٦٩م.
٨٤- الصابئون: حرانيين ومندائيين:
د/ رشدي عليان. مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٧٦م.
٨٥- الصحاح:
إسماعيل بن حماد الجوهري، المتوفى ٣٩٣هـ. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م.
٨٦- صحيح البخاري:
أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. ضبط وترقيم: د/ مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير - اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م.

٨٧- صحيح مسلم:

أبو الحسن مسلم بن حجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، المتوفى ٢٦١هـ، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر ،ط: ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م. .

٨٨- صحيح مسلم بشرح النووي:

أبو الحسن مسلم بن حجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، المتوفى ٢٦١ هـ. دارالفكر، ط: ١٤٠١هـ= ١٩٨١م.

٨٩- الضعفاء الكبير:

أبو جعفر محمد بن عمرو العقيلي المكي. تحقيق: د/ عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: أولى ١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م.

٩٠- طائفة الإسماعيلية، تاريخها، نظمها وعقائدها:

الدكتور محمد كامل حسين، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٩م.

٩١- طائفة الدروز، تاريخها، وعقائدها:

د/ محمد كامل حسين. دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية.

٩٢- عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام:

سليمان بن حمد العودة. دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ.

٩٣- عقيدة الدروز:

محمد أحمد الخطيب. دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ= ١٩٨٩م.

٩٤- عقيدة السلف أصحاب الحديث:

أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، المتوفى ٤٤٩هـ. تحقيق: بدر بن عبدالله البدر، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ= ١٩٩٤م.

٩٥- عيون الأخبار:

أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المتوفى ٢٧٦هـ. دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٤٦هـ= ١٩٢٨م.

٩٦- **عيون الأنباء في طبقات الأطباء:**

ابن أبي أصيبعة. تحقيق: د/ نذار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م.

٩٧- **الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية:**

د/ عبد الله سلوم السامرائي. دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م.

٩٨- **فتح الباري شرح صحيح البخاري:**

الحافظ ابن حجر العسقلاني. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ= ١٩٨٩م.

٩٩- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير:**

محمد بن علي بن محمد الشوكاني، المتوفى ١٢٥٠هـ. وثق أصوله وعلق عليه: سعيد محمد اللحّام، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.

١٠٠- **فجر الإسلام:**

أحمد أمين. دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الحادية عشرة، ١٩٧٩م.

١٠١- **الفرق بين الفرق:**

عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، المتوفى ٤٢٩ هـ. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، بميدان الأزهر بمصر.

١٠٢- **فرق الشيعة:**

الحسن بن موسى النوبختي، وسعد بن عبد الله القمي من علماء رأس الثلاث مائة الهجرية. تحقيق: د/ عبد المنعم الحفني. دار الرشاد، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ= ١٩٩٢م.

١٠٣- **الفصل في الملل والأهواء والنحل:**

أبو محمد علي بن أحمد، المعروف بابن حزم الظاهري، المتوفى ٤٥٦هـ. تحقيق: د/ محمد إبراهيم نصر - د/ عبد الرحمن عميرة. شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ= ١٩٨٢م.

١٠٤- **فضائح الباطنية:**

أبو حامد الغزالي. تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، حولي - الكويت.

١٠٥- الفلسفة في الإسلام:

د/ عرفان عبد الحميد. دار التربية ، بغداد.

١٠٦- الفلسفة الهندية القديمة:

الأستاذ عبد السلام خان، مكتبة رامفور - الهند، ط: ١٤١٧هـ= ١٩٩٦م.

١٠٧- الفهرست:

ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق. تحقيق: رضا تجدد بن علي المازندراني. دار المسيرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.

١٠٨- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة:

محمد بن علي الشوكاني. تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى اليماني، بدون طبعة.

١٠٩- فوات الوفيات:

محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: د/ إحسان عباس، دار صادر ، بيروت.

١١٠- في العقائد والأديان:

د/ محمد جابر الحيني. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١م.

١١١- القاموس المحيط:

مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

١١٢- قصص الأنبياء:

عبد الوهاب النجار. دار إحياء التراث العربي، بيروت ، الطبعة الثالثة.

١١٣- الكامل في التاريخ:

ابن الأثير، عزالدين أبو الحسن محمد بن محمد بن الأثير. دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م.

١١٤- الكامل في ضعفاء الرجال:

الحافظ أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني. تحقيق: لجنة من المختصين، دار الفكر الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

١١٥- كبرى اليقينيات الكونية:

د/ محمد سعيد رمضان البوطي. دار الفكر، الطبعة الخامسة، ١٣٩٧هـ.

١١٦- كتاب الزينة: (القسم الثالث من كتاب الغلو والفرق الغالية).
أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي. تحقيق: د/ عبد الله سلوم السامرائي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٢هـ= ١٩٧٢م.

١١٧- كتاب العين:
أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي. تحقيق: د/ مهدي المخزومي - د/ إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر.

١١٩- كتاب الموتى الفرعوني:
الترجمة عن الهيرغليفية: السير: والس بدج، الترجمة العربية والتعليق: د/ فليب عطية. مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

١٢٠- كشاف اصطلاحات الفنون:
الشيخ المولوي محمد أعلى بن علي التهانوي. منشورات شركة خياط، بيروت.

١٢١- كليلة ودمنة:
الفيلسوف بيدبا. ترجمة إلى العربية: عبد الله بن المقفع. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ= ١٩٩٢م.

١٢٢- كنز العمال:
العلامة علاؤالدين علي المتقي الهندي. منشورات دار الكتاب الإسلامي، حلب.

١٢٣- لسان الميزان:
الحافظ ابن حجر العسقلاني، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ= ١٩٧١م.

١٢٤- لمحة عامة إلى مصر:
أ. ب. كلوت بك. تعريب: محمد مسعود، مطبعة أبي الهول.

١٢٥- المباحث المشرقية:
الإمام فخر الدين الرازي، مكتبة الأسدي، بطهران، ١٩٦٦م.

١٢٦- المجروحين:
محمد بن أحمد بن حبان البستي، المتوفى ٣٥٤ هـ. تحقيق: محمود إبراهيم زائد. دار الوعي بحلب، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.

١٢٧- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية:
تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المتوفى ٧٢٨هـ. جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم النجدي وابنه محمد.

١٢٨- مجموعة التوحيد:
شيخ الإسلام ابن تيمية - محمد بن عبد الوهاب. مكتبة دار حراء للنشر والتوزيع.

١٢٩- مجموعة الرسائل والمسائل:
ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، المتوفى ٧٢٨هـ، خرج أحاديثه وعلق حواشيه: السيد محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربي.

١٣٠- محاورات ونصوص لأفلاطون، فايدروس - ثياتيتوس:
ترجمة وتقديم: د/ أميرة حلمي مطر. دار المعارف، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

١٣١- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان:
عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي، المتوفى ٧٦٨ هـ. تحقيق: عبد الله الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ= ١٩٨٤م.

١٣٢- مروج الذهب ومعادن الجوهر:
أبو علي الحسين بن علي المسعودي. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. دارالفكر، بيروت، ط: ١٤٠٩هـ= ١٩٨٩م.

١٣٣- مسائل الإمامة:
الناشئ الأكبر. تحقيق: يوسف فان إس. المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت. ١٩٧١م.

١٣٤- المستدرك:
أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري، المتوفى ٤٠٥هـ. دارالفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ= ١٩٧٨م.

١٣٥- المستشرقون:
نجيب العقيقي. دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة، ١٩٦٤م.

١٣٦- مسند الإمام أحمد:
أبو عبد الله أحمد بن حنبل.

١٣٧- المصباح المنير:
أحمد بن محمد الفيومي، المتوفى ٧٧٢هـ. المكتبة العلمية، بيروت.

١٣٨- المعجم الأوسط:
الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المتوفى ٣٦٠ هـ. مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ= ١٩٩٥م.

١٣٩- معجم البلدن:
الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي. دار صادر، بيروت.

١٤٠- معجم العلماء العرب:
باقر أمين الورد. طبع بمساعدة اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري في جمهورية العراقية، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ= ١٩٨٢م.

١٤١- معجم المؤلفين:
عمر رضا كحالة. الناشر: مكتبة المثنى، بيروت. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٤٢- المعجم الوسيط:
الدكتور إبراهيم أنيس ورفاقه. الطبعة الثانية.

١٤٣- المغني في أبواب التوحيد والعدل:
القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي، المتوفى ٤١٥هـ. تحقيق: محمود محمد الخضيري، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

١٤٤- مفاتيح العلوم:
الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي. دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤٥- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين:
أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، المتوفى ٣٣٠هـ. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ= ١٩٧٩م.

١٤٦- **مقدمة ابن خلدون: الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر:**
عبد الرحمن بن خلدون، المتوفى ٨٠٨هـ. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ= ١٩٩٣م.

١٤٧- **الملل والنحل:**
أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، المتوفى ٥٤٨هـ. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ= ١٩٩٢م.

١٤٨- **منهاج السنة النبوية:**
ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، المتوفى ٧٢٨هـ. تحقيق: د/ محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م.

١٤٩- **منو سمرتي:**
ترجمة عربية: إحسان حقي. مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ= ١٩٨٨م.

١٥٠- **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية:**
تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي، المتوفى ٨٤٥هـ. مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة.

١٥١- **موسوعة العالم الإسلامي:**
دار الرأي العام، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ= ١٩٧٧م.

١٥٢- **موسوعة العراق الحديث:**
خالد عبد المنعم العاني، الدار العربية للموسوعات، بغداد، الطبعة الأولى ١٩٧٧م.

١٥٣- **الموسوعة العربية العالمية:**
مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

١٥٤- **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة:**
الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ= ١٩٨٩م.

١٥٥- **ميزان الاعتدال:**

شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفى ٧٤٨هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ= ١٩٦٣م.

١٥٦- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة:**

جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي. طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب.

١٥٧- **الهند القديمة:**

محمد إسماعيل الندوي. دار الشعب، ١٩٧٠م.

١٥٨- **وفيات الأعيان وأنباء الزمان:**

ابن خلكان أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر، المتوفى ٦٨١هـ. تحقيق: د/ إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

١٥٩- **الينابيع:**

أبويعقوب السجستاني. تقديم وتحقيق: د/ مصطفى غالب. المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٥م.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

الف: في اللغة الأردية:

١٦٠- إسلام اور مذاهب عالم: (الإسلام وأديان العالم) تقابلي مطالعة:
محمد مظهر الدين صديقي. اداره ثقافت إسلاميه، لاهور، باكستان. الطبعة الثالثة ١٩٦٨م.

١٦١- آواگمن كا تحقيقي جائزه: (استعراض لعقيدة التناسخ)
أبو محمد إمام الدين رام نگري. مكتبة الحسنات، دلهي، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.

١٦٢- آئنده زندگي كيا آواگمن هے يا أبدي زندگي هے: (هل الحياة القادمة هي تناسخ أو حياة خالدة)
پادري جي إيل ٹهاكر داس، كرسچين ليٹريچر سوسائٹي، لدهيانه - الهند. ط: ١٩٠٨م.

١٦٣- البرامكه:
محمد عبد الرزاق كانپوري. نفيس اكيدمي، كراچي، پاكستان، الطبعة السادسة، ١٩٦١م.

١٦٤- بدھ/ جين/ سكھ/ رادها سوامي: (البوذية/ الجينية/ السيخية/ رادها سوامي):
مجموعة مختارات من مجلة "زمانه" كانپور، التي كان يصدرها ديا نرائن نكم من عام ١٩٠٣م إلى ١٩٤٢م، خدا بخش أورنٹيل پبلك لائبريري پٹنه - الهند.

١٦٥- تصور آخرت اور ہندوستاني روايات: (تصور اليوم الآخر والتقاليد الهندية).
محمد فاروق خان أيم إيه. مركزي مكتبه اسلامي، دلهي، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.

١٦٦- جين مت اور خدا پرستي: (الجينية وتوحيد الألوهية).
سيد حامد علي، اداره شهادت حق، جامعه نگر، نيو دلهي، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.

١٦٧- حقيقة التناسخ:
محمد عبد الوهاب بن محمد عبد العلي نائطي مدراسي. نظامي پريس، بدايون - الهند.

١٦٨- دائره معارف اسلاميه:
دانش گاه پنجاب ، لاهور، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ= ١٩٧١م.
١٦٩- رد تناسخ:
مولانا سيد مرتضى حسن استاذ دار العلوم ديوبند. أفضل المطابع بريس، مراد آباد - الهند.
١٧٠- كليات آريه مسافر:
پنڈت ليكهـ رام، مهاشي كيشب ديو منيجر دهرم پرچارك پريس، بردوار - الهند، ط: ١٩٠٤م.
١٧١- فلسفه مذهب:
مولوي سيد مقبول أحمد، نگار مشين پريس لكهنئو - الهند.
١٧٢- ہندو دهرم كي جديد شخصيتين: (الشخصيات الجديدة في الديانة الهندوسية).
محمد فاروق خان إيم إيه. مركزي مكتبه اسلامي ، دلهي ، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م.
١٧٣- هندو مذهب: (الديانة الهندوسية).
پنڈت منوهر لال زتشي. خدا بخش اورنتيل پبلك لائبريري، پٹنه - الهند. ط: ١٩٩٤م.
١٧٤- مجله دعوت - ہندوستاني مذاهب نمبر: (عدد خاص بالأديان الهندية).
٢٧ رمضان ١٤١٣هـ= ٢٢مارس ١٩٩٣م، جامعه نگر - نيو دلهي.

ب - في اللغة الهندية:
١٧٥- ہندو دهرم كوش:
د/ راج بلي پانڈے ، هندي سنستهان لكهنئو - الهند.

ج - في اللغة الإنجليزية:
١٧٦- DICTIONARY OF HIDU MYTHOLOGY: (DADSUN)
١٧٧- RAJGARH AND ITS REMAINS:
J. MARSHAL. A. S. I. REPORT 1905 - 6- PP 86.
١٧٨- THI PHILOSOPHY OF SARVPALLI
RADHA KRISHNAN, P. A. SECHIL PP. 1952

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة